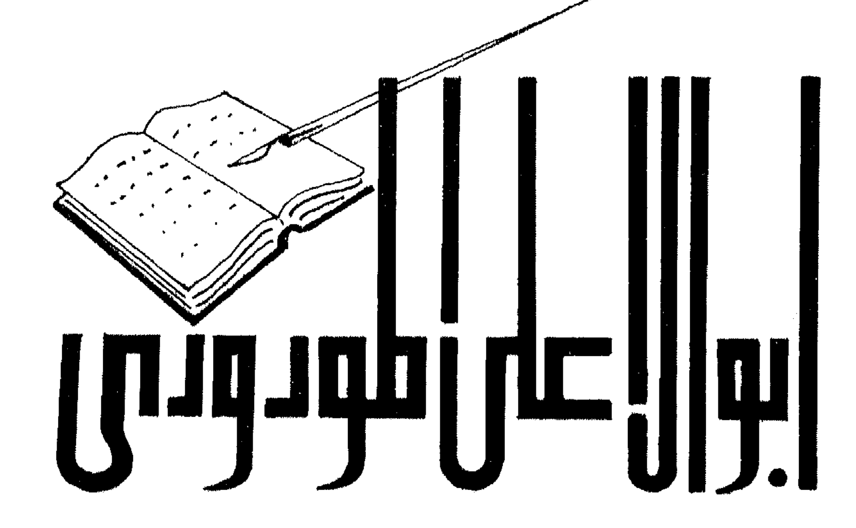
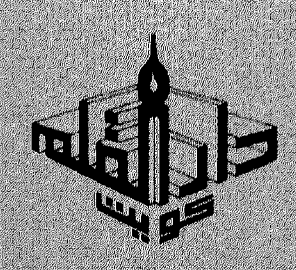
اليف الدين الترابي

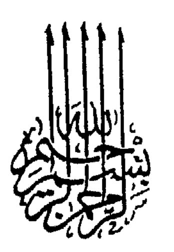


حياته ودعوته



أبو الأعلى المودودى

عصره .. حياته .. دعوته .. مؤلفاته

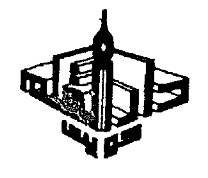


أبو الأعلى المودودي

عصره .. حياته .. دعوته - مؤلفاته

تأليـــــف

أليـف الديـن الترابـــى



الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م



دار القلم للنشر والتوزيع
ص.ب ٢٠١٤٦ الصفاة 13062 الكويت
شارع السور: عمارة السور - الطابق الأول
هاتف: ٢٤٥٧٤٠٧ - ٢٤٥٨٤٧٨ - برقيا توزيعكو

بين يدى الكتاب

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلله فلا هادى له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد فيشمل هذا الكتاب الباب الأول من رسالتى « الأستاذ أبو الأعلى المودودى ومنهجه فى تفسير القرآن الكريم » التى تقدمت بها إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى مكة المكرمة عام ١٤٠٤ من الهجرة الموافق عام ١٩٨٤ الميلادى لنيل درجة الماجستير فى قسم الشريعة (فرع الكتاب والسنة) . وهذه الرسالة تشتمل على بابين ، فأما الباب الأول – وهو موضوع هذا الكتاب – فيتعلق بعصر الداعية الكبير الأستاذ أبى الأعلى رحمه الله وترجمته ودعوته ومؤلفاته ومؤثرات دعوته الفكرية والعلمية . وأما الباب الثانى – والذى سيصدر فى كتاب مستقل تحت عنوان « منهج المودودى فى تفسير القرآن » – فيتعلق بمنهج هذا الداعية المفسر فى تفسير القرآن الكريم ، وقد تحدثت فيه عن المنهج الذى اختاره الأستاذ المودودى خلال تفسيره الشهير « تفهيم القرآن » وذكرت أهم المزايا لهذا التفسير القيم ، وذلك فى ضوء أصول التفسير التى يتفق عليها أئمة التفسير قديما وحديثا من ناحية ، وبالمقارنة بأشهر التفاسير الأخرى القديمة والحديثة من ناحية ثانية ، وفى ضوء متطلبات عمل الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث من ناحية ثالثة .

إن الدارس الواعى للتاريخ الإسلامى لا يخفى عليه أن الأمة الإسلامية ظلت تقود المركب البشرى إلى الخير والسعادة ، فى كل دائرة من دوائر الحياة المختلفة ، ما دامت هى اهتمت بأداء المهمة التى بعثها الله سبحانه وتعالى لأجلها ، وهذه المهمة الكبرى تشمل الاهتمام بالدعوة إلى الخير والأمر

بالمعروف والنهى عن المنكر لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ ولقوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ هذا من جانب ، ومن جانب آخر تشمل هذه المهمة القيام بأداء فريضة شهادة الحق كما قام النبى ﷺ بأداء هذه الشهادة العظيمة بالاهتمام بعمل الدعوة وبإقامة الحكم الإسلامى معاً . ولكنها إذا تركت الاهتمام بهذه المهمة الأساسية بدأ انحطاطها السياسى والحضارى الذى مازال يزيد يوماً فيوماً حتى بلغ الأمر إلى أن العالم الإسلامى بأسره ، مع الأسف الشديد ، وقع تحت سيطرة الدول الاستعمارية ، سياسياً وحضارياً ، وقد تمت هذه السيطرة الغاشمة على العالم الإسلامى خلال الربع الأول للقرن العشرين الميلادى الموافق الربع الثانى للقرن الرابع عشر الهجرى إذ تمكن الاستعمار الغاشم من القضاء على الخلافة الإسلامية وتمزيق وحدة العالم الإسلامى ببث النعرات القومية الجاهلية ، ومما زاد الطين بلة أن هذا الغزو الاستعمارى السياسى كان يليه الغزو الاستعمارى الحضارى الذى استخدم الاستعمار خلاله عديدا من الأساليب والوسائل ، منها تشجيعه الأدبى والمعنوى لأنشطة المبشرين والمستشرقين ضد الإسلام واهتمامه بتعميم الفلسفات المادية الجاهلية الحديثة عن طريق الثقافة العلمانية الحديثة وعنايته بإنشاء الحركات الهدامة والقيادات المعادية للإسلام ، فكانت نتيجة هذا الغزو الفكرى والحضارى والسياسى أن وقع العالم الإسلامى فى العبودية الفكرية للحضارة الإستعمارية الجاهلية .

فكانت هذه هى الأوضاع المؤلمة السائدة فى العالم الإسلامى حينما شاء الله سبحانه وتعالى أن تظهر الدعوة الإسلامية فى العالم الإسلامى فى صورتها الحقيقية لتتمكن الأمة الإسلامية من أداء مهمتها الأساسية مرة ثانية ، فظهرت الدعوة فى نفس الوقت فى بلدين مختلفين إذ يقوم الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله بتأسيس حركة الإخوان المسلمين فى مصر ويقوم الأستاذ أبو الأعلى المودودى رحمه الله بتأسيس الجماعة الإسلامية فى شبه القارة الباكهندية ، وهاتان الحركتان كلتاهما تهدفان إلى نفس الهدف وهو نشر الدعوة الإسلامية وإقامة حكم الله سبحانه وتعالى فى الأرض ، فيقول الأستاذ العلامة عمر التلمسانى المرشد العام للإخوان

المسلمين مقارناً بين الإمام حسن البنا الشهيد والإمام أبى الأعلى المودودى وبين منهجيهما فى الدعوة الإسلامية : « إنهما بحق إماما الجيل الظاهران المتفردان ، إنهما استمدا كل معلوماتهما ومناهجهما وأساليبهما ووسائلهما فى الدعوة إلى الله من القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ دون أخذمن هذا الفيلسوف أو استمداد من ذلك الكتاب ، فجاءت مدرستهما بعيدة كل البعد عما قد يعيب الدعوة الإسلامية بأى فهم أو تفكير لا صلة له بالإسلام »[١] .

وجدير بالذكر أن دعوة الأستاذ المودودى رحمه الله لم تقتصر دائرتها على بلد دون بلد ، بل يتسع نطاقها إلى أكثر الأقطار الإسلامية والعالمية ، فهناك البلاد التى تأسست فيها الحركة الإسلامية بنفس الإسم أى « الجماعة الإسلامية » كجمهورية باكستان الإسلامية ، والهند ، وبنغلاديش ، وكشمير الحرة ، وكشمير المحتلة ، ونيبال ، وسيلان وبورما وفى كل تلك البلاد تعمل الجماعة الإسلامية لتحقيق نفس الهدف إلا أن أسلوبها يختلف من بلد إلى بلد حسب الأوضاع والظروف التى تسودها ، كما أن هناك بلادا قد انشئت الحركة الإسلامية فيها نتيجة لدعوة الأستاذ المودودى رحمه الله ومنها البلد الإسلامى أفغانستان ، فقد ذكر لى الأستاذ عبد رب الرسول سياف أمير الجهاد الإسلامى بأفغانستان خلال إحدى مقابلاته الخاصة معى بمكة المكرمة أن تأليفات الأستاذ المودودى رحمه الله والشهيد سيد قطب لها دور أساسى فى إنشاء الحركة الإسلامية فى أفغانستان وكذلك حكى لى المهندس كُلبدين حكميتار أمير الحزب الإسلامى بأفغانستان أن الحركة الإسلامية فى أفغانستان قد برزت إلى حيز الوجود نتيجة لدعوة الأستاذ المودودى رحمه الله .

وعلاوة على ذلك فهناك الكثير من المنظمات الإسلامية التى تعمل فى مجال الدعوة الإسلامية فى البلاد الإسلامية والعالمية المختلفة والأستاذ المودودى هو من أبرز الدعاة والمفكرين الذين تدعم تأليفاتهم القيمة هذه المنظمات فكرياً وعلمياً ، وعلى هذا نرى أن العديد من مؤلفات الأستاذ المودودى قد ترجمت إلى أكثر من خمس وثلاثين لغة من اللغات العالمية الحية ، وتنشر وتوزع هذه الكتب فى العالم

---

(١) مجلة الدعوة المصرية العدد الصادر فى أول دى الحجة عام ١٣٩٩ الهجرى ص : ٤ .

من شرقه إلى غربه ، ومن هذا يمكن لنا أن نعرف مدى أثر دعوة الأستاذ المودودى فى الجيل الإسلامى الجديد .

هكذا فإن أثر دعوة الأستاذ المودودى رحمه الله لم يقتصر على دائرة من الحياة دون دائرة أخرى ولا على طبقة من المجتمع دون طبقة أخرى ، بل يتسع نطاقه إلى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية من العقائد والإيمانيات إلى العبادات ، ومن النظام العائلى إلى النظام الاقتصادى ، ومن النظام الخلقى إلى النظام السياسى ، هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فإن مدى تأثير دعوته قد اتسعت دائرته إلى كل طبقة من طبقات المجتمع فالمتأثرون من دعوته يشملون الرجال والنساء ، العلماء والمثقفين ، ورجال السياسة والصحافة ، والطلاب والأساتذة ، والعمال والفلاحين وما إلى ذلك من طبقات المجتمع المختلفة .

هذا ، ومما يجدر ذكره أن دعوة الأستاذ المودودى رحمه الله لها دور كبير فى إنقاذ الجيل المثقف الجديد من براثن العبودية الفكرية للحضارة الإسلامية وفى إعادة ثقتهم فى صلاحية الإسلام لقيادة الركب البشرى إلى الخير والسعادة فى العصر الحاضر .

ويتبين مما ذكر أن الأستاذ المودودى رحمه الله هو من أكبر رواد الحركة الإسلامية العالمية فى هذا العصر وهذا ما يتطلب من العاملين فى مجال الدعوة فى الأقطار الإسلامية والعالمية المختلفة أن يتعرفوا على حياة هذا الداعية الكبير ودعوته وجهاده ومؤثرات دعوته الفكرية والعلمية وإننى كطالب لمدرسة الأستاذ المودودى رحمه الله رأيت من واجبى أن أقوم بالتعريف بهذه النواحى لحياة الأستاذ المودودى رحمه الله ودعوته وجهاده للعاملين فى الدعوة ويشتمل هذا الكتاب على خمسة فصول ، ولكل فصل عدة مباحث وبيانها كالأتى :

الفصل الأول :

يتعلق بالعصر الذى عاش فيه المودودى ويشمل ستة مباحث :

المبحث الأول : يشمل التمهيد للفصل وتحدثت فيه عن الأوضاع السائدة فى العالم فى بداية القرن العشرين الميلادى وتكلمت بإيجاز عن نشأة الحضارة الغربية الحديثة الجاهلية وعن علومها اللادينية وفلسفاتها المادية .

المبحث الثانى : ذكرت فيه أوضاع العالم الإسلامى فى ذلك العصر وكيفية سيطرة الحضارة الغربية الجاهلية على العالم الإسلامى تحت رعاية الاستعمار الغاشم .

المبحث الثالث : تكلمت فيه عن الأوضاع السياسية فى شبه القارة الهندية فى ذلك العصر وذكرت حالة مسلمى الهند السياسية بعد سقوط دولتهم على أيدى الاستعمار الإنجليزى كما تكلمت عن سياسة الأحزاب السياسية المختلفة تجاه الإسلام والمسلمين مع بيان موقف الإسلام منها ، ثم تحدثت عن الأوضاع السياسية فى جمهورية باكستان الإسلامية بعد إنشاء هذه الدولة المسلمة فى عام ١٩٤٧ مع الإشارة إلى الصراع بين الحركة الإسلامية وبين العلمانيين والمتفرنجين والشيوعيين لإقامة النظام الإسلامى فيها .

المبحث الرابع : تحدثت فيه بإيجاز عن الحالة الدينية لمسلمى الهند فى ذلك العصر وتكلمت فيه كذلك عن المراحل المختلفة التى مرت بها الدعوة الإسلامية فى شبه القارة الهندية خلال أدوارها التاريخية المختلفة ثم ذكرت وضع مسلمى الهند الدينى حينما سيطرا عليهم الحضارة الغربية الجاهلية تحت رعاية الاستعمار الغاشم وتكلمت عن مؤثرات هذه الحضارة اللادينية فى حياة مسلمى الهند الدينية ، وفى هذا الصدد تحدثت بصفة خاصة عن موقف السيد أحمد خان الإنهزامى تجاه الحضارة الغربية مع بيان مؤثرات هذا الموقف الخاطىء ، كما تكلمت بإيجاز عن الحركات الهدامة كالقاديانية وحركة إنكار حجية السنة النبوية والتنصير والشيوعية والماسونية وما إلى ذلك من الحركات المعادية للإسلام ، ثم تحدثت موجزا عن الحالة الدينية فى دولة باكستان مع الإشارة إلى الصراع بين الإسلام والجاهلية فيها .

المبحث الخامس : تحدثت فيه عن حالة مسلمى الهند الاجتماعية فى ذلك العصر ، وذكرت بعض المفاسد التى ظهرت فى المجتمع الإسلامى الهندى بعد سيطرة الحضارة الغربية الجاهلية ، ومنها بداية الخلاعة والسفور ومنها تخطيط الشيوعيين للنفوذ فى دوائر الحياة الاجتماعية المختلفة ولاسيما فى مجال العمل والأدب والصحافة ، ومنها سيطرة المرابين الهنادك على اقتصاد مسلمى الهند وما إلى ذلك ، كما تحدثت فيه عن أوضاع المسلمين الاجتماعية الإسلامية فيها كما

تحدثت فيه عن أوضاع المسلمين الاجتماعية بعد إنشاء دولة باكستان الإسلامية مع الإشارة إلى المخططات والمؤامرات التى جاءت بها الحركات المعادية للإسلام للقضاء على القيم الأخلاقية والاجتماعية الإسلامية فيها، كما تحدثت عن الصراع بين الحركة الإسلامية والعلمانيين والمتفرنجيين والشيوعيين فى دوائر الحياة الاجتماعية المختلفة .

المبحث السادس : تكلمت فيه عن مؤثرات الصراع بين الإسلام والجاهلية الحديثة فى حياة الأمة الإسلامية الفردية والاجتماعية ولاسيما فى شبه القارة الباكهندية وذلك من بداية غزو الاستعمار الحضارى حتى وفاة الأستاذ المودودى فى عام ١٩٧٩ الميلادى .

الفصل الثانى :

يتعلق بترجمة الأستاذ المودودى وجهاده فى مجال الدعوة الإسلامية وتكلمت فيه عن ولادته وأسرته ونشأته وثقافته وتربيته ثم تحدثت عن دخوله فى مجال الصحافة وعمله فيه ثم تحدثت عن ظهور التفسير فى مجرى حياته بعد تأليف كتابه « الجهاد فى الإسلام » الشهير وتركه مجال الصحافة ليعد نفسه للعمل فى مجال الدعوة. ثم تحدثت عن بدايته بالدعوة فعلا بإصدار مجلة ترجمان القرآن الشهرية عام ١٩٣٢ م بالإشارة إلى بعض المزايا لأسلوبه فى تلك الأيام ، وفى هذا الصدد تعرضت لهجرته إلى قرية « دار الإسلام » فى إقليم بنجاب ملبيا دعوة الدكتور محمد إقبال[١] ليجعلها مستقرا لدعوته كما بينت موقفه من سياسة حزب المؤتمر الهندى وحزب رابطة المسلمين تجاه الإسلام والمسلمين فى شبه القارة ثم تحدثت عن تأسيس الجماعة الإسلامية والاهتمام بالتكوين والتربية للجماعة، ثم كتبت عن جهاده الطويل لإقامة حكومة إسلامية فى باكستان ، وفى هذا الصدد تحدثت عن ما لقى الأستاذ من المصاعب والشدائد فى مجال الدعوة ابتداء من السخرية والاستهزاء والاتهام والأكاذيب إلى السجون وصدور الحكم بإعدامه . كما ذكرت بإيجاز دوره فى مواجهة التحديات المعاصرة على مستوى العالم الإسلامى .

---

(١) انظر للترجمة : ص ٧٢ من هذه الرسالة .

الفصل الثالث :

تحدثت فيه عن أصول دعوة الأستاذ المودودى وخصائصها ومنهجها ومراحلها وذلك لأن الدعوة الإسلامية هى المحور الذى يدور حوله كل ما يعمله الأستاذ المودودى طول حياته وكل ما كتبه فى كتبه أو تفسيره ، ومن الضرورى أن ندرس منهجه فى الدعوة لنتمكن من فهم منهجه فى التفسير .

الفصل الرابع :

تكلمت فيه عن أهم المؤلفات للأستاذ المودودى ثم جئت بقائمة كتبه المختلفة وذلك حسب التصنيف الموضوعى مع بيان أهم المزايا لكل صنف منها .

الفصل الخامس :

تحدثت فيه عن مدى تأثير دعوة الأستاذ المودودى فى العالم الإسلامى ولا سيما فى شبه القارة الباكهندية ، وفى هذا الصدد ذكرت بصفة خاصة مؤثرات دعوته الفكرية والعلمية فى دوائر الحياة الفردية والاجتماعية المختلفة .

وأخيرا أقدم خالص شكرى وتقديرى لفضيلة الدكتور أحمد أحمد غلوش المشرف على رسالتى بعنوان « الأستاذ المودودى ومنهجه فى التفسير » التى يشتمل هذا الكتاب على بابها الأول ثم أشكر القائمين على كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى لتشجيعهم الشامل لإخراج هذا البحث . ولا يفوتنى أن أقدم شكرى وتقديرى لفضيلة الأستاذ خليل أحمد الحامدى المدير العام لدار العروبة للدعوة الإسلامية بالمنصورة ، لاهور (باكستان) لتوجيهاته القيمة فى تقديم هذا الكتاب ، فجزاهم الله خيرا فى الدنيا والآخرة .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يقبل منى هذا السعى المتواضع فى مجال الدعوة الإسلامية ويجعله وسيلة لنشر الدعوة كما أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يغفر لى ويستر عنى ، وعليه توكلت وإليه أنيب .

أليف الدين الترابى

مجمع المعارف الإسلامية

بالمنصورة ، لاهور

(باكستان)

تقديـــم

للدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الحميدى

عميد كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فإن الإنسان حينما يريد أن يكتب عن الأستاذ أبى الأعلى المودودى – رحمه الله – يشعر بهيبة وتردد لأنه يكتب عن قمة من القمم العليا وعلم من أعلام الإسلام .

وما الذى يمكن أن يكتبه من كان قاعدا بين الكتب والأوراق عن مجاهد كبير قضى حياته وهو يصول ويجول فى حلبات الصراع من أجل الدفاع عن الإسلام ومحاولة الإبقاء على البقية الباقية من الإيمان فى نفوس المسلمين .

ولئن كانت حياة الناس تقاس بعشرات السنين التى عاشوها على هذه الأرض فإن حياة الإمام المودودى تقاس بمئات السنين لأن الله أحيا به أمة من الموت المعنوى وأنقذ أجيالا من الجهل .

ولئن كان أعداء الإسلام حاولوا جاهدين أكثر من مرة أن يكيدوا له ولدعوته وأن يوقعوه فى المهالك عن طريق عملائهم المندسين فى صفوف المسلمين تارة أو عن طريق استغلال بعض الدعاة وعلماء الدين الذين لم يفهموا دعوته تارة أخرى ، فإن الله – عز وجل – كان لهم بالمرصاد فلم يصلوا إلى أهدافهم الخبيثة وإنما زاد إصراراهم على حرب دعوته من قوتها وانتشارها ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

ولن أفيض فى بيان مزايا هذا الإمام الكبير فقد قام بذلك مؤلف هذا الكتاب الأستـــاذ أليف الدين الترابى – على أحسن وجه فقد بيّن أثره الكبير على العالم الإسلامى وخصوصا فى شبه القارة الهندية بعد ما أفاض فى بيان أحوال العصر الذى عاش فيه وحاجته الماسة إلى وجود المصلحين .

ولقد أجاد الباحث فى تصوير دور المودودى فى بعث اليقظة الإسلامية وإعادة الثقة بالإسلام إلى أفهام المسلمين بعد الاهتزاز الذى نتج عن الغزو العسكرى والثقافى من بلاد الغرب لبلاد الإسلام .

كما أجاد فى بيان دور الجماعة الإسلامية كحركة رائدة فى مجال الدعوة المنظمة التى تدعو إلى تطبيق الإسلام على جميع نواحى الحياة ، والتى لا تتغير مفاهيمها ومبادؤها فى وقت الشدائد والمحن ، ولا تنكمش على المبادىء التى لا تضطرها إلى مجابهة القيادات الضالة والجماهير الجامحة كما تفعل كثير من الجماعات الأخرى .

إلى جانب بيان المنهج الواضح المبسط الذى سار عليه المودودى فى سبيل إيصال المفهوم الصحيح للإسلام إلى أذهان المسلمين وترجمته إلى غير المسلمين والذى كان له أبلغ الأثر فى عودة كثير من الشباب إلى الإسلام ودخول عدد كبير من غير المسلمين فى الإسلام .

وإننى إذ أقدم لهذا الكتاب الجيد بهذه المقدمة الموجزة – أسأل الله – العلى القدير – أن يوجه صاحبه وإخوانه لما فيه خير الإسلام والمسلمين .

د . عبدالعزيز بن عبدالله الحميدى
عميد كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى

مكة المكرمة فى ١٤٠٦/٧/١٩ هـ

مقدمـــة الرســـالة

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين الذى وفقنى لإتمام هذه الرسالة وأعاننى على إخراجها والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين .

أما بعد

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من لا يشكر الناس لا يشكر الله عز وجل » أو كما قال ﷺ .

فلهذا أرى من واجبى أن أشكر كل من له أية مساهمة أو مساعدة أو توجيه فى إخراج هذه الرسالة فى صورتها الحالية وأسأل الله عز وجل أن يجزيهم أحسن الجزاء .

وأقدم خالص شكرى وتقديرى لفضيلة الدكتور أحمد أحمد غلوش المشرف على هذه الرسالة لتوجيهاته القيمة وعنايته الخاصة التى تمكنت بها من إكمال هذه الرسالة ولا يفوتنى أن أقدم شكرى للقائمين على كلية الشريعة والدراسات الإسلامية وأخص بالذكر سعادة الدكتور على الحكمى عميد كلية الشريعة وسعادة الدكتور عليان الحازمى عميد كلية الشريعة السابق وسعادة الدكتور محمد سعد الرشيد عميد كلية الشريعة الأسبق لما قدموه من المساعدات الكريمة لإكمال هذه الرّسالة .

وأسأل الله عز وجل أن يوفقهم لما يحبّه ويرضيه والله ولى التوفيق .

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد

فقد منَّ الله سبحانه وتعالى على الخلق إذ بعث فيهم خاتم المرسلين سيدنا محمدًا ﷺ بكتابه العظيم « القرآن الكريم » ليخرج البشرية من الظلمات إلى النور ، ومن الضلالة إلى الهداية ، ومن الجاهلية إلى الإسلام ومن عبادة الأوثان إلى عبادة الله ، ومن عبودية الناس إلى عبودية خالق الناس ، ومن جور الأديان إلى عدل الإيمان ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن حاكمية الطاغوت إلى حاكمية الله سبحانه وتعالى .

وقد بعث الله سيدنا محمدا ﷺ بأكمل دين وأقوم شريعة وأنزل عليه ﷺ كتابه العزيز ليكون تشريعا خالدا للبشرية على مر العصور والأيام ، وكان هذا الكتاب العظيم دستورا وتشريعا للدولة الإسلامية الأولى التى أقامها النبى ﷺ بالمدينة المنورة والتى تولى رئاستها بعد وفاته ﷺ خلفاؤه الراشدون ولا يعرف التاريخ دورا أكمل وأجمل وأزهر من ذلك الدور الذهبى ، فيقول الشهيد سيد قطب فى مقدمة تفسيره (فى ظلال القرآن) عن هذا الانقلاب العظيم فى التاريخ البشرى : « تسلم الإسلام القيادة بهذا القرآن وبالتصور الجديد الذى جاء به القرآن ، وبالشريعة المستمدة من هذا التصور فكان ذلك مولدا جديدا للإنسان أعظم فى حقيقته من المولد الذى كانت به نشأته ، لقد أنشأ هذا القرآن للبشرية تصورا جديدا عن الوجود والحياة والقيم والنظم ، كما حقق لها واقعا اجتماعيا فريدا كان يعز على خيالها تصوره مجرد تصور ، قبل أن ينشئه لها القرآن إنشاء ، نعم ، لقد كان هذا الواقع من النظافة والجمال والعظمة والارتفاع ، والبساطة واليسر والواقعية والإيجابية والتوازن والتناسق بحيث

لا يخطر للبشرية على بال ، لولا أن الله أراد لها وحققه فى حياتها .. فى ظلال القرآن ومنهج القرآن وشريعة القرآن »[1] .

وظل المسلمون يقودون الركب البشرى إلى الخير والسعادة والرقى والازدهار ، سياسيا وحضاريا ، لعدة قرون إلى أن بدأ انحطاطهم السياسى والحضارى وذلك لفصلهم الدين عن الدولة وعدم عنايتهم بالجهاد والاجتهاد ، وهذا ما أدى إلى تخلفهم سياسيا وحضاريا وعزلهم عن منصب القيادة البشرية وكان ذلك فى الوقت الذى بدأت فيه النهضة العلمية والتكنولوجية فى العالم الغربى ، وازدهرت الحضارة المادية الجاهلية الحديثة بعد انتصار الحركة العلمية المادية على الكنيسة ، كما كان ذلك فى الوقت الذى بدأ فيه الاستعمار الغربى الغاشم غزوه السياسى والحضارى للعالم الإسلامى ، فوقع العالم الإسلامى تحت سيطرة الاستعمار السياسية والحضارية ، فخطط الاستعمار مخططات ومؤامرات للقضاء على صلة المجتمعات الإسلامية بدينهم وحضارتهم وثقافتهم وتاريخهم وتراثهم وقيمهم الأخلاقية وشريعتهم الربانية السامية مستبدلا بها الفلسفات المادية الجاهلية والحضارة اللادينية الحديثة والقيم الأخلاقية المادية والثقافة الإفرنجية اللادينية والقوانين الوضعية الجاهلية ، وكان تجاوب الأمة الإسلامية لهذا الغزو الاستعمارى بصورتين مختلفتين :

أولاهما : التجاوب الانفعالى ، **وثانيتهما** : التجاوب الجمودى ، **فأما** التجاوب الانفعالى فقد أدى إلى الاستسلام والخضوع الكامل لكل ما جاء من الغرب صحيحا كان أو غير صحيح ، غثا كان أم سمينا ، وأما التجاوب الجمودى فكان يهدف إلى المحافظة على ما بقى من التراث الإسلامى من غارة الاستعمار الغاشم ، ولكنه أدى إلى اعتزال العلماء بل ابتعادهم عن معترك الحياة وبهذا تمكن المثقفون المتفرنجون من السيطرة على زعامة الشعوب الإسلامية فى البلاد الإسلامية المختلفة .

لقد تمت سيطرة الاستعمار السياسية والحضارية على العالم الإسلامى خلال الربع الأول للقرن العشرين الميلادى ، إذ تمكن الاستعمار من القضاء على الخلافة

---

(١) الشهيد سيد قطب : فى ظلال القرآن جـ ١ ص ١٦ .

الإسلامية وبث النعرات القومية الجاهلية لتمزيق وحدة العالم الإسلامى وإثر ذلك وقع العالم الإسلامى من شرقه إلى غربه فى العبودية الفكرية للحضارة الاستعمارية الجاهلية .

كانت هذه هى الأوضاع السائدة فى العالم الإسلامى حينما شاء الله سبحانه وتعالى أن تقوم الدعوة الإسلاميه لإحياء التصور الصحيح للإسلام وإنقاذ المسلمين من العبودية الفكرية للحضارة الاستعمارية الجاهلية ، فظهرت الدعوة فى نفس الوقت فى بلدين مختلفين إذ تأسست حركة الإخوان المسلمين فى مصر عام ١٩٢٨ الميلادى وفى الوقت ذاته قرر الأستاذ المودودى فى شبه القارة الهندية أن يترك مهنة الصحافة ليعد نفسه للعمل فى مجال الدعوة ، فيقول الأستاذ المودودى عن استعداداه هذا للدعوة : « أفرغت من عام ١٩٢٩ إلى عام ١٩٣٢ الميلادى العديد من خزانات الكتب والمراجع فى ذهنى استعدادا للمهمة الجديدة ، مهمة الدعوة إلى الإسلام فى عصر ملىء بالأفكار والتيارات ، يفرض على الداعية أن يتزود بزاد علمى شامل وأن يحظى بعصا من البرهان يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه ويحقق بها ... مآربه الأخرى »[1] .

ثم يبدأ الأستاذ المودودى بالدعوة فعلا عام ١٩٣٣ الميلادى حيث يقوم بإصدار مجلة ترجمان القرآن التى كانت « غايتها الوحيدة إعلاء كلمة الله والدعوة إلى الجهاد فى سبيل الله »[2] . وبعد أن استمر المودودى فى عمل الدعوة لأكثر من ثمان سنوات ، نقداً للحضارة الجاهلية الحديثة فى كل نواحيها ومبينا صلاحية الإسلام لمواجهة التحديات المعاصرة ولقيادة البشرية فى العصر الحاضر فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ، قام بتأسيس الجماعة الإسلامية عام ١٩٤١ الميلادى ، وقرر إقامة الدين فى كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية غاية وهدفا لها .

ويقول العلامة الجليل الأستاذ عمر التلمساني المرشد العام الحالى للإخوان المسلمين مقارنا بين الإمام حسن البنا الشهيد والإمام أبى الأعلى المودودى وبين منهجيهما فى الدعوة الإسلامية : « إنهما بحق إماما الجيل الظاهران المتفردان ، إنهما

---

(١) الأستاذ خليل الحامدى – الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ودعوته وجهاده ص ١٨ ، ١٩ .
(٢) الأستاذ خليل الحامدى – الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ، دعوته ، جهاده ص ٢٠ .

استمدا كل معلوماتهما ومناهجهما و أساليبهما ووسائلهما فى الدعوة إلى الله من القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ دون أخذ من هذا الفيلسوف أو استمداد من ذلك الكاتب ، فجاءت مدرستهما بعيدة كل البعد عما قد يعيب الدعوة الإسلامية بأى فهم أو تفكير لا صلة له بالإسلام »[١] . وتعمل الآن الجماعة الإسلامية فى ثمان دول وهى : باكستان والهند ، وبنغلاديش ، وولاية جامو وكشمير الحرة ، وولاية جامو وكشمير المحتلة ، ونيبال ، وسيلان ، وبورما ، ومنها أقطار إسلامية كجمهورية باكستان الإسلامية ، وبنغلاديش ، وولاية كشمير الحرة الإسلامية ، ومنها أقطار غير إسلامية كالهند ، ونيبال وسيلان وبورما ، ومنها بلاد إسلامية احتلها الاستعمار الغاشم كولاية جامو وكشمير المحتلة . وفى كل تلك البلاد تعمل الجماعة الإسلامية لتحقيق ما تهدف إليه ، إلا أن أسلوبها للعمل يختلف من بلد إلى بلد حسب الأوضاع و الظروف التى تسودها .

وقد اتضح أخيرا وبعد أن دخلت القوات السوفيتية بلدا إسلاميا عريقا هو أفغانستان ، أن الدعوة الإسلامية التى قامت فى ربوع شبه القارة الهندية تغلغلت أيضا فيها عن طريق تأليفات الأستاذ المودودى رحمه الله ، فقد ذكر لى الأستاذ عبد رب الرسول سياف[٢] ، أمير الجهاد الإسلامى بأفغانستان خلال إحدى مقابلاته الخاصة معى أن تأليفات الأستاذ المودودى والشهيد سيد قطب رحمهما الله لها دور أساسى فى إنشاء الحركة الإسلامية فى أفغانستان وكذلك حكى لى المهندس كلبدين حكمتيار[٣] نائب أمير الاتحاد الإسلامى لمجاهدى أفغانستان أن الحركة الإسلامية فى أفغانستان قد برزت إلى حيز الوجود نتيجة

---

(١) مجلة الدعوة المصرية العدد الصادر فى أول ذى الحجة عام ١٣٩٩ هـ ، ص ٤ .

(٢) هو الأستاذ عبد رب الرسول سياف ، أمير الاتحاد الإسلامى لمجاهدى أفغانستان وهو ليس رجل سيف وسنان فحسب بل هو رجل علم ودعوة أيضا حيث أنه تخرج من كلية الشريعة بالأزهر الشريف ، وتصادف له أثناء إقامته فى القاهرة أن يتعرف على دعوة الإخوان المسلمين ، وبعد عودته من مصر تولى مهمة التدريس فى كلية الإمام أبى حنيفة التابعة لجامعة كابول ، وتأثر بدعوة الأستاذ المودودى خلال مؤلفاته باللغة العربية واحتكاكه برجال الجماعة الإسلامية وانشغاله بالدعوة ضمن مجموعة من الأساتذة والطلبة الذين أنشئوا حركة إسلامية سرية فى المحيط الجامعى .

(٣) هو المهندس كلبدين حكمتيار ، تخرج من كلية الهندسة التابعة لجامعة كابول ، وتعرف على دعوة الأستاذ المودودى وانضم إلى الحركة الإسلامية خلال دراسته الجامعية ، وكان رئيسا للحزب الإسلامى قبل إنشاء الاتحاد الإسلامى لمجاهدى أفغانستان .

لدعوة الأستاذ المودودى رحمه الله .

وعلاوة على هذا فهناك الكثير من المنظمات والجمعيات التى تعمل لنشر الدعوة الإسلامية فى البلاد الأوربية والأمريكية والأفريقية والآسيوية المختلفة والأستاذ المودودى هو من أبرز الدعاة والمفكرين الذين توجه تأليفاتهم هذه المنظمات والجمعيات ، فكريا وعمليا ، وعلى هذا نرى أن العديد من تأليفات الأستاذ قد ترجمت فى أكثر من خمس وثلاثين لغة من اللغات العالمية الحية ، وتنشر وتوزع هذه الكتب فى العالم من شرقه إلى غربه ، ومن هذا يمكن لنا أن نعرف مدى أثر دعوة الأستاذ المودودى فى الجيل الإسلامى الجديد ، ويقول الكاتب الإسلامى الكبير الشيخ أبو الحسن على الندوى فى كلمته فى رثاء الأستاذ المودودى : « إنى لا أعرف رجلا أثر فى الجيل الإسلامى الجديد فكريا وعلميا مثل تأثير الراحل العظيم ، وقد كان السيد جمال الدين الأفغانى من أقوى الشخصيات الإسلامية التى نبغت فى القرن الماضى وأكبرها نفوذا فى عقول الشباب المثقف ، ولكن الحق يقال إن سيطرته العقلية والنفسية كانت محدودة فى السخط على الأوضاع السياسية القائمة والاستعمار الأجنبى ... وأما الأستاذ المودودى فقد قامت دعوته على أسس علمية أعمق وأمتن من الأسس التى قامت عليها دعوات سياسية »[1] .

ومن مآثره الخالدة ، أنه حارب « مركب النقص » فى نفوس الشباب الإسلامى فيما يتصل بالعقائد والأخلاق ونظام الحياة الإسلامية ، وكان لكتاباته فضل كبير لإعادة الثقة إلى نفوس هؤلاء الشباب بصلاحية الإسلام لمسايرة العصر الحديث[1] .

وجدير بالذكر أن أثر دعوة الأستاذ لم يقتصر على طبقة دون طبقة ، بل تتسع دائرته إلى كل طبقة من طبقات المجتمع ، فالمتأثرون من دعوته يشملون الرجال والنساء ، العلماء والمثقفين ، ورجال الصحافة والسياسة والطلاب والأساتذة ، والعمال ، والفلاحين وما إلى ذلك ، وهكذا لم يقتصر أثر دعوته على

---

(١) مجلة البعث الإسلامى فى المحرم سنة ١٤٠٠ هـ ، كلمة الأستاذ الندوى فى رثاء الأستاد المودودى نقلا عن الأستاذ أحمد محمد جمال – حوار بين الدعاة الأعلام المودودى والندوى وسيد قطب ص ٦١ – ٦٢ .

دائرة بعينها للحياة الإنسانية بل اتسع نطاقه إلى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية .

وجدير بالذكر أن لحمة دعوة الأستاذ المودودى وسداها هى القرآن الكريم وهذا ما يشير إليه الأستاذ حيث يقول : « لما قرأت القرآن بعينى المفتوحة شعرت بأن كل شيء قرأته حتى الآن كان تافها غير ذى بال وقد وجدت الآن أصل الأصول فى باب العلم وأصبح يتراءى لى كل من كانت[1] وهيجل[2] ونيتشة[3] وماركس[4] وسائر المفكرين الذين يسير بذكرهم الركبان فى العصر الحديث أقزاما يستحقون العطف لأن المسائل والتعقيدات التى أفنوا حياتهم فى حلها وألفوا فيها كتبا طائلة لم يحالفهم التوفيق مع أن القرآن الكريم أوجد لها حلا فى آية أو آيتين ، فليس لى من كتاب اعتبره منقذا لى فى الحياة إلا القرآن والقرآن فقط الذى غير مجرى حياتى ، حولنى من حيوان إلى إنسان ، أخرجنى من الظلمات إلى النور ، جعل فى يدى مصباحا إلى أى شيء أنظر فى ضوئه ينكشف لى حقيقة أمره واضحة جلية لا خفاء عليها ، ويوصف ذلك المصباح باللغة الإنجليزية بالمفتاح الرئيسى (Master Key) الذى ينفتح به كل قفل ، فالقرآن أصبح لى المفتاح الرئيسى ، لا استعمله فى قفل من أقفال المعضلات البشرية إلا وينفتح بسرعة »[5] .

ويقول الأستاذ المودودى متكلما عن منطلق دعوته :

« حينما بدأت تأليف كتاب « الجهاد فى الإسلام » بدأت دراسة القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والسيرة النبوية ، بإمعان النظر والدقة . فكان خلال هذه الدراسة أن اتضح لى أن القرآن الكريم هو كتاب بدأت الحركة الإسلامية

---

(١) هو عمانويل كانت الفيلسوف الألمانى الكبير (١٧٢٤ - ١٨٠٤) .

(٢) انظر للترجمة : ص ٢٤ من هذه الرسالة .

(٣) هو فردريخ فلهلم نيتشة (١٨٤٤ - ١٩٥٥) فيلسوف ألمانى كبير ، تقوم فلسفته على رفض القيم الخلقية المطلقة وجعل مثله الأعلى الرجل المتفوق (السبرمان) الذى يفرض إرادته على الذين لا يستطيعون أن يكونوا إلا عبيدا (الموسوعة العربية ص ٧٨٩) .

(٤) انظر للترجمة : ص ٢٥ من هذه الرسالة .

(٥) نقلا عن الأستاذ خليل الحامدى : تفهيم القرآن وخصائصه ص ٥ - ٦ .

ببداية نزوله ، فكيف لنا إذن أن نكتفى بدراسته ، فلابد لنا أن نبدأ بالحركة التى بدأت بنزول هذا الكتاب العظيم . وإننى لم أزل أفكر فى هذا الموضوع حتى وفقنى الله بأن أقوم بتأسيس الحركة الإسلامية فى أغسطس عام ١٩٤١ الميلادى وأن أبدأ تأليف تفسير القرآن الكريم بعد ستة شهور فى فبراير عام ١٩٤٢ الميلادى فـلله الحمد »[١] .

وهكذا يقول الأستاذ مبينا العلاقة بين دعوته وبين القرآن الكريم :

« حينما وفقنى الله أن أقوم بتأسيس الحركة الإسلامية ، اتضح لى أنه مهما أبذل جهودى فى مجال الدعوة بلسانى وقلمى لا يمكن لى أن أتمكن من تحقيق هذا الهدف السامى إلا إذا جعلت القرآن وسيلة له ، وذلك لأن هذا الكتاب العظيم قد أنزله الله لتحقيق هذا الهدف ذاته ، فلا يمكن للناس أن يفهموا الدعوة الإسلامية إلا إذا تمكنوا من فهم القرآن الكريم ، فكان لابد أن أقوم بتفسير القرآن وتفهيمه ليتمكن الناس من فهم الدعوة الإسلامية فهما صحيحا »[٢] .

فيتضح مما سبق أن دعوة الأستاذ المودودى كان منطلقها القرآن الكريم وكان هو المحور الذى تدور حوله هذه الدعوة ، وهذا هو الكتاب الذى غير مجرى حياته ، وهذا هو المصباح الذى اكتشف له الحق ، وهذا هو المفتاح الرئيسى الذى تمكن به الأستاذ أن يفتح أقفال المعضلات والتعقيدات العصرية ، وكان بهذا الكتاب أن تمكن الأستاذ من مواجهة التحديات المعاصرة كما كان بهذا الكتاب أن تمكن الأستاذ من القضاء على الحركات الهدامة المختلفة وهذا هو الكتاب العزيز الذى استطاع به الأستاذ أن يقضى على العبودية الفكرية للحضارة الغربية ويتمكن من إعادة ثقة الجيل الجديد فى صلاحية الإسلام لقيادة الركب البشرى فى العصر الحاضر .

وهكذا يتبين مما أسلفنا العلاقة الموجودة بين دعوة الأستاذ المودودى وبين تفسيره ، فقام الأستاذ المودوى بإنشاء الحركة الإسلامية لأن هذا كان من

---

(١) أبو طارق : مولانا مودودى كى انشرويو ص ٤٩٧ .

(٢) مجلة ائين الأسبوعية : عدد خاص فى ذكرى إكمال (تفهيم القرآن) (كلمة الأستاذ المودودى فى، حفل خاص انعقد بمناسبة إكمال تفهيم القرآن فى يوليو عام ١٩٧٢) ص ١١٥ .

متطلبات القرآن الكريم الأساسية وقام بتأليف تفسيره للقرآن الكريم لأن هذا كان من مقتضيات الحركة الإسلامية ، فقرر الأستاذ المودودى أن يقوم بالعمل فى مجال الدعوة حينما اكتشف له خلال دراسته للقرآن الكريم أن القرآن هو كتاب أنزله الله لقيادة الحركة الإسلامية ولا يمكن العمل بمقتضياته إلا بإنشاء هذه الحركة ، فقرر أن يؤلف تفسيره للقرآن الكريم حينما بدا له خلال عمله فى مجال الدعوة أنه لا يمكن له أن يتمكن من تحقيق هذا الهدف إلا إذا جعل القرآن الكريم وسيلة له .

فكان لهذه العلاقة بين دعوة الأستاذ المودودى وبين تفسيره للقرآن الكريم أنه تمكن من إبراز الجوانب التفسيرية التى قد شوهت من أجل سيطرة الحضارة الغربية الجاهلية فكريا وعمليا ، ومنها أن الإسلام دين ودولة ولا يمكن العمل به إلا بإقامة حكم إسلامى ومنها أن الإسلام دين كامل يشمل كل ناحية من نواحى الحياة الفردية منها والاجتماعية ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى اعتنى الأستاذ خلال تفسيره للقرآن بمواجهة التحديات التى جاءت بها الحضارة الجاهلية الحديثة وثقافتها اللادينية وفلسفاتها المادية ، كما اعتنى بالرد على أباطيل المستشرقين والمبشرين والمتفرنجين بالإضافة إلى اعتنائه بالقضاء على ما جاءت به الحركات الهدامة المعادية للإسلام من تأويلات باطلة وأفكار زائفة وكل ذلك مع اهتمامه الخاص بالجمع بين الرواية والدراية ، وهذا ما يمتاز به منهجه فى تفسير القرآن الكريم .

إن الأسباب التى دفعتنى أن اختار دراسة منهج الأستاذ المودودى فى التفسير موضوعا لرسالتى للماجستير هى كالآتى :

١ – **لم يؤلف الأستاذ المودودى تفسيره للقرآن الكريم جالسا فى زاوية من الزوايا ، بل ألفه وهو يقود الحركة الإسلامية التى أنزل الله سبحانه هذا الكتاب العظيم على نبيه ﷺ لقيادتها ، وبهذا كان من الطبيعى أن يتمكن الأستاذ من** الوصول إلى الروح القرآنى الذى لا يمكن الوصول إليه إلا بالخوض فى المعركة بين الإسلام والجاهلية ، وهذا ما يلمسه القارىء خلال دراسته لهذا التفسير .

٢ – وكان لكون الأستاذ المودودى داعية ومفسرا معا أن اهتم خلال تفسيره للقرآن بالقضاء على أسطورة فصل الدين عن الدولة التى جاءت بها

الحضارة الجاهلية الحديثة تحت رعاية الاستعمار الغاشم وأن يبين صراحة أن الإسلام دين ودولة وهو دين كامل يشمل جميع نواحى الحياة ولا يعرف التجزئة وأن العمل بالإسلام لا يمكن إلا بإقامة حكم إسلامى .

٣ - وكان لاطلاعه الواسع على النظريات اللادينية والفلسفات المادية الجاهلية مع إمعان نظره فى القرآن والحديث والعلوم الدينية المختلفة أنه استطاع مواجهة التحديات المعاصرة وتفنيدها كالشيوعية والرأسمالية والعلمانية ونظرية التطور والنشوء لداروين والتفسير المادى للتاريخ لماركس وما إلى ذلك من الفلسفات والنظريات الجاهلية الحديثة ، كما اعتنى بالرد على التأويلات الباطلة التى جاء بها المستشرقون والمبشرون وتلامذتهم والقائمون بالحركات الهدامة المعادية للإسلام تحت رعاية الاستعمار الغاشم كالقاديانية وإنكار حجية السنة النبوية .

ثم هناك عدة مزايا وخصائص يمتاز بها تفسير الأستاذ المودودى للقرآن والأمر الذى يزيد تفسيره أهمية ومكانته كما أشرت إليه آنفا اهتمامه بالجمع بين الرواية والدراية ، وهذا ما يكسب هذا التفسير أهمية خاصة للجيل الإسلامى المعاصر وللعاملين فى مجال الدعوة .

وإننى لا أبالغ حين أقول إن هذا التفسير تمكن بفضله مئات الألوف من المسلمين المثقفين من تخليص أذهانهم من العبودية الفكرية للحضارة الجاهلية الحديثة ، كما أن له دورا هاماً فى إعادة ثقتهم فى صلاحية الإسلام فى قيادة الركب البشرى فى هذا العصر ، وأنا واحد من هؤلاء الملايين ، ولولا تعرفى على تفسير الأستاذ المودودى وتأليفاته القيمة لأصبحت لقمة سائغة لأى مضلل من أئمة الضلالة ، فلكل هذا رأيت أن أقوم بالتعريف بهذا التفسير العظيم لإخواننا الناطقين باللغة العربية عامة وللعاملين فى مجال الدعوة الإسلامية خاصة .

وجدير بالملاحظة أن هذا الموضوع لم يسبقنى أحد بإعداد الدراسة الشاملة فيه لا فى اللغة الأردية ولا فى اللغة العربية أو أية لغة أخرى ، وأما الكتاب الذين كتبوا عن شخص الأستاذ المودودى ودعوته فى اللغة الأردية واللغة العربية واللغة الإنجليزية أو اللغات الأخرى فإنهم لم يعتنوا ببيان منهج تفسير الأستاذ المودودى ومزاياه بل عرضوا له بالإيجاز الشديد .

وقد بدأ الأستاذ المودودى تأليف تفسيره « تفهيم القرآن » فى فبراير ١٩٤٢ الميلادى أى بعد حوالى ستة شهور من تأسيس الجماعة الإسلامية ، وكمله فى ستة مجلدات عام ١٩٧٢ الميلادى . وهكذا صرف من عمره حوالى ثلاثين عاما فى إكماله ، وهذه المدة تعتبر مدة غير عادية لتأليف تفسير للقرآن الكريم ، ولكنه لم يقتصر على تأليف هذا التفسير فحسب ، بل قام بتأليف عدد غير قليل من الكتب القيمة حول الدعوة ومقتضياتها مع قيادة الحركة الإسلامية فكريا وعمليا . فبينما نراه مفسرا للقرآن الكريم نراه فى الوقت نفسه قائدا لركب الدعوة مربيا للجيل الجديد مقاوما للفتن التى تحارب مسيرة الإسلام وزعيما للمعارضة فى وجه النظام الدكتاتورى ، وهكذا أحيانا هو فى مكتبه يتقلب بين الكتب والمصادر ، وحينا آخر هو فى الجولات يخاطب الجماهير ويتناول مشكلاتهم ، وحينا ثالثا فى قاعات الجامعات يناقش رجال الحكم والعلم والقانون لإقناعهم فى كون الإسلام صالحا لكل زمان ومكان ، وحينا رابعا يزج به فى السجون والمعتقلات لا لشىء إلا لكونه يرفض جميع الحاكميات إلا الحاكمية لله وحده[1] .

جملة القول هذه هى الظروف التى ألف الأستاذ تفسيره فيها ، وهذه كانت الأوضاع التى جعلت الأستاذ المودودى يأخذ هذه المدة الطويلة لإكمال تفسيره .

وقد ترجم تفسير الأستاذ المودودى فى اللغة الإنجليزية واللغة الهندية ، واللغة البنغالية ، واللغة السندية ، واللغة البشتوية ، واللغة السواحلية وعدة من اللغات الأخرى ، إلا أن ترجمته باللغة العربية لم تصدر حتى الآن[2] .

وأما العنوان الذى اخترته لرسالتى هذه هو « الأستاذ المودودى ومنهجه فى التفسير » وتشمل الرسالة بابين والخاتمة .

أما الباب الأول :

فيتعلق بعصر الأستاذ المودودى وترجمته والتعريف بدعوته ومؤثرات دعوته

(١) الأستاذ خليل الحامدى : تفهيم القرآن وخصائصه ص ١١ .

(٢) كان ذلك وقت إعداد الرسالة ، وقد بدأ ظهور أجزاء من ترجمة عربية للتفسير .

الفكرية والعلمية ويشمل عدة فصول هى كالآتى :

الفصل الأول : يتعلق بالعصر الذى عاش فيه المودودى ويشمل ستة مباحث :

المبحث الأول : يشمل التمهيد للفصل وتحدثت فيه عن الأوضاع السائدة فى العالم فى بداية القرن العشرين الميلادى وتكلمت بإيجاز عن نشأة الحضارة الغربية الحديثة الجاهلية وعن علومها اللادينية وفلسفاتها المادية .

والمبحث الثانى : ذكرت فيه أوضاع العالم الإسلامى فى ذلك العصر وكيفية سيطرة الحضارة الغربية الجاهلية على العالم الإسلامى تحت رعاية الاستعمار الغاشم .

والمبحث الثالث : تكلمت فيه عن الأوضاع السياسية فى شبه القارة الهندية في ذلك العصر وذكرت حالة مسلمى الهند السياسية بعد سقوط دولتهم على أيدى الاستعمار الإنجليزى كما تكلمت عن سياسة الأحزاب السياسية المختلفة تجاه الإسلام والمسلمين مع بيان موقف الإسلام منها ، ثم تحدثت عن الأوضاع السياسية فى جمهورية باكستان الإسلامية بعد إنشاء هذه الدولة المسلمة فى عام ١٩٤٧ مع الإشارة إلى الصراع بين الحركة الإسلامية وبين العلمانيين والمتفرنجين والشيوعيين لإقامة النظام الإسلامى فيها .

والمبحث الرابع : تحدثت فيه بإيجاز عن الحالة الدينية لمسلمى الهند فى ذلك العصر وتكلمت فيه كذلك عن المراحل المختلفة التى مرت بها الدعوة الإسلامية فى شبه القارة الهندية خلال أدوارها التاريخية المختلفة ثم ذكرت وضع مسلمى الهند الدينى حينما سيطرت عليهم الحضارة الغربية الجاهلية تحت رعاية الاستعمار الغاشم وتكلمت عن مؤثرات هذه الحضارة اللادينية فى حياة مسلمى الهند الدينية ، وفى هذا الصدد تحدثت بصفة خاصة عن موقف السيد أحمد خان الانهزامى تجاه الحضارة الغربية مع بيان مؤثرات هذا الموقف الخاطىء ، كما تكلمت بإيجاز عن الحركات الهدامة كالقاديانية وحركة إنكار حجية السنة النبوية والتنصير والشيوعية والماسونية وما إلى ذلك من الحركات المعادية للإسلام ، ثم تحدثت موجزا عن الحالة الدينية فى دولة باكستان المسلمة مع الإشارة إلى الصراع بين الإسلام والجاهلية فيها .

والمبحث الخامس : تحدثت فيه عن حالة مسلمى الهند الاجتماعية فى ذلك العصر ، وذكرت بعض المفاسد التى ظهرت فى المجتمع الإسلامى الهندى بعد سيطرة الحضارة الغربية الجاهلية ، ومنها بداية الخلاعة والسفور ومنها تخطيط الشيوعيين للنفوذ فى دوائر الحياة الاجتماعية المختلفة ولاسيما فى مجال العمل والأدب والصحافة ومنها سيطرة المرابين الهنادك على اقتصاد مسلمى الهند وما إلى ذلك ، كما تحدثت فيه عن أوضاع المسلمين الاجتماعية بعد إنشاء دولة باكستان الإسلامية مع الإشارة إلى المخططات والمؤمرات التى جاءت بها الحركات المعادية للإسلام للقضاء على القيم الأخلاقية والاجتماعية الإسلامية فيها كما ذكرت عن الصراع بين الحركة الإسلامية والعلمانيين والمتفرنجين والشيوعيين فى دوائر الحياة الاجتماعية المختلفة .

المبحث السادس : تكلمت فيه عن مؤثرات الصراع بين الإسلام والجاهلية الحديثة فى حياة الأمة الإسلامية الفردية والاجتماعية ولاسيما فى شبه القارة الباكهندية وذلك من بداية غزو الاستعمار الحضارى حتى وفاة الأستاذ المودودى فى عام ١٩٧٩ الميلادى .

الفصل الثانى : يتعلق بترجمة الأستاذ المودودى وجهاده فى مجال الدعوة الإسلامية وتكلمت فيه عن ولادته وأسرته ونشأته وثقافته وتربيته ثم تحدثت عن دخوله فى مجال الصحافة وعمله فيه ثم ذكرت عن ظهور التفسير فى مجرى حياته بعد تأليف كتابه « الجهاد فى الإسلام » الشهير وتركه مجال الصحافة ليعد نفسه للعمل فى مجال الدعوة ثم تحدثت عن بدايته بالدعوة فعلا بإصدار مجلة ترجمان القرآن الشهرية عام ١٩٣٢ م بالإشارة إلى بعض المزايا لأسلوبه فى تلك الأيام وفى هذا الصدد ذكرت عن هجرته إلى قرية « دار الإسلام » فى إقليم بنجاب ملبيا دعوة الدكتور محمد إقبال[١] ليجعلها مستقرا لدعوته كما بينت موقفه عن سياسة حزب المؤتمر الهندى وحزب رابطة المسلمين تجاه الإسلام والمسلمين فى شبه القارة ثم تحدثت عن تأسيس الجماعة الإسلامية والاهتمام بالتكوين والتربية للجماعة ، ثم ذكرت عن جهاده الطويل لإقامة حكومة إسلامية فى باكستان ، وفى هذا الصدد تحدثت عن مالقى الأستاذ من المصاعب والشدائد فى مجال الدعوة ابتداء من السخرية والاستهزاء والاتهام والأكاذيب إلى السجون وصدور الحكم بإعدامه .

(١) انظر للترجمة : ص ٧٢ من هذه الرسالة .

كما ذكرت بإيجاز دوره فى مواجهة التحديات المعاصرة على مستوى العالم الإسلامى .

الفصل الثالث : تحدثت فيه عن أصول دعوة الأستاذ المودودى وخصائصها ومنهجها ومراحلها وذلك لأن الدعوة الإسلامية هى المحور الذى يدور حوله كل ما يعمله الأستاذ المودودى طول حياته وكل ما كتبه فى كتبه أو تفسيره ، ومن الضرورى أن ندرس منهجه فى الدعوة لنتمكن من فهم منهجه فى التفسير .

والفصل الرابع : تكلمت فيه عن أهم المؤلفات للأستاذ المودودى ثم جئت بقائمة كتبه المختلفة وذلك حسب التصنيف الموضوعى مع بيان أهم المزايا لكل صنف منها .

والفصل الخامس : تحدثت فيه عن مدى تأثير دعوة الأستاذ المودودى فى العالم الإسلامى ولاسيما فى شبه القارة الباكهندية وفى هذا الصدد ذكرت بصفة خاصة مؤثرات دعوته الفكرية والعلمية فى دوائر الحياة الفردية والاجتماعية المختلفة .

وأما الباب الثانى[1] :

فيتعلق بمنهج تفسير الأستاذ المودودى ومزاياه فيتكون هذا الباب من ثلاثة فصول :

أما الفصل الأول : فتحدثت فيه عن التفسير وتطوره خلال العصور ويشمل هذا الفصل مبحثين :

أما المبحث الأول : فتكلمت فيه عن المراد من التفسير لغة واصطلاحا ثم تحدثت عن ضرورة التفسير ومصادره المختلفة وفى هذا الصدد تكلمت عن تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالحديث وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتفسير بأقوال التابعين ثم تكلمت عن أشهر الكتب فى التفسير بالمأثور كما ذكرت أشهر التفاسير بالجمع بين الرواية والدراية ثم تحدثت عن التفسير فى العصر الحديث بأنواعه المختلفة ، وذكرت أشهر التفاسير فى كل نوع .

---

(١) سيصدر هذا الجزء فى كتاب مستقل .

وأما المبحث الثانى : فذكرت فيه بداية التفسير وتطوره فى شبه القارة الباكهندية ثم ذكرت عن أشهر التفاسير باللغة العربية بأنواعها المختلفة ثم تكلمت عن أشهر التفاسير باللغة الأردية بأنواعها المختلفة . وفى هذا الصدد بينت أن التفسير باللغة الأردية إما كان بالجمع بين الرواية والدراية على المنهج القديم وإما كان بالرأى المنكر للمأثور كتفسير السيد أحمد خان ومن سلك مسلكه بإنكار حجية السنة والتفسير بتأويل الآيات القرآنية تأويلات باطلة للتوفيق بين الإسلام والحضارة الغربية الجاهلية .

وأما الفصل الثانى : فيتعلق بالمقدمات الأساسية لدراسة منهج الأستاذ المودودى فى التفسير ويشمل ثلاثة مباحث :

أما المبحث الأول : فتحدثت فيه عن الأسباب التى دفعت الأستاذ المودودى للقيام بتأليف التفسير .

وأما المبحث الثانى : فبينت فيه الظروف التى ألف الأستاذ تفسيره فيها .

وأما المبحث الثالث : فبينت فيه أسلوب الأستاذ المودودى فى البحث والتحقيق خلال تفسيره للقرآن الكريم .

وأما الفصل الثالث : فيتعلق بمنهج تفسير الأستاذ المودودى ومزاياه ويشمل اثنا عشر مبحثا .

المبحث الأول : تحدثت فيه عن أسلوب الأستاذ المودودى لتقديم تفسيره لكل سورة بمقدمة مفصلة قيمة يتحدث الأستاذ فيها عن تسمية السورة وسبب نزولها كما يتكلم فيها عن المرحلة التى كانت فيها الحركة الإسلامية حين نزول السورة وبين العلاقة بين هذه المرحلة للدعوة وبين التوجيهات الربانية التى تضم محتويات السورة لهذه المرحلة كما يأتى الأستاذ فيها بموجز لمباحث السورة الرئيسية .

أما المبحث الثانى : فتكلمت فيه عن اهتمام الأستاذ المودودى البالغ بالتفسير بالمأثور وذكرت فيه ما قاله الأستاذ مبينا أهمية الالتزام بالتفسير بالمأثور ثم جئت بالنماذج من تفسيره « تفهيم القرآن » لاهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن وتفسير

القرآن بالحديث . وفى هذا الصدد راجعت المصادر الأساسية للأحاديث الواردة فى التفسير .

وأما المبحث الثالث : فيتعلق باهتمام الأستاذ المودودى بالدعوة ومتطلباتها خلال تفسيره للقرآن الكريم وتحدثت فيه عن ما قاله الأستاذ المودودى مبينا أصول الدعوة الإسلامية ومنهجها والصفات اللازمة للعاملين فى مجال الدعوة خلال تفسيره للآيات القرآنية المختلفة . وفى هذا الصدد ذكرت بعض ما قاله الأستاذ فى هذا الموضوع فى تأليفاته القيمة المختلفة . وذلك لأبين أن دعوة الأستاذ المودودى كانت مستنبطة من الكتاب والسنة فى أصولها ومنهجها وأسلوبها .

وأما المبحث الرابع : فيتعلق باهتمام الأستاذ المودودى ببيان أهمية إقامة الحكومة الإسلامية وعنايته بإبراز الجوانب المختلفة للدولة الإسلامية خلال تفسيره للقرآن الكريم وذكرت فيه بعض النماذج لما قاله الأستاذ المودودى مبينا بأن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يناسب الفطرة الإنسانية وهو الدين الوحيد الذى فيه صلاحية قيادة الركب البشرى فى كل زمان ومكان وهو الدين الوحيد الكامل الذى يشمل هديه كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية وكل ذلك بالأدلة من القرآن والسنة وبالبراهين العقلية القوية ثم ذكرت بعض ما قاله الأستاذ فى تفسيره مبينا أهمية إقامة الحكومة الإسلامية مستدلا بالكتاب والسنة وسيرة سيدنا محمد ﷺ . ثم تكلمت عن ما قاله الأستاذ المودودى فى بيان المصادر الأساسية للشريعة الإسلامية وأهمية الشورى فى الدولة الإسلامية ثم تحدثت عن ما قاله الأستاذ المودودى لإبراز بعض المبادىء الأساسية للدولة الإسلامية أو ببيان بعض الجوانب الاجتماعية للمجتمع الإسلامى .

وأما المبحث الخامس : فتكلمت فيه عن منهج الأستاذ المودودى لدراسة القصص القرآنية وبينت فيه أن الأستاذ المودودى كان يرى أن هذه القصص لها علاقة خاصة بمراحل الدعوة التى نزلت فيها ، ولم ينزل الله قصة من هذه القصص إلا فى مرحلة من مراحل الدعوة لتوجيه المسلمين وتذكيرهم وتربيتهم فى هذه المرحلة للدعوة ، ثم ذكرت نماذج من تفهيم القرآن[1] مستشهدا لهذا الرأى

---

(١) تفهيم القرآن : هو تفسير الأستاذ المودودى للقرآن الكريم الذى اخترنا دراسة منهجه موضوعا لهذه الرسالة .

للأستاذ المودودى فى بيان القصص القرآنية . كما أنه يفند ما نسب إلى الأنبياء والرسل من حكايات كاذبة تنال من كرامتهم .

أما المبحث السادس : فبينت فيه منهج الأستاذ المودودى فى دراسة آيات الأحكام خلال تفسيره للقرآن الكريم وذكرت فى هذا الصدد عددا من النماذج من تفهيم القرآن مستدلا بأنه أحيانا كان يكتفى بذكر الآراء الفقهية بدون الترجيح بين هذا الرأى وذاك ، وأحيانا أخرى كان يقارن بين هذه الآراء ويرجح بعضها على البعض وذلك لا لتعصبه لمذهب خاص بل لإصابة هذا الرأى .

وأما المبحث السابع : فذكرت فيه منهج الأستاذ فى وضع الخرائط والصور خلال تفسيره للقرآن الكريم ولعله الوحيد بين المفسرين الذى قام برحلة خاصة لأرض القرآن الكريم ليزور الأماكن التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ويهتم بدراستها من نواح مختلفة ، وهو خلال تفسيره للآيات التى ورد فيها ذكر هذه الأماكن يأتى بخرائطها أو صورها ثم يفسر الآية فى ضوء هذه الخريطة فضلا عن ماورد فى التفسير المأثور . وفى هذا الصدد لا يفوته أن يرد على الشكوك والشبهات التى جاء بها المستشرقون والمبشرون .

وأما المبحث الثامن : فيتعلق باستشهاد الأستاذ المودودى بكتب أهل الكتاب خلال تفسيره للقرآن الكريم . والأستاذ يستشهد بكتب أهل الكتاب إما لإتيان تفصيل ما ورد فى القرآن الكريم بالإيجاز والاختصار وإما للرد على اتهام المستشرقين المتعصبين بأن النبى ﷺ تعلم القرآن من علماء أهل الكتاب أو كتبهم وإما للاستشهاد على كون هذه الكتب محرفة وذلك مبينا التضادات الموجودة فيها أحيانا ومستدلا بما رموا به أنبياءهم من الأكاذيب والاتهام أحيانا أخرى .

وأما المبحث التاسع : فبينت فيه أن الأستاذ المودودى لا يخوض فى المباحث الجانبية خلال تفسيره للقرآن الكريم وهناك كثير من المباحث الجانبية التى كتب فيها المفسرون البحوث الطويلة مع أنه لم ينقل فيها شىء عن النبى ﷺ فالأستاذ المودودى لا يعتنى بهذه المباحث الجانبية ، بل يكتفى ببيان ما ينبغى للمسلم أن يتعلم منها .

وأما المبحث العاشر : فيتعلق بما قاله الأستاذ المودودى خلال تفسيره للقرآن الكريم ردا على التأويلات الباطلة للآيات الكريمة التى جاء بها الشيعة

والقاديانيون ومنكرو السنة لتأييد عقائدهم الباطلة ، فنرى أنه خلال تفسيره لهذه لآيات الكريمة يأخذ تأويلاتهم الباطلة لها ويرد عليها بالأدلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية حتى لا يترك لهم مجالا ليلعبوا بآيات الله عز وجل لتحقيق أهدافهم الشنيعة .

وأما المبحث الحادى عشر : فيتعلق بما قاله الأستاذ المودودى خلال تفسيره للقرآن الكريم مبينا موقف الإسلام من الفلسفات المادية اللادينية التى جاءت بها الحضارة الجاهلية الحديثة كالتفسير الجدلى للتاريخ لهيجل والتفسير المادى للتاريخ لماركس ونظرية داروين للتطور وما إلى ذلك ، فيفند الأستاذ هذه الفلسفات الجاهلية بالبراهين العقلية القوية ويثبت كونها باطلة عقليا وعلميا وبهذا يقضى على العبودية الفكرية للحضارة الغربية الجاهلية بإعادة الثقة والإذعان فى الإسلام دينا ودولة .

والمبحث الثانى عشر : تحدثت فيه عن مكانة منهج الأستاذ المودودى فى التفسير وبينت فيه أن منهج الأستاذ المودودى فى تفسير القرآن كان مطابقا لأصول التفسير بين الرواية والدراية هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان هذا المنهج وفقا لمتطلبات الدعوة فى ذلك العصر الذى كان مليئا بالتحديات والتيارات المعادية للإسلام .

وكما ذكرت آنفا أنه لم تصدر ترجمة عربية لتفسير الأستاذ المودودى حتى الآن[1] فاضطررت أن أقوم بترجمة النصوص من اللغة الأردية إلى اللغة العربية ولكن القوة والتأثير اللذان يمتاز بهما أسلوب الأستاذ المودودى الجذاب لم أتمكن من نقلهما خلال ترجمتى من اللغة الأردية إلى اللغة العربية ولكننى ترجمت النصوص من اللغة الأردية إلى اللغة العربية بالأمانة والإخلاص كما اهتممت خلال دراستى هذه أن أقارن تفسير الأستاذ المودودى بأشهر التفاسير القديمة والحديثة كتفسير ابن جرير الطبرى وتفسير الإمام الرازى وتفسير ابن كثير وتفسير روح المعانى وتفسير فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب وكان لهذه المقارنة أن زادت ثقتى فى الأستاذ المودودى لاهتمامه بالجمع بين الرواية والدراية مع عنايته بالجوانب التى ذكرت بعضها خلال دراستى هذه .

---

(١) راجع الهامش ص ٢٦ .

وتشتمل خاتمة الرسالة على أهم النتائج التى توصلت إليها خلال البحث وبها انتهيت من هذه الرسالة التى أتقدم بها إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة لنيل درجة الماجستير فى فرع الكتاب والسنة وما فيها من الحق والصواب فمن فضل الله سبحانه وتعالى ، وما فيها من السهو والخطأ فمنى ، وأرجو من الله سبحانه أن يغفر لى ويستر عنى ، وعليه توكلت وإليه أنيب .

وأخيرا أقدم شكرى وتقديرى لفضيلة الدكتور أحمد أحمد غلوش المشرف على هذه الرسالة لعنايته الخاصة وتوجيهاته الشاملة وتشجيعه المستمر فى إخراج هذه الرسالة فى صورتها الحالية ، ثم أشكر القائمين على كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى لتشجيعهم الشامل لإخراج هذا البحث . فجزاهم الله أحسن الجزاء . والله ولى التوفيق .

الجـــزء الأول

عصر الأستاذ المودودى

حياته، دعوته، تأليفاته ومؤثرات دعوته الفكرية والعلمية

الفصل الأول

العصر الذى عاش فيه الأستاذ المودودى

المبحث الأول : نظرة عابرة على ذلك العصر .

المبحث الثانى : العالم الإسلامى فى ذلك العصر .

المبحث الثالث : الحالة السياسية لمسلمى شبه القارة الهندية .

المبحث الرابع : الحالة الدينية لمسلمى شبه القارة الهندية .

المبحث الخامس : الحالة الاجتماعية لمسلمى شبه القارة الهندية .

المبحث السادس : مؤثرات الصراع بين الإسلام والجاهلية الحديثة .

العصـــر الحاضر

كما يراه الشهيد سيد قطب(*)

« العاقل » الواعى » الذى لم يأخذه الدوار الذى يأخذ البشرية اليوم ، حين ينظر إلى هذه البشرية المنكودة يراها تتخبط فى تصوراتها ، وأنظمتها وأوضاعها ، وتقاليدها ، وعاداتها وحركاتها ، كلها تخبطا منكرا شنيعا .. يراها تخلع ثيابها وتمزقها كالمهووس ، وتتشنج فى حركاتها وتتخبط وتتلبط كالممسوس ، يراها تغير أزياءها فى الفكر والاعتقاد ، كما تغير أزياءها فى الملابس ، وفق أهواء بيوت الأزياء ، يراها تصرخ من الألم ، وتجرى كالمطارد ، وتضحك كالمجنون ، وتعربد كالسكير ، وتبحث عن لا شىء ، وتجرى وراء أخيلة ! وتقذف بأثمن ما تملك وتحتضن أقذر ما تمسك به يداها من أحجار وأوضار !

لعنة ! لعنة كالتى تتحدث عنها الأساطير ! إنها تقتل الإنسان وتحوله إلى آلة ، لتضاعف الإنتاج ! إنها تقضى على مقوماته « الإنسانية » وعلى إحساسه بالجمال والخلق والمعانى السامية لتحقيق الربح لعدد قليل من المرابين وتجار الشهوات ومنتجى الأفلام السينمائية وبيوت الأزياء ! » .

(*) سيد قطب « خصائص التصور الإسلامى ومقوماته » ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

المبحث الأول

العصر الذى عاش فيه الأستاذ المودودى

التمهيد : نظرة عابرة على ذلك العصر .

ولد الأستاذ المودودى عام ١٣٢١ من الهجرة الموافق عام ١٩٠٣ الميلادى بمدينة أورنك آباد إحدى مدن ولاية حيدر آباد الإسلامية فى جنوب شبه القارة الهندية[١] . وبدأ ينشر دعوته منذ عام ١٣٥٢ من الهجرة الموافق عام ١٩٣٣ الميلادى بتوليه إدارة مجلة ترجمان القرآن الشهرية[٢] . وأسس الجماعة الإسلامية عام ١٣٦٠ من الهجرة الموافق عام ١٩٤١ الميلادى[٣] ، وتوفى رحمه الله عام ١٣٩٩ من الهجرة الموافق عام ١٩٧٩ الميلادى[٤] ، بعد أن استمر فى جهاده فى سبيل الدعوة أكثر من نصف قرن ، أى من بداية الربع الثالث من القرن الرابع عشر من الهجرة إلى نهاية الربع الأخير فى القرن الرابع عشر من الهجرة الموافق من بداية الربع الثانى فى القرن العشرين الميلادى إلى بداية الربع الأخير فى القرن العشرين الميلادى ، فلابد إذن أن ندرس الأوضاع التى كانت تسود العالم الإسلامى ولاسيما الأوضاع المسيطرة على شبه القارة الهندية فى تلك الأيام وقبلها بقليل للتعرف على المؤثرات البيئية والثقافية والاجتماعية فى نشأة الأستاذ المودودى ودعوته لأن الإنسان كثيرا ما تؤثر فيه أحوال عصره ويكون لها الدور البارز فى أعماله والآثار التى يتركها .

---

(١) انظر الأستاذ أسعد جيلانى : أبو الأعلى المودودى ، فكره ودعوته ص ٢١ .

(٢) انظر الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى ، حياته ، دعوته ، وجهاده ص ١٩ .

(٣) انظر توطئة الدستور : الجماعة الإسلامية بباكستان ص ط .

(٤) انظر جريدة « جسارت » اليومية : عدد خاص فى ذكرى الأستاذ المودودى ص ١١ .

فيتبين من دراسة التاريخ للنصف الأول من القرن الرابع عشر من الهجرة أن العالم الإسلامى من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه ، كان تحت سيطرة الاستعمار الغربى الغاشم ، وهذا كان سببا فى سيطرة الحضارة الغربية الحديثة على المجتمعات الإسلامية بصورة واسعة(١) ، فآثرت أن أدرس هذه الحضارة وتأثيرها على المجتمعات الإسلامية بإيجاز لتكون ركيزة أساسية لبيان أحوال العصر الذى عاش فيه الأستاذ المودودى بجوانبه المختلفة .

الحضارة الغربية الحديثة
نشأتها ، ومبادئها الأساسية

نشأت الحضارة الغربية الحديثة نتيجة للصراع بين الحركة العلمية وبين رجال النصرانية الذى انتهى فى القرن التاسع عشر الميلادى بانتصار الحركة العلمية(٢) ، وقد استخدم القسس القوة والعنف ووسائل الاضطهاد الأخرى لمنع هذه الحركة ، مما جعل رجال العلم ينكرون كل شىء يأتى من الكنيسة فلما انتصروا ألزموا أنفسهم إنكار كل شىء له علاقة بالدين . ومن المؤسف أن ما توصلوا إليه من النتائج لم يكن بعد تفكير عقلى أو تحقيق علمى ، بل أسس على التعصب والحقد دون ما سواه ، وبالغ العلماء والساسة فى موقفهم حتى وصل الأمر إلى أن الذى يؤمن بدين من الأديان ، عليه أن يمارس ذلك فى حياته الشخصية فحسب ، كالعبادة فى البيت أو الكنيسة دون أن يوسع نطاق دائرة الدين إلى مجالات اجتماعية وسياسية أخرى .

وهكذا أصبح وضع الدين فى الغرب حيث عزل من جميع نواحى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية(٣) ، واخترع للحياة الاجتماعية دينا

---

(١) انظر الأستاذ أبا الحسن على الندوى : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار الإسلامية .

(٢) انظر سفر بن عبد الرحمن الحوالى : رسالة « العلمانية » ص ٣٤٧ .

(٣) انظر المرجع السابق : ص ٩٤٣ - ٥٠٣ .

جديدا يمكننا أن نسميه « المادة » ولم تكن الحضارة الغربية الحديثة إلا ربيبة لهذا الدين الجديد[1] .

أئمة الحضارة الغربية الحديثة :

فجميع العلماء والمفكرين الذين نبغوا فى هذا العصر فى ميادين العلوم الاجتماعية أو العلوم التجريبية كانوا يدينون بذلك الدين المادى ، ومن ثم أصبحت الحياة الاجتماعية فى الغرب فى كل نواحيها تحت سيطرة الفلسفة المادية واللادينية وقادة هذا الاتجاه وفلاسفته كثيرون ولكن أود أن أذكر هنا العلماء والفلاسفة الذين يعدون من مؤسسى هده العلوم وهم هيجل ، وكارل ماركس ، وداروين ، وفرويد ومَيكافيلى ، فهم قادة الحضارة الغربية الحديثة .

هيجل وتفسيره الجدلى للتاريخ :

والذى يؤم هؤلاء هو هيجل[2] (Hegel) الذى وضع نظريته الجديدة للتاريخ وأطلق عليها اسم « التفسير الجدلى للتاريخ » وتقول نظريته بأنه حينما يتم ظهور دور حضارى خاص تتولد منه أفكار جديدة ثم يأخذ الصراع طريقه بين هذه الأفكار الجديدة والأفكار الأساسية لتلك الحضارة ، ونتيجة لهذا الصراع يتولد دور حضارى جديد يضم أفكارا جديدة مع الأفكار الصالحة الباقية من الدور الحضارى السابق ، ولهذا كل حضارة لاحقة خير من الحضارة السابقة وأحسن حالا منها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يظن هيجل بأن الله سبحانه أو العقل الكلى أو الروح العالمى هو الذى يأتى بهذا الصراع ليتخذ الإنسان أداة لاستكمال ذاته[3] .

وتفيد هذه النظرية أن الدور الحضارى الحاضر لابد أن يكون أحسن وأصلح من كل الأدوار الحضارية السابقة بما فيها عهود الأنبياء عليهم السلام ،

(١) انظر الأستاذ أبا الحسن على الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ١٩٧ .

(٢) هو جورج وليم فريدريك هيجل (عام ١٧٧٠ – عام ١٨٣١ الميلادى) ، يعد من أكبر فلاسفة العصر الحديث فى أوربا . كان مؤسسا للتفسير الجدلى للتاريخ الذى جعله ماركس أساسا للتفسير الجدلى المادى للتاريخ فيما بعد . (انظر نجيب فرنجية – الموسوعة العربية ص ٧٨٩) .

(٣) انظر الأستاذ المودودى – الإسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة ص ٢٦ – ٣٨ .

وعليه فكل مؤمن بهذه النظرية يرفض الحضارة القديمة وينادى بحضارة جديدة دائمًا .

كارل ماركس وتفسيره الجدلى المادى للتاريخ :

ثم جاء كارل ماركس[1] (Karl Marx) بدينه الجديد « الشيوعية » وقدم تفسيره الشهير للتاريخ يعرف بالتفسير الجدلى المادى للتاريخ ، وتختلف نظريته هذه عن نظرية هيجل الجدلية للتاريخ فى أن السبب الحقيقى للصراع هى الدواعى الاقتصادية ، ويرى أن الرقى والنهضة فى التاريخ البشرى جاءا نتيجة للصراع بين الأغنياء والفقراء ، وأن الحروب التى يرويها التاريخ البشرى بين شعب وآخر ، لم تكن إلا نتيجة هذا الصراع ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى قام كارل ماركس بهجوم عنيف ضد الدين وقال إن الإذعان للدين ومبادئه لم يخلق إلا لتأييد تصرفات الأغنياء فى اغتصاب أموال الفقراء واستغلال حقوقهم ، ولهذا وجب على الفقراء أن ينكروا هذه العقائد ويقوموا للقضاء على الأغنياء وهدم دولتهم البرجوازية ويهتموا بإقامة دولة البروليتاريا[3] .

ويقول فى البيان الشيوعى : « وما القوانين والقواعد الأخلاقية والأديان بالنسبة إليه - أى البرولتارى - إلا أوهام بورجوارية تتستر خلفها مصالح بورجوازية »[4] .

داروين ونظريته للتطور :

• جاء داروين[5] (Darwin) مع كتابه أصل الأنواع (Origion of

---

(١) هو كارل ماركس اليهودى . (عام ١٨١٨ - عام ١٨٨٣ الميلادى) ، مؤسس الشيوعية ، أسس نظريته الجدلية المادية للتاريخ على نظرية هيجل الجدلية للتاريخ . ويعتبر كتاباه « رأس المال » و« البيان الشيوعى » الأصلين الأساسيين للمذهب الشيوعى انظر نجيب فرنجية - الموسوعة العربية ص ٦٩٢ .

(٢) انظر أحمد العوايشة : موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادى للتاريخ ص ١٠٩ - ١٢١ .

(٣) انظر المرجع السابق : ص ٢١٥ - ٢٣١ .

(٤) البيان الشيوعى : ص ٢٨ نقلا عن الأستاذ بشير العوف - اشتراكيتهم وإسلامنا ص ٣٦ .

(٥) هو تشارلز داروين : (عام ١٨٠٩ - ١٨٨٢ الميلادى) ولد بانجلترا ، وقام بتأليف كتابه =

the spices) الذى ظهر لأول مرة عام ١٨٥٩ م والذى قدم فيه داروين فلسفته الشهيرة فى الارتقاء .

وترى هذه الفلسفة أن نظام هذا الكون يسير دون وجود إله خالق . وأن ارتقاء الموجودات من أبسط مراحل الحياة إلى أعلاها نتيجة عمل تدريجى لقوى طبيعية فحسب ، وأن الإنسان ليس نوعا مستقلا بل إنه وصل إلى درجة الإنسان نتيجة ارتقائه من نوع إلى نوع آخر ، من مادة بلا حياة إلى جرثومة بحياة ومنها إلى الأنواع الأخرى بفضل العوامل المختلفة كالانتخاب الطبيعى والتنازع للبقاء والبقاء للأصلح حتى وصل إلى القرد ، وأخيرا ارتقى من القردية فأصبح بشرا سويا ، وهناك صراع مستمر بين أفراد كل نوع لكى يبقى أصلحهم ولابد للضعيف وأن يحرم من حق الحياة[1] وكانت نتيجة هذه الفلسفة أن الإنسان الذى خلقه الله فى أحسن تقويم صار حيوانا مفترسا لا يؤمن بأى دين ولا يتقيد بأى قانون أخلاقى .

فرويد وتفسيره الجنسى لعلم النفس :

ثم كان فرويد[2] الذى يعتبر إمام علم النفس الحديث والذى وضع فلسفته على الأسس اللادينية ، وقال إن الدافع النفسى لكل عمل إنسانى هو « الجنس » فحسب . ونتيجة لهذه النظرية فقد البشر تصور الخير والشر والأخلاق الفاضلة التى جاءت بها الأديان السماوية ورد الإنسان إلى أسفل السافلين[3] .

مكانة هذه النظريات العلمية :

والحقيقة التى أود أن أشير إليها هى أن هذه النظريات التى قدمها هؤلاء

= الشهير « أصل الأنواع » بعد رحلته البحرية الطويلة حول العالم . (انظر نجيب فرنجية – الموسوعة العربية ص ٣١٥)

(١) انظر سفر بن عبد الرحمن الحوالى : « العلمانية » ص ١٧٧ – ١٧٩ .

(٢) هو سيجموند فرويد (عام ١٨٥٦ – عام ١٩٣٩ الميلادى) ولد فى نمسا فى بيئة يهودية وقدم التفسير الجنسى لعلم النفس .

(٣) انظر الأستاذ محمد قطب الإنسان بين المادية والإسلام ص ١٩ – ٤٦ .

الفلاسفة والعلماء هى عبارة عن نظريات وفلسفات تجردت عن كل ما يمت بصلة إلى التجربة والبرهان العقلى ، فلم تكن النظريات العلمية قط ، ولكن الجو الذى كان يستولى على الغرب بعد انتصار الحركة العلمية فى صراعها مع قسس النصارى ، لم يسمح للناس أن يفكروا من هذه الناحية بل كانوا يقبلون كل شىء ضد الدين مهما كان على وجه من السطحية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان لليهود دور كبير فى انتشار هذه النظريات اللادينية وذلك لتحقيق أهدافهم الشنيعة(١) .

ميكافلى ونظرية فصل الدين عن الدولة :

يعتبر ميكافلى(٢) إمام الفلسفة السياسية الحديثة فى أوربا ، ويعتبر كتابه الأمير (The Prince) . أساسا للسياسة اللادينية الحديثة . ويقول فيه « إن الدين والأخلاق ليس لهما أية علاقة مع السياسة . وأن الغاية تبرر الوسيلة ، فلهذا يجوز للحاكم أو ولى الأمر ، بل يكون ضروريا له أن يستخدم أية وسيلة أو خديعة أو مرامرة فى تدبير شئون الدولة ، وليس للدين أو الأخلاق أن يتدخلا فيها ، فواجهت هذه النظرية المقاومة الشديدة من قبل الكنيسة فى البداية إلا أن كان لها انتشار عظيم فى القرون المتأخرة(٣) .

النظم السياسية والاجتماعية الأخرى :

وأما النظم السياسية والاجتماعية الحديثة الأخرى ، التى تولدت من هذه الفلسفات الجاهلية ، فأهمها الديموقراطية اللبرالية ، والشيوعية . وأما النظام الديموقراطى اللبرالى القائم على العلمانية ، فإنه يفصل الدين عن الدولة ويمنع أية علاقة بين الدين والشئون السياسية والاجتماعية ، ويرى أنه لا حاجة لنا أن نرجع

---

(١) انظر سفر بن عبد الرحمن : « العلمانية » ص ١٧٣ - ١٧٦ .

(٢) هو نيكولاى ميكافلى (عام ١٤٦٩ - عام ١٥٢٨ الميلادى) يعتبر الأب الفكرى للفلسفات السياسية الغربية الحديثة كما يعتبر كتابه الشهير « الأمير » (The Prince) أساسا للسياسة الحديثة اللادينية . انظر الموسوعة العربية ص ٧٣٢ .

(٣) انظر سفر بن عبد الرحمن : « العلمانية » ص ٢٢٦ - ٢٢٨ .

إلى الدين فى تدبير شئون الدولة أو الشئون الاجتماعية الأخرى(١) ، وأما الدولة والأمور الاجتماعية الأخرى فالأمر فيها لا يرجع إلا إلى الشعب الذى يستخدم هذا الحق بواسطة النواب الذين يتم اختيارهم عن طريق الانتخاب وهم الذين يستحقون أن يضعوا الدستور والقوانين لتدبير شئون الدولة(٢) .

وأما النظام الشيوعى الذى أسلفنا بذكر مؤسسه كارل ماركس ، فيرى أن الهدف الأساسى له هو إقامة دولة برولتارية بعد هدم النظام البرجوازى ، ولا مانع عنده فى استخدام أية طريقة أو وسيلة أو خديعة لتحقيق هذا الهدف ويقول لينين(٣) عام ١٩١٠ « يجب على المناضل الشيوعى الحق أن يتمرس بشتى ضروب الخداع والغش والتضليل ، فالكفاح من أجل الشيوعية يبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية. »(٤) . ويقول عام ١٩٢٠ الميلادى : « إن المناضل الشيوعى الثورى الحق هو ذلك الذى يبذل كل تضحية يفرضها عليه تحقيق الهدف الشيوعى ، ولو تطلب الأمر التضحية بالأخلاق والكرامة والضمير ، فالهدف المثالى الحق هو تحقيق المجتمع الشيوعى وتدعيمه »(٥) .

الأخلاق المادية :

وهكذا فلسفة الأخلاق التى ظهرت وانتشرت نتيجة لهذه النظريات اللادينية والفلسفات الإلحادية كانت مادية من أولها إلى آخرها ، وقد تحول منهج الفكر من الدينى إلى اللادينى ، كما تغير المقياس الذى أعطاه الدين للصواب والخطأ أو الحلال والحرام ، والميزان الذى قررته نظم الأخلاق للجواز وعدم الجواز والمقياس الوحيد الذى اختاره الناس فى حياتهم اليومية للرد والقبول هو ما يسمى بالنفع المادى (٦).

---

(١) انظر الأستاذ يوسف القرضاوى : الحلول المستوردة ص ٥٢ .

(٢) انظر الدكتور على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى ص ١٥٠ - ١٥٢ .

(٣) هو فلاديمير إيلتش لينين أوليانوف : (١٨٧٠ - ١٩٢٤ الميلادى) قاد الثورة الشيوعية الروسية عام ١٩١٧ وتولى رئاسة النظام الدكتاتورى الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى وظل يحكم البلاد بالسلطة الإرهابية حتى وفاته عام ١٩٢٤ م . ويعتبر لينين من أئمة الدين الشيوعى . الموسوعة العربية ص ٦٨٥ .

(٤) انظر الأستاذ بشير العوف : اشتراكيتهم وإسلامنا ، ص ٣٧

(٥) انظر المرجع السابق ص ٣٨ .

(٦) انظر الأستاذ المودوى : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص ١٥٠ .

المبحث الثانى

العالم الإسلامى فى ذلك العصر

إن الأمة الإسلامية قد بعثها الله لقيادة البشرية ، فكريا وحضاريا لتتمكن من أداء فريضة شهادة الحق قولا وعملا ، لقوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾[1] ولتقوم بالاهتمام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾[2] وكان لأداء هذا الواجب أن تمكن المسلمون من قيادة الركب البشرى إلى الخير والسعادة ، وذلك بعد تسلمهم زعامة البشرية ، يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله :

« لقد كان الإسلام قد تسلم القيادة بعد ما فسدت الأرض وأسنت الحياة وتعفنت القيادات وذاقت البشرية الويلات من القيادات المتعفنة و ﴿ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ﴾[3] ، تسلم الإسلام القيادة بهذا القرآن وبالتصور الجديد الذى جاء به القرآن والشريعة المستمدة من هذا التصور ، فكان ذلك مولدا جديدا للإنسان أعظم فى حقيقته من المولد الذى كانت به نشأته لقد أنشأ هذا القرآن للبشرية تصورا جديدا عن الوجود والحياة والقيم والنظم كما حقق لها واقعا اجتماعيا فريدا » .

وهذا الدور لتاريخ البشرية يقول الشيخ أبو الحسن على الندوى عنه :

« فلم نعرف دورا من أدوار التاريخ أكمل وأجمل وأزهر فى جميع هذه النواحى من هذا الدور ، دور الخلافة الراشدة فقد تعاونت فيه قوة الروح

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

(٣) سورة الروم : الآية ٤١ .

والأخلاق والدين والعلم و الأدوات المادية فى تنشئة الإنسان الكامل وفى ظهور المدنية الصالحة ، كانت حكومة من أكبر حكومات العالم ، وقوة سياسية مادية تفوق كل قوة فى عصره ، تسود فيها المثل الخلقية العليا وتحكم معايير الأخلاق الفاضلة فى حياة الناس ونظام الحكم وتزدهر فيها الأخلاق والفضيلة مع التجارة والصناعة »(١) .

وبعد أن احتل المسلمون منصب قيادة البشرية فكريا وحضاريا لعدة قرون بدأ انحطاطهم الفكرى والسياسى ، وذلك لإهمالهم الواجب الذى بعثهم الله من أجله ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لانفصالهم عن الدين فى دوائر حياتهم المختلفة وعدم عنايتهم بالصفتين الأساسيتين وهما : الجهاد والاجتهاد فى نواحى الحياة المختلفة مما أدى إلى تخلفهم فى الصناعة والتكنولوجية .

وكان من سوء حظ البشرية أن ظهور ذلك الانحطاط والاضمحلال فى العالم الإسلامى كان فى نفس الوقت الذى ظهرت فيه تلك الفلسفات المادية الجاهلية والنظم اللادينية فى العالم الغربى ، ومما زاد الطين بلة ، كانت بداية النهضة العلمية الصناعية والتكنولوجية أيضا فى الوقت ذاته وكان الغربيون يبحثون عن الأسواق لمنتجات مصانعهم وبأيديهم القوة التكنولوجية والأسلحة الحديثة فأينما وصلوا لم تكف مساعيهم فى مجال التجارة فحسب بل حاولوا أن يستولوا على البلدان بالقوة أحيانا وبالخديعة والمؤامرة أحيانا أخرى وكان نتيجة هذا الغزو الاستعمارى خضوع أكثر بلاد العالم للدول الاستعمارية الغربية ومنها البلاد الإسلامية ، فشبه القارة الهندية قد استولى عليها الاستعمار الإنجليزى ، ومصر احتلها الاستعمار الفرنسى ثم الاستعمار الإنجليزى ، وأندونيسيا قد سيطر عليها الاستعمار الهولندى وليبيا استولى عليها الإيطاليون والجزائر وقعت تحت الاحتلال الفرنسى وهكذا البلاد الإسلامية الأخرى قد وقعت أكثرها تحت احتلال هذه الدول الاستعمارية ، ولم يبق من الوقوع فى براثن الدول الاستعمارية الغربية إلا من شاء الله .

---

(١) الشيخ أبو الحسن على الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ط ١٣ ، ١٤٠٢ هـ ، دار القلم بالكويت ، ص ١٣٠.

ولعل أشنع وأخطر ما لحق بالمسلمين فى تلك الأيام القاسية هو إلغاء الخلافة العثمانية عام ١٩٢٣ م على يد العميل الاستعمارى اليهودى مصطفى كمال(١) ، لأن الخلافة العثمانية رغم ما فيها من الضعف والاضمحلال كانت علامة اتحاد العالم الإسلامى ورمز قوة المسلمين ، فخطط الاستعمار المخططات والمؤامرات للقضاء عليها وتمكن من تحقيق هذا الهدف الشنيع بواسطة العميل مصطفى كمال . وجدير بالذكر أن اليهود لهم دور كبير فى تلك المخططات والمؤامرات وذلك لأن الخليفة العثمانى عبد الحميد لم يوافق على بيع أرض فلسطين لليهود(٢) .

وما كان أشد أسفا وألما أن مصطفى كمال بعد أن تمكن من القضاء على الخلافة العثمانية قام بإنشاء الدولة العلمانية القومية واستبدال القوانين الوضعية الإفرنجية بالشريعة الإسلامية وتغيير حروف الهجاء فى اللغة التركية من العربية إلى اللاتينية(٣) .

---

(١) هو مصطفى كمال أتاتورك (عام ١٨٨١ - ١٩٣٨ م) ولد فى سالونيك مركز اليهود الدونمة فى تركيا ، تلقى دراسته فى الكلية الحربية والتحق بالجيش ثم انضم إلى جمعية الاتحاد والترقى التى كان هدفه الحقيقى القضاء على الخلافة العثمانية وانفصال التركية الإسلامية من العالم الإسلامى وتمكن مصطفى كمال من تحقيق هذه الأهداف الشنيعة . إذ ألغيت الخلافة عام ١٩٢٣ م وأصبح مصطفى كمال رئيسا للدولة العلمانية القومية الجديدة .

(٢) انظر للتفصيل الشيخ محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ١٢٢ - ١٢٧ .

(٣) انظر المرجع السابق : ص ١٢٦ .

غزو الاستعمار الحضارى

كما يراه الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله

« وقد عمل الأوربيون جاهدين على أن تغمر موجة هذه الحياة المادية بمظاهرها الفاسدة وجراثيمها القتالة جميع البلاد الإسلامية التى امتدت أيديهم إليها ، وأوقعها سوء الطالع تحت سلطانهم ، مع حرصهم الشديد على أن يحتجزوا دون هذه الأمم عناصر الصلاح والقوة من العلوم والمعارف والصناعات والنظم النافعة ، وقد أحكموا خطة هذا الغزو الاجتماعى إحكاماً شديداً ، واستعانوا بدهائهم السياسى ، وسلطانهم العسكرى ، حتى تم لهم ما أرادوا ، أغروا كبار المسلمين بالاستدانة منهم والتعامل معهم وسهلوا لهم ذلك وهونوه عليهم واستطاعوا بذلك أن يكتسبوا حق التدخل الاقتصادى ، كما يريدون أن يستأثروا – دون الأهلين – بالأرباح الطائلة والثروات العظيمة وتمكنوا بعد ذلك من أن يغيروا قواعد الحكم والقضاء والتعليم وأن يصبغوا النظم السياسية ، والتشريعية ، والثقافية بصبغتهم الخاصة فى أقوى بلاد الإسلام ، وجلبوا إلى هذه الديار نساءهم الكاسيات والعاريات وخمورهم ومسارحهم ، ومراقصهم وملاهيهم ، وقصصهم ، وجرائدهم ورواياتهم وخيالاتهم وعبثهم ومجونهم وأباحوا فيها من الجرائم مالم يبيحوا فى ديارهم ، وزينوا هذه الدنيا الصاخبة العابثة التى تعج بالإثم وتطفح بالفجور فى أعين البسطاء الأغرار من المسلمين الأغنياء وذوى الرأى فيهم وأهل المكانة والسلطان .

ونجح هذا الغزو الاجتماعى المنظم العنيف أعظم النجاح ، فهو غزو محبب إلى النفوس ، لاصق بالقلوب ، طويل العمر ، قوى الأثر ، وهو لهذا أخطر من الغزو السياسى والعسكرى بأضعاف الأضعاف » .

رسالة « بين الأمس واليوم » للإمام الشهيد « حسن البنا »

غزو الاستعمار الحضارى على العالم الإسلامى

وجدير بالذكر أن الاحتلال الاستعمارى للبلاد الإسلامية كان تمهيدا لغزو الاستعمار الحضارى الذى خضع له المسلمون فى كل قطر من الأقطار الإسلامية من ناحية ، وفى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية من الناحية الأخرى ، وكان خضوع العالم الإسلامى للحضارة الغربية الجاهلية لعديد من الأسباب أهمها كالآتى :

- بداية الاضمحلال والانحطاط الفكرى والسياسى فى العالم الإسلامى .
- نهضة أوربا العلمية والتكنولوجيا وتخلف العالم الإسلامى فى العلم والتكنولوجيا .
- غارة الاستعمار العسكرية والسياسية على أكثر البلاد الإسلامية وخضوع الدول الإسلامية له .
- إلغاء الخلافة العثمانية على أيدى عملاء الاستعمار وإقامة الدولة القومية العلمانية فى تركيا .

وإليك بيان هذه الأسباب :

انحطاط العالم الإسلامى الفكرى والسياسى :

لقد تمكن المسلمون من قيادة البشرية فكريا وعلميا لعدة قرون ، لقوله سبحانه : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾[1] ثم بدأ انحطاطهم الفكرى والسياسى ، وذلك لعدم تمكنهم من أداء هذه الشهادة قولا وعملا ، ولفصلهم الدين عن شئون الحكم وتركهم الجهاد والاجتهاد ، فكانت النتيجة أن العالم الإسلامى من شرقه إلى غربه

(١) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

ظهر فيه الضعف والاضمحلال فكريا وسياسيا ، وهذا ما أدى إلى تخلفه وجعله فريسة سهلة لغزو الاستعمار السياسي والحضاري[1] .

نهضة أوربا العلمية والتكنولوجيا وتخلف العالم الإسلامي في العلم والتكنولوجيا :

وجدير بالذكر أن ظهور الضعف والانحطاط الفكري والسياسي في العالم الإسلامي كان في نفس الوقت الذي بدأت فيه نهضة أوربا العلمية والتكنولوجيا ، وكان لتلك النهضة في العلم والتكنولوجيا أن تمكن الاستعمار من السيطرة على معظم الكرة الأرضية ، وهذا ما جعل بعض « قادة المسلمين » يفكرون أن العالم الإسلامي لا يمكن نهضته وازدهاره إلا باتباع الغرب في كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية[2] .

سيطرة الاستعمار السياسية على العالم الإسلامي .

وهكذا كان لسيطرة الاستعمار السياسية على أكثر البلاد الإسلامية دور هام في وقوع كثير من المسلمين في العبودية الفكرية للحضارة الغربية ، وذلك لأنهم إذا رأوا أن الاستعمار الأوربي قد تمكن من احتلال أكثر البلاد الإسلامية بدأوا يذعنون أن تفوق الاستعمار السياسي والعسكري كان لتفوقه العلمي والحضاري ، وهذا ما جعلهم معجبين بالحضارة الغربية خاضعين لها في كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية[3] .

إلغاء الخلافة العثمانية وإقامة الدولة القومية العلمانية محلها :

وهكذا كان لإلغاء الخلافة العثمانية على أيدى عملاء الاستعمار وإقامة دولة قومية علمانية في تركيا دور هام في نفوذ الحضارة الغربية الحديثة في العالم الإسلامي ، وذلك لأن تركيا لكونها مركزا للخلافة كانت تحتل منصب القيادة

---

(١) انظر للتفصيل الشيخ أبو الحسن على الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٤٣ - ١٧٠ .

(٢) انظر للتفصيل الأستاذ المودودى : نحن والحضارة الغربية ص ٧ - ٢٥ .

(٣) انظر للتفصيل الأستاذ المودودى : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص ١٥٤ .

والزعامة فى العالم الإسلامى قبل احتلال الاستعمار الأوربى الغاشم ، فكان من الطبيعى أن خضوع تركيا للحضارة الغربية الجاهلية يتأثر به العالم الإسلامى من شرقه إلى غربه .

وجملة القول أن خضوع العالم الإسلامى للحضارة الغربية كان لعديد من الأسباب أهمها انحطاطه الدينى والسياسى وخضوعه لغارة الاستعمار السياسية ، وأما الوسائل التى اختارها الاستعمار خلال غزوه الحضارى فهى كالآتى :

تشويه صورة الإسلام عن طريق المستشرقين والمبشرين :

ومن المخططات الهدامة التى اختارها الاستعمار لتحقيق أهدافه خلال غزوه الحضارى على العالم الإسلامى كان قيام المستشرقين والمبشرين بتأليف الكتب والبحوث لتشويه صورة الإسلام وذلك تحت ستار « البحث والتحقيق » فجاؤوا بالاتهام والأباطيل والأكاذيب لتشويه شخص الرسول ﷺ والقرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ الإسلامى والتراث الإسلامى ونظام الحياة الإسلامى والشريعة الإسلامية وذلك ليتمكنوا من القضاء على مصدر قوة العالم الإسلامى الذى كان يخافه الاستعمار أشد الخوف كما يتبين مما قاله السيد **جلادستون** رئيس الوزراء البريطانى آنذاك حيث يقول : « مادام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ولن تكون نفسها فى أمان »[1]فكانت نتيجة نشر وتوزيع هذه الكتب والبحوث الزائفة فيما بين المسلمين المثقفين أن تأثر بها عدد غير قليل منهم وذلك لأنهم لم يعرفوا شيئا عن الإسلام من مصادره الأصلية فبدأوا ينظرون إلى كل شيء بمنظار أساتذتهم المستشرقين والمبشرين وفقدوا إذعانهم وثقتهم فى الإسلام[2] .

إنشاء المدارس والكليات والجامعات التبشيرية والحكومية لتعميم الثقافة الغربية :

والوسيلة الأخرى التى اعتمد عليها الاستعمار الغاشم لسيطرته الحضارية

---

(١) انظر للتفضيل الشيخ محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ١٧٤ .

(٢) انظر للتفضيل الدكتور مصطفى السباعى : الاستشراق والمستشرقون ص ٢٠ - ٢٥ . والدكتور على عبدالحليم محمود - الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ص ٢٥ - ١٠٣ .

على العالم الإسلامى كان إنشاء المدارس والمعاهد والكليات والجامعات لتعميم الثقافة الغربية اللادينية فى البلاد الإسلامية ، وسواء أكانت تلك المدارس والكليات تعمل تحت إشراف الحكومة مباشرة أو تحت إشراف المبشرين أو دعاة التغريب والتفرنج ، كان المنهج التعليمى فيها يضم العلوم والفلسفات المادية الجاهلية التى حاء بها المفكرون والفلاسفة مثل ميكافيلى وهيجل وماركس و كانت وداروين وفرويد وما إلى ذلك من فلاسفة ومفكرى ذلك العصر ، وكان الهدف من تعميم تلك الثقافة أن ينشىء فى المجتمعات الإسلامية جيلا يكون مسلما فى الدم والسلالة ولكن إفرنجيا فى الذوق والوجدان والتفكير والسيرة ، جيلا لو لم يعتنق المسيحية تبقى علاقته مع الإسلام والأمة الإسلامية أيضا ضعيفة ، كما يتبين ذلك مما قاله المبشر الشهير (رويمر) : « إن تنصير المسلمين ليس غايتنا لأننا لا نستطيعه ولكن الغاية هى أن نبعد المسلمين عن الإسلام ، وحسبنا ذلك ولو لم ينضموا إلينا »[1] . وزاد الطين بلة إذ أرسلت البعثات التعليمية إلى الجامعات الأوربية وكانوا يذهبون إليها مسلمين ويعودون متغربين لا دينيين داعين إلى التغرب والتفرنج لا صلة لهم بالإسلام والمسلمين إلا بالاسم ، والحقيقة أن تعميم الثقافة الغربية الحديثة فى البلاد الإسلامية يعتبر من أكبر الوسائل للنفوذ الحضارى الاستعمارى فى المجتمعات الإسلامية فيقول المستشرق الشهير البروفسور (جب) متكلما عن مدى تأثير الثقافة الغربية فى تعميم الحضارة الغربية الجاهلية فى العالم الإسلامى : « الواقع أننا إذا أردنا أن نعرف المقياس الحقيقى للنفوذ الغربى ، ومدى تغلغل الثقافة الغربية فى الإسلام كان علينا أن ننظر إلى ما وراء المظاهر السطحية ، وعلينا أن نبحث عن الآراء الجديدة والحركات المستحدثة التى ابتكرت بدافع من التأثر بالأساليب الغربية بعد أن تهضم وتصبح جزءا حقيقيا من كيان هذه الدول الإسلامية فتتخذ شكلا يلائم ظروفها »[2] .

فكان لتعميم الثقافة الغربية الحديثة فى المجتمعات الإسلامية ، كما يرى البرفسور جب ، أن ظهرت فى البلاد الإسلامية العديد من الحركات والدعوات مثل حركة التغريب والتفرنج وحركة القومية الوطنية وحركة الديمقراطية

---

(١) نقلا عن الدكتور عبد الصبور مرزوق : الغزو الفكرى أهدافه ووسائله ص ١١ .

(٢) نقلا عن الدكتور محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر جـ ٢ ص ٢٠٧ .

العلمانية ، وحركة الشيوعية ، وحركة الاشتراكية ، وحركة إنكار السنة النبوية وحركة تطوير الإسلام والتوفيق بين الإسلام وبين الحضارة الغربية وما إلى ذلك من الحركات والدعوات التى ظهرت فى العالم الإسلامى خلال ذلك العصر لتعميم الحضارة الغربية الجاهلية وعلومها وفلسفاتها المادية الجاهلية فى المسلمين[١] .

استخدام وسائل الدعاية والإعلام :

ومن الوسائل التى استخدمها الاستعمار خلال غزوه الحضارى على العالم الإسلامى هى الدعاية والإعلام وذلك لأن وسائل الدعاية والإعلام تلعب دورا هاما فى تشكيل الرأى العام ، ولأنها تخاطب جميع فئات الأمة وتؤثر فيهم على سواء فتكون أشد تأثيرا فى المجتمع فقرر الاستعمار أن يستخدم هذه الوسيلة لتحقيق أهدافه الشنيعة فصدرت المجلات والجرائد تحت رعاية الاستعمار المباشرة أو غير المباشرة ، وكل تلك المجلات والجرائد تهدف إلى إثارة الشكوك والشبهات حول مبادىء الإسلام الأساسية وصلاحية الإسلام لحل معضلات الحياة الإنسانية من ناحية ، ولتعميم الحضارة الغربية ونشر الأفكار الجاهلية الحديثة فى المجتمعات الإسلامية من الناحية الأخرى ، ولنشر الفواحش والمنكرات فى الشعوب الإسلامية من ناحية ثالثة ، وزاد الطين بلة عند اختراع الراديو والتليفزيون ووسائل الإعلام المتطورة الأخرى ، وذلك لكونها أكبر تأثيرا من المجلات والجرائد[٢] .

إنشاء حركات التغريب والتفرنج فى المجتمعات الإسلامية وتشجيعها :

وكان فى تلك الآونة أن ظهرت فى العالم الإسلامى عدة من الحركات والدعوات للدعوة إلى التفرنج والتغريب ، وسواء أكانت تلك الحركات قد أنشئت تحت رعاية الاستعمار المباشرة أم لا ، لكنها خدمت الاستعمار فى تحقيق أهدافه

---

(١) انظر للتفصيل الدكتور حسان محمد حسان : وسائل مقاومة الغزو الفكرى للعالم الإسلامى ص ٧٠ – ٧٢ ، والدكتور يوسف القرضاوى – الحلول المستوردة ص ٢٣ – ٣١ .

(٢) انظر للتفصيل الدكتور يوسف القرضاوى : الحلول المستوردة ص ٣١ – ٣٣ . والدكتور حسان محمد حسان – وسائل مقاومة الغزو الفكرى للعالم الإسلامى : ص ٧٢ – ٧٥ .

الشنيعة ، فكان لجهود تلك الحركات والدعوات أن روجت فى المسلمين الثقافة الغربية الحديثة وراجت فيهم الحضارة الغربية الجاهلية وانتشرت فيهم العلوم والفلسفات الجاهلية الحديثة وظهرت فيهم الحركات الهدامة والدعوات المعادية للإسلام ، وأهم قادة تلك الحركات فى العالم الإسلامى هم :

١ – السيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكرة الإسلامية فى شبه القارة الهندية .

٢ – ضياء كوك الب ومصطفى كمال فى تركيا .

٣ – الملك أمان الله خان فى أفغانستان .

٤ – قاسم أمين والدكتور طه حسين فى العالم العربى .

والحقيقة أن تلك الحركات والدعوات لها دور كبير فى تعميم الحضارة الغربية الجاهلية فى العالم الإسلامى ، ولولا تلك الحركات والدعوات لم يحصل للاستعمار ما حصل له من النفوذ الحضارى فى المجتمعات الإسلامية[١] .

تشويه القيادات الدينية وصناعة القيادات المتفرنجة الزائفة :

ومن المخططات الاستعمارية للغزو الحضارى للعالم الإسلامى تشويه القيادات الدينية وصناعة القيادات المتفرنجة الزائفة ، وذلك لأنه مادامت القيادات الدينية موجودة فى المجتمعات الإسلامية لا يمكن للاستعمار أن يتمكن من السيطرة الحضارية على العالم الإسلامى ، فخطط المخططات للقضاء على تلك القيادات الدينية الصحيحة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى قام بصناعة القيادات المتفرنجة الزائفة التى تخدمه فى تحقيق أهدافه الاستعمارية .

وبهذا نرى أن القيادات التى ظهرت فى البلاد الإسلامية خلال تلك الفترة كانت أكثرها متفرنجة مصطبغة بصبغة الحضارة الغربية الاستعمارية فى كل دائرة من دوائر الحياة المختلفة ، وهذه هى القيادات التى خلفت الاستعمار فى البلاد الإسلامية المختلفة بعد استقلال هذه البلاد من الاحتلال الاستعمارى ، وهذه القيادات هى التى تخدم الاستعمار فى تحقيق أهدافه فى هذه البلاد حتى اليوم ،

---

(١) انظر للتفصيل الشيخ أبا الحسن على الندوى : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة العربية فى الأقطار الإسلامية .

ولولا هذه القيادات المتفرنجة الزائفة ، لتمكن العالم الإسلامى من التحرر من سيطرة الاستعمار الحضارية .

السيطرة على أجهزة التشريع وتغيير الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية الإفرنجية :

ومن الأساليب الماكرة الأخرى التى اختارها الاستعمار الغاشم خلال غزوه الاستعمارى للعالم الإسلامى كانت سيطرته على أجهزة التشريع وتغيير الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية الإفرنجية ، وذلك لأنه كان يعرف الحقيقة أنه مادامت الشريعة الإسلامية مسيطرة فى المجتمعات الإسلامية فلا مجال للنفوذ الحضارى الاستعمارى فيها . وجدير بالذكر أن البلاد التى كانت تحت سيطرة الاستعمار المباشرة ، كان تغيير الشريعة الإسلامية فيها فى المراحل المتتالية ، فمثلا فى شبه القارة الهندية بدأ ذلك التغيير عام ١٧٩١ م وتم إلغاء الشريعة الإسلامية فى أواسط القرن التاسع عشر[١] . وأما البلاد الإسلامية التى لم تكن تحت احتلال الاستعمار المباشر فقرر الاستعمار تحقيق أهدافه فيها عن طريق عملائه من المسلمين ، وفى هذا الصدد فقد ذكرنا آنفا الاتفاقية التى عقدت بين الاستعمار وبين العميل الاستعمارى مصطفى كمال لإلغاء الشريعة الإسلامية فى تركيا[٢] . وعقدت مثل هذه الاتفاقية بين الاستعمار الإنجليزى وبين الخديو إسماعيل حينما استدعاه الاستعمار للمساعدة لإنجاز مؤامراته لانفصال مصر من الخلافة العثمانية[٣]، وهكذا فى البلاد الإسلامية الأخرى قد خططت المخططات والمؤامرات للقضاء على الشريعة الإسلامية ، وجدير بالذكر أن تغيير الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية الإفرنجية كان له تأثير عظيم وعميق فى المجتمعات الإسلامية ، وذلك لأنه قد زعزع العقيدة الأساسية بأن حق التشريع مختص بالله سبحانه وتعالى وحده ، وهذا ما يجعله من أكبر حوادث التاريخ الإسلامى ، فيقول الأستاذ المودودى عن ذلك

---

(١) انظر الأستاذ المودودى : نظرية الإسلام وهديه فى السياسة والقانون والدستور ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) انظر للتفصيل الشيخ محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ١٧٤ .

(٣) انظر للتفصيل الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ص ٢٠٦ .

الحادث المؤلم : « فلما نسخ حكامنا الإنجليز ما كان جاريا فى بلادنا من قوانين الشريعة الإسلامية ونفذوا مكانها قوانينهم الجديدة فلم يكن ذلك أنه مضى قانون وحل محله قانون آخر فحسب ، بل كان معنى ذلك أنه قد اقتلع من أرض هذه البلاد نظام للأخلاق والمدنية وأسس مكانه نظام آخر للأخلاق والمدنية .. وحسبكم شاهدا على مبلغ تأثير هذه القوانين الجديدة فى أخلاقنا ومدنيتنا بأنها هى التى أحلت الزنا والخمر والميسر وكثير من البيوع الفاسدة وراجت تحت كنفها أنواع المنكرات والمعاصى فى هذه البلاد »[1] . ويقول الشهيد عبد القادر عودة رحمه الله عن تأثير القوانين الوضعية الإفرنجية : « هذه القوانين قد أفسدت علينا تفكيرنا ، فبلبلت عقولنا ومسخت منطقنا ، وأفسدت حياتنا فعكرت صفونا وشحنت بالألم نفوسنا وأفعمت بالكمد والمرارة صدورنا ، هذه القوانين جعلت لنا تفكيرا مضطربا ومنطقا عجيبا ، فنحن فى آن واحد نحلّ الشىء ونحرمه ، ونبرمه وننقضه ، حتى لقد أصبح هذا شأننا فى كل شأن من شئون الحياة ، جل أو هان »[2] .

وجملة القول أن تغيير الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية الإفرنجية له دور كبير فى نجاح الغزو الفكرى الاستعمارى فى المجتمعات الإسلامية ، ولولا هذا التغيير لم يحصل للاستعمار ما حصل له من الإنجازات خلال ذلك الغزو الحضارى .

المخططات الاستعمارية الأخرى :

وهناك عديد من المخططات والمؤامرات والإجراءات التى جاء بها الاستعمار خلال غزوه الحضارى على العالم الإسلامى ومن أهم هذه المخططات والإجراءات هى بداية التعليم المختلط فى الكليات والجامعات ومشاركة النساء فى أنشطة الحياة الاجتماعية وذلك من التشغيل فى المصانع والمتاجر إلى التوظيف فى الدوائر الحكومية ، ومن الدخول فى المجال السياسى إلى المشاركة فى المباريات الرياضية المحلية والدولية ومسابقات انتخاب الجمال ، ومن خدمة المرضى فى

---

(١) الأستاذ المودودى : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص ١٥٦ .

(٢) الشهيد عبد القادر عودة : الإسلام وأوضاعنا القانونية ص ٦٧ .

المستشفيات إلى خدمة الركاب فى الطائرات وخدمة النزلاء فى الفنادق والمقاهى ، ومن المشاركة فى حفلات الرقص والموسيقى إلى المشاركة فى البرامج التمثيلية وفى الإذاعة والتلفزيون والمسرح والسينما وما إلى ذلك من الإجراءات التى اتخذت باسم حقوق المرأة للقضاء على كيان الأسرة المسلمة وللنفوذ الحضارى فى المجتمعات الإسلامية[1] .

تجاوب العالم الإسلامى تجاه الغزو الحضارى الاستعمارى :

وكان تجاوب العالم الإسلامى تجاه ذلك الغزو الحضارى الاستعمارى بنوعين :

أولا : التجاوب الانفعالى　　　　ثانيا : التجاوب السلبى

والمراد من التجاوب الانفعالى هو اتخاذ موقف الخضوع والتسليم أمام ذلك الغزو الحضارى الاستعمارى وقبول كل شيء يأتى من الغرب ، سواء أكان صحيحا أو غير صحيح ، ورأى أصحاب ذلك الموقف أن نهضتنا تنحصر فى أن « نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ونكون لهم شركاء فى الحضارة خيرها وشرها ، حلوها ومرها وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب »[2] .

وكان لذلك الموقف الخضوعى والعبودية الفكرية للحضارة الغربية أن أصحاب ذلك الموقف قبلوا كل شيء جاء من الغرب سواء أكان فى العقائد والإلهيات أو فى الأخلاق والأعمال أو فى التعليم والثقافة أو فى التشريع والقانون أو فى الاقتصاد والمعيشة أو فى السياسة والحكومة أو فى أية دائرة أخرى من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ، بل جعلوا ما جاءهم من الغرب مقياسا وحيدا للصحيح والخطأ ، وللرد والقبول ، ثم حاول بعضهم أن يأتوا بالتوفيق بين الإسلام وبين الحضارة الغربية ، كما قام البعض بقطع صلتهم بالإسلام .

وأما التجاوب السلبى فالمراد منه هو اتخاذ موقف الرفض والاعتزال وإنكار

---

(١) انظر للتفصيل الأستاذ المودوى : « الحجاب » ص ١٢٦ - ١٣٢ .

(٢) الدكتور طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر ص ٤١ .

كل شيء يأتى من الغرب سواء أكان صحيحا أو غير صحيح ، وسواء أكان ضارا أو نافعا ، وكان ذلك الموقف يهدف إلى المحافظة على ما بقى من القيم الدينية والأخلاقية ، والتراث الإسلامى ، ولكن أصحاب ذلك الموقف بالغوا فيه إلى حد أنهم رفضوا قبول أى شيء يأتى من الغرب ، وهذا ما أدى إلى عدم صلاحيتهم لمواجهة ذلك التحدى الحضارى الاستعمارى ، من ناحية ، وإلى تنحيتهم عن المعركة بين الإسلام وبين الجاهلية الجديدة من الناحية الأخرى[1] .

مدى تأثير غارة الاستعمار الحضارية فى العالم الإسلامى :

كما أسلفنا آنفا إن الاستعمار الغاشم قد خطط المخططات والمؤامرات ، وقد اختار الأساليب والطرق خلال غزوه الحضارى للعالم الإسلامى . فكان أن تأثرت حياة المسلمين الفردية والاجتماعيه من ذلك الغزو الاستعمارى تأثرا عظيما وعميقا فى كل قطر من الأقطار الإسلامية وفى كل دائرة من دوائر الحياة المختلفة فى العقائد والأخلاق وفى التعليم والتشريع ، وفى الاقتصاد والسياسة ، وفى الجملة تأثرت بها حياة المسلمين الفردية والاجتماعية فى كل نواحيها فيقول الإمام الشهيد حسن البنا عن مدى تأثير ذلك الغزو الحضارى على العالم الإسلامى : « ونجح هذا الغزو الاجتماعى المنظم العنيف أعظم النجاح فهو غزو محبب إلى النفوس ، لاصق بالقلوب ، طويل العمر ، قوى الأثر ، وهو لهذا أخطر من الغزو السياسى والعسكرى بأضعاف الأضعاف »[2] .

---

(١) انظر للتفصيل الأستاذ المودودى : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ، ص ١٦٨ - ١٧٤ .

(٢) الإمام حسن البنا الشهيد : رسالة بين الأمس واليوم من مجموعة رسائل الإمام الشهيد ص ١٣٨ - ١٣٩ .

المبحث الثالث

أوضاع المسلمين السياسية فى شبه القارة الهندية

استيلاء الاستعمار الإنجليزى على الهند والقضاء على حكومة المسلمين :

بعد أن استمر المسلمون فى الحكم فى شبه القارة الهندية لأكثر من ثمانية قرون[1] ، بدأ انحطاطهم حيث دخل الاستعمار الإنجليزى الهند باسم شركة تجارية فى النصف الثانى من القرن السابع عشر الميلادى ، وخطط ودبر المخططات والمؤامرات حتى تمكن من الاستيلاء على معظم البلاد خلال قرن من الزمان[2] ثم ألغيت حكومة المسلمين عام ١٨٥٧ الميلادى حين فشلت الثورة التى قادها آخر ملوك المغول بالهند (بهادر شاه ظفر) وهكذا وقعت شبه القارة الهندسية مباشرة تحت احتلال الإمبراطورية الإنجليزية الذى استخدم القوة والعنف ووسائل الاضطهاد الأخرى للقضاء على الإسلام والمسلمين[3] .

إنشاء الأحزاب السياسية لتحرير البلاد :

فى عام ١٨٨٥ الميلادى تأسس حزب المؤتمر الهندى (Indian Nationl Congeress) الذى كان من أهدافه تحرير البلاد من الاستعمار وإقامة دولة ديموقراطية علمانية يكون فيها الحكم للأكثرية التى يقصد بها حكومة الهندوس[4] .

---

(١) دخل الإسلام فى شبه القارة الهندية فى عصر الخلافة الراشدة على أيدى المسلمين التجار ، ثم قام محمد بن القاسم بفتح السند فى عهد الخليفة الأموى وليد بن عبد الملك عام ٩٣ من الهجرة الموافق عام ٧١٢ الميلادى ثم تمكن السلطان محمود الغزنوى من فتح بعض البلاد لشبه القارة خلال الفترة ما بين عام ٩٩٩ الميلادى وعام ١٠٢٥ الميلادى ، ثم تأسست أول حكومة للمسلمين فى الهند عام ١١٩١ الميلادى حيث فتح السلطان محمد الغورى عاصمة البلاد دلهى وكان نائبه السلطان قطب الدين أيبك أول رئيس لهذه الحكومة .

(٢) انظر سيد شريف الدين بيرزادة : نشأة باكستان ص ٢٩ – ٣٢ .

(٣) انظر المرجع السابق : ص ٣٣ – ٣٥ .

(٤) انظر سيد حسن رياض : « باكستان » « ناكزيرتها » ص ٣٢ – ٣٥ .

وفى عام ١٩٠٦ الميلادى تأسس حزب رابطة المسلمين بالهند (All India Muslim Leagu) وكان من أهدافه الاهتمام بالمحافظة على حقوق المسلمين وبث الوعى السياسى فيهم[١] .

حركة الخلافة :

وفى عام ١٩٢٠ الميلادى ، بعد ما أخذ الاستعمار يحيك مؤامراته لإلغاء الخلافة العثمانية ، نهض مسلمو الهند للمحافظة على الخلافة والدفاع عن الأماكن المقدسة الإسلامية وأسسوا حركة الخلافة التى كان زعيمها الشيخ محمد على جوهر[٢] ، واجتمعوا تحت رايتها وبذلوا كل ما كان عندهم من نفس ونفيس فى سبيلها[٣] .

الاتحاد الإسلامى الهندوسى وحركة مقاطعة الإنجليز :

وفى تلك الآونة قامت قوات الاستعمار بإطلاق النار على المواطنين المسلمين والهندوس على السواء فى مدينة « جليا نواله باغ » بمقاطعة بنجاب لتمزيق الجمعية المعارضة للدولة مما جعل الهندوس والمسلمين يتحدون لمقاومة الاستعمار الغاشم تحت زعامة غاندى[٤] (Ghandi) وأنشئت حركة جديدة باسم حركة مقاطعة الإنجليز[٥] .

---

(١) المرجع السابق : ص ٥٣ - ٦٠ .

(٢) هو المغفور له الشيخ محمد على جوهر (المتوفى عام ١٩٣٣ الميلادى) كان زعيما لحركة الخلافة التى تأسست للمحافظة على الخلافة العثمانية لكونها رمزا للاتحاد الإسلامى ، وله دور بارز فى بث الوعى السياسى والدينى بين مسلمى شبه القارة الهندية ، توفى بلندن إثر اشتراكه فى مؤتمر المفاوضات ودفن بجوار المسجد الأقصى بالقدس الشريف .

(٣) انظر دائرة المعارف الإسلامية بالأردية حـ ٥ ص ٤٠٠ - ٤٠١ .

(٤) هو موهن داس كرم جند غاندى : (المتوفى عام ١٩٤٨ الميلادى) كان زعيما هندوسيا كبيرا كما كان القائد الحقيقى لحزب المؤتمر الهندى ويعتبر الأب الفكرى للدولة الهندوسية الحديدة فى شبه القارة الهندية . (انظر الموسوعة العربية ص ٥١٤) .

(٥) انظر دائرة المعارف الإسلامية بالأردية : جـ ٥ ص ٣٩٩ .

خمود حركة الخلافة والفترة القاسية لمسلمى الهند :

وفى عام ١٩٢٤ م خمدت حركة الخلافة فى الهند إثر إلغاء الخلافة العثمانية على يد العميل الاستعمارى مصطفى كمال ، وكان لهذا الحادث المؤلم أثر كبير فى حياة مسلمى الهند لأنهم قد بذلوا كل ما فى وسعهم فى سبيل حركة الخلافة[١] ، وفى نفس الأيام تفكك الاتحاد الإسلامى الهندوسى الذى بذل المسلمون قصارى جهودهم لتكوينه ، وبدأت القلاقل والمجازر بين المسلمين والهندوس[٢] ، وجدير بالذكر أن غاندى الذى كان يرأس الاتحاد الإسلامى الهندوسى حتى اليوم ، أخذ يلوم المسلمين ويؤيد الهندوس ، لا لكونهم ظالمين أو مظلومين بل لكونهم مسلمين وهندوس .

والحقيقة إن الفترة ما بين عام ١٩٢٤ وعام ١٩٣٧ م كانت فترة قاسية لمسلمى الهند وذلك لفقدان القيادة السياسية التى تجمع شملهم .

الدكتور محمد إقبال وفكرة إنشاء وطن خاص لمسلمى الهند :

وفى تلك الظروف انعقد المؤتمر السنوى لحزب رابطة المسلمين عام ١٩٣٠ الميلادى بمدينة « آله آباد » تحت رئاسة الشاعر الإسلامى الكبير الدكتور محمد إقبال[٣] الذى اقترح فى خطابه إقامة وطن خاص فى شبه القارة الهندية وذلك فى المناطق التى تسكنها أغلبية مسلمة والتى تقع فى الشمال الغربى والشمال الشرقى[٤] .

---

(١) انظر المرجع السابق : جـ ٥ ص ٤٠١ .

(٢) انظر المرجع السابق : جـ ٥ ص ٤٠٢ .

(٣) هو الدكتور محمد إقبال : (المتوفى عام ١٩٣٨ الميلادى) شاعر ومفكر إسلامى كبير ، وحصل على الدكتوراه من ألمانيا، وله دور بارز فى بث الوعى الإسلامى فى المسلمين المثقفين وفى إنقاذهم من العبودية الفكرية للحضارة العربية الحديثة وإعادة ثقتهم بالإسلام .

(٤) انظر الأستاذ أحمد سعيد : إقبال وقائد أعظم ص ١٥ .

الدستور الاستعمارى الجديد لعام ١٩٣٥ الميلادى
وإقامة حكومات حزب المؤتمر الهندى فى المناطق:

وفى عام ١٩٣٥ الميلادى جاء الاستعمار البريطانى بدستوره الجديد للهند وقد سمح هذا الدستور للأحزاب السياسية الهندية بإقامة الحكومات التى تكون فيها الأكثرية لهذه الأحزاب فتمكن المؤتمر الهندى من إقامة حكوماته فى المناطق الشمالية واستغل الفرصة لبث دعوته الجديدة فى الشعب المسلم وذلك باسم القومية الوطنية الهندية[١]. وكان المراد من هذه الدعوة أن سكان الهند كلهم شعب واحد لا يميز المسلمين من غيرهم، بلا نظر للاختلاف الذى كان بين المسلمين والهندوس فى العقائد، والأخلاق والثقافة، والتاريخ، والحضارة، وفى دوائر الحياة الفردية والاجتماعية الأخرى، وخططت تلك الحكومات المخططات والمؤامرات لتحقيق هذا الهدف هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى استخدمت الوسائل الاضطهادية الوحشية للقضاء على الإسلام والمسلمين فى هذه المقاطعات[٢]. وفى عام ١٩٣٨ م قرر حزب المؤتمر الهندى توجيه دعوته مباشرة إلى الشعب المسلم، وذلك بواسطة الشيوعيين من المسلمين[٣].

جمعية العلماء بالهند وتأييدها لحزب المؤتمر الهندى :

ومن المؤسف أن جمعية العلماء بالهند كانت تؤيد حزب المؤتمر الهندى لتحقيق هذا الهدف الشنيع الرامى إلى القضاء على المسلمين وحضارتهم وإذابة شخصيتهم الإسلامية فى الهندوس الوثنيين[٤].

عناية قادة المسلمين بمقاومة حركة القومية الهندية :

أجبر كل ذلك قادة المسلمين أن يفكروا فى مصير الإسلام والمسلمين فى القومية الهندية المتحدة بعد تحرير البلاد من الاستعمار، ومن أبرز هؤلاء

---

(١) انظر سيد حسن رياض : باكستان ناكزيرنها ص ١٨١ - ١٨٢ .
(٢) انظر المرجع السابق : ص ١٨٦ - ١٩٣ .
(٣) انظر الأستاذ المودودى : حركة تحرير الهد والمسلمون حـ ١ ص ٢٦٢ - ٢٨٢ .
(٤) انظر المرجع السابق : ص ٢١٥ - ٢٣٦ .

الدكتور محمد إقبال ، الذى قدم فكرة إنشاء دولة باكستان المسلمة والسيد / محمد على جناح[1] الذى تمكن من تنفيذ هذه الفكرة والأستاذ أبو الأعلى المودودى الذى استخدم جريدته الشهرية « ترجمان القرآن » لمكافحة حركة القومية الوطنية وجاء بالأدلة من القرآن والسنة والتاريخ على بطلان هذه الحركة كما وضح بالبراهين القاطعة خطرها الكبير على الإسلام والمسلمين[2] .

قرار الباكستان الشهير لعام ١٩٤٠ الميلادى :

وفى ٢٣ من مارس ١٩٤٠ الميلادى انعقد بمدينة « لاهور » المؤتمر السنوى لحزب رابطة المسلمين تحت رئاسة محمد على جناح رئيس الحزب فأخذ المؤتمر قراره الشهير باسم « قرار باكستان » وجعل هدفه إنشاء دولة مسلمة فى المناطق الإسلامية التى تقع فى الشمال الغربى والشمال الشرقى لشبه القارة[3] ، وذلك حسب اقتراح الدكتور محمد إقبال ، وقد تجمع المسلمون تحت راية حزب رابطة المسلمين لتحقيق هذا الهدف .

والحقيقة إن قرار إنشاء دولة باكستان المسلمة فى شبه القارة الهندية كان قرارا تاريخيا ولكن كان من سوء حظ المسلمين أن حزب رابطة المسلمين كان حزبا سياسيا فحسب ، وكان أكثر قادته وأعضائه ذا ثقافة إنجليزية ، ولم يعرفوا إلا ما تعلموه فى المعاهد الحديثة من العلوم والفلسفات اللادينية والمادية ولذلك تأثرت أذهانهم وقلوبهم بتلك الأفكار والفلسفات كما تأثرت حياتهم الشخصية والاجتماعية بالحضارة الغربية الحديثة ، وأما الإسلام فلم يعرفوا عنه إلا التقاليد التى وجدوا عليها آباءهم ، ومن الواضح أنهم مع كل أمانيهم لن يقدروا على إقامة النظام الإسلامى إلا أن يستعدوا له استعدادا كاملا ، ومع الأسف لم تكن لديه أية فكرة عن هذا الاستعداد[4] .

---

(١) هو محمد على جناح : (المتوفى عام ١٩٤٨ الميلادى) الشهير بقائد أعظم ، تولى رئاسة حزب رابطة المسلمين عام ١٩٣٧ الميلادى ، وكان لجهوده المستمرة أن تجمع مسلمو شبه القارة الهندية تحت راية حزب الرابطة وتمكنوا من إنشاء دولة باكستان المسلمة عام ١٩٤٧ الميلادى وأصبح محمد على جناح أول رئيس لهذه الدولة الجديدة .

(٢) انظر الأستاد مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ، ص ٢٣٥ .

(٣) انظر للتفصيل الدكتور وحيد قريشى : باكستان كى نظرياتى بنيادين ص ١١٥ – ١٦٦ .

(٤) انظر الأستاذ مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ٢٤٨ – ٢٥٥ .

تأسيس الجماعة الإسلامية :

وفى ٢٦ من أغسطس عام ١٩٤١ الميلادى تأسست الجماعة الإسلامية بالهند تحت رئاسة الأستاذ المودودى ، ولم تكن الجماعة الإسلامية جماعة سياسية أو جمعية دينية بالمعنى العام ، بل حركة إسلامية بمفهومها الشامل[١] .

فترة هامة فى تاريخ مسلمى شبه القارة الهندية :

تعتبر الفترة ما بين عام ١٩٤٠ الميلادى وعام ١٩٤٧ الميلادى فترة هامة جدا فى تاريخ شبه القارة الهندية ولا سيما فى تاريخ مسلمى شبه القارة إذ قرر حزب المؤتمر الهندى بزعامة غاندى ونهرو[٢] أن لا يوافق على تقسيم البلاد وإنشاء دولة باكستان المسلمة ، كما قرر حزب رابطة المسلمين برئاسة السيد / محمد على جناح الشهير بقائد أعظم أنه لا يوافق على أى حل غير تقسيم البلاد وإنشاء دولة باكستان المسلمة[٣] .

مؤامرة الشيوعيين الجديدة :

وجدير بالذكر أن الشيوعيين من المسلمين الذين كانوا فى البداية مع حزب المؤتمر الهندى وكانوا يخالفون فكرة تقسيم البلاد على أساس الدين بكل قوة ، انضموا إلى حزب رابطة المسلمين فى السنوات الأخيرة لحركة إنشاء باكستان ، وذلك لتحقيق أهدافهم الشنيعة ضد الإسلام فى دولة باكستان المسلمة .

نشأة دولة باكستان الإسلامية :

ونتيجة للكفاح المستمر من قبل حزب المؤتمر الهندى وحزب رابطة

---

(١) انظر المرجع السابق : ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٢) هو بندت جواهر لال نهرو : (المتوفى عام ١٩٦٤ الميلادى) كان زعيما هندوسيا ويعتبر النائب الأول لزعيمهم الأكبر غاندى فى الكفاح لتحرير البلاد من الإنجليز ، قد تولى رئاسة حزب المؤتمر الهندى لعدة مرات وكان أول رئيس الوزراء للجمهورية العلمانية الهندية .

(٣) انظر سيد حسن رياض : باكستان ناكزيرتها ص ٢٤١ - ٢٦١ .

المسلمين وافق الاستعمار الإنجليزى العاشم على استقلال البلاد فى أغسطس عام ١٩٤٧ الميلادى ، كما وافق على تقسيم البلاد إلى دولتين مستقلتين الهند و باكستان تلبية لأمانى مسلمى شبه القارة الهندية . وهكذا أنشئت الدولة الهندية اللادينية وجمهورية باكستان الإسلامية فى وسط أغسطس عام ١٩٤٧ الميلادى[١] .

الأوضاع السياسية بعد إنشاء دولة باكستان الإسلامية

الدولة الجديدة فى مواجهة التحديات :

كانت موافقة الاستعمار البريطانى بتواطؤ مع حزب المؤتمر الهندى على تقسيم شبه القارة الهندية وإقامة دولة باكستان المسلمة بسبب الضغط الشديد من قبل حزب رابطة المسلمين ، فلذا خطط الاستعمار الإنجليزى والهندوسى للقضاء على هذه الدولة المسلمة فى بداية أمرها ، فقام الهندوس بشن الغارات البربرية العنيفة ضد المسلمين يقيمون المذابح والمجازر ويسفكون دماء الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال فكانت نتيجة هذا النهب والسلب والمجازر أن ملايين المسلمين اضطروا إلى الهجرة من الهند إلى باكستان[٢]. هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى كان فى ذلك الوقت أن حاك الاستعمار الهندوسى بالمؤامرة لاحتلال ولاية جامو وكشمير المسلمة وتمكن من السيطرة عليها بالخدعة والقوة معا[٣] .

وفاة مؤسس دولة باكستان الإسلامية وظهور الآراء المتضاربة حول تطبيق الشريعة الإسلامية فى باكستان :

وفى سبتمبر عام ١٩٤٨ الميلادى توفى مؤسس دولة باكستان المسلمة السيد / محمد على جناح الملقب بالقائد الأعظم إلى رحمة الله[٤] وخلفه

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٤٧٥ - ٥١٨
(٢) انظر للتفصيل السيد صفدر محمود . مسلم ليك كادور حكومت ص ٢٧٢ - ٢٨٠ .
(٣) انظر للتفصيل الأستاذ المودودى . مسئلة كشمير ص ١٩ - ٢٨ .
(٤) انظر دائرة المعارف الإسلامية بالأردية جـ ٥ ص ٤٣٦ .

القادة الذين لم يرغبوا فى تطبيق الشريعة الإسلامية ، وبدأوا يظهرون الآراء المتضاربة حول هذا الموضوع ، فقامت الجماعة الإسلامية بالمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية فى باكستان فقبض على الأستاذ المودودى وزملائه ولم يطلق سراحهم حتى مايو سنة ١٩٥٠ الميلادى(١) .

إصدار قرار المبادىء الأساسية لدولة باكستان الإسلامية :

وكان لجهود الجماعة الإسلامية والجماعات الدينية الأخرى المستمرة أن اضطر المجلس التأسيسى للدولة إلى إصدار قرار المبادىء الأساسية للدولة فى عام ١٩٤٩ م ويعتبر ذلك القرار أساس دولة باكستان الإسلامية ، وذلك لأنه ينص على أن الحاكمية فى باكستان لله سبحانه وتعالى وأن الحكومة ملتزمة بتطبيق ما يريده الحاكم الأعلى وهو الله سبحانه وتعالى(٢) .

اتفاق العلماء على المبادىء الأساسية للدستور الإسلامى :

وفى عام ١٩٥٠ الميلادى قامت الحكومة بإصدار التوصيات لمبادىء الدستور الأساسية ، فكانت تخالف قرار المبادىء الأساسية للدولة ، فطالبت الجماعة الإسلامية والجماعات الدينية الأخرى من الحكومة بسحبها على الفور ، فجاءت الحكومة بالمؤامرة الأخرى فطالبت العلماء والمشايخ أن يأتوا بمبادىء الدستور الإسلامى التى تتفق عليها الفرق الإسلامية المختلفة ، فكانت تظن أن العلماء والمشايخ الذين ينتمون إلى فرق إسلامية مختلفة لن يتفقوا على هذه المبادىء ولكن خاب ظن الحكومة حيث وفق الله العلماء والمشايخ أن يجتمعوا ويأتوا بالمبادىء الأساسية للدستور الإسلامى ، والأستاذ المودودى له دور هام فى صياغة هذه المبادىء(٣) .

---

(١) انظر الأستاذ ثروت صولت : Moulana Moudoodi ص ٣٩ .

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية بالأردية : ص ٤٣٦ والأستاذ ثروت صولت Moulana Moudoodi ص ٣٤ - ٣٦ .

(٣) انظر الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى ، فكره ، دعوته ، جهاده ص ٥٨ .

الانتخابات :

وفى عام ١٩٥١ الميلادى أُجريت – لأول مرة – الانتخابات فى باكستان ، وكان نتيجة للغش والتزوير والطرق غير الشرعية الأخرى أن نجح حزب رابطة المسلمين الحاكم(١) ، وكان لمخططات الشيوعيين والاشتراكيين والعلمانيين الموجودين فى حزب رابطة الحاكمة والدوائر الحكومية أن لم تتمكن الجماعات الدينية من النجاح فى الانتخابات .

مؤامرة روالبندى الشيوعية :

وفى تلك الأيام جاء الشيوعيون الموجودون فى الدوائر الحكومية والعسكرية والسياسية بالمؤامرة للانقلاب الشيوعى فى البلاد ، ولكن قدر الله أن يكتشف الأمر وتقضى على المؤامرة قبل أن تتحقق فلله الحمد(٢) .

الثورة الشعبية ضد القاديانيين :

كان من المخططات الاستعمارية الشنيعة أن تمكن القاديانيون من السيطرة على الدوائر الحكومية العسكرية والمدنية ، فكان رد فعل هذه السيطرة أن قام الشعب المسلم الباكستانى ضدهم وطالب من الحكومة إصدار القرار الذى ينص على كون القاديانيين غير مسلمين ، فكانت اضطرابات عنيفة فى إقليم البنجاب ، فاعتنمت الحكومة تلك الفرصة للقضاء على الجماعات الدينية ، ولاسيما الجماعة الإسلامية التى كانت تقود الحركة لتطبيق الشريعة ، فحكم على الأستاذ المودودى بالإعدام شنقا ، إلا أن الله قد أنقذه من ذلك(٣) .

---

(١) انظر السيد / صفدر محمود : مسلم ليك كادور حكومت ص ١٧١ – ١٧٤ . والاستاد ثروت صولت Moulana Moudoodi ص ٣٤ – ٣٥ .

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية : ص ٤٣٧ .

(٣) انظر المراجع السابقة ص ٤٣٨ .

الصراع الطويل لنفاذ الدستور الإسلامي :

تعتبر الفترة ما بين عام ١٩٤٨ الميلادى وعام ١٩٥٦ الميلادى فترة الصراع المستمر لنفاذ الدستور الإسلامى وكان ذلك الصراع بين الحكومة وبين الشعب المسلم من ناحية ، وبين الشيوعيين والعلمانيين والقاديانيين ومنكرى السنة فى الدوائر الحكومية العسكرية والمدنية وبين الجماعات الدينية ولاسيما الجماعة الإسلامية من الناحية الأخرى ، وذلك فضلا عن مؤامرات الاستعمار الدولية ضد حركة إقامة الحكومة الإسلامية فى باكستان ، فنتيجة لذلك الصراع الطويل والمؤامرات الداخلية والخارجية المستمرة أصبحت الحكومة لعبة فى أيدى الأطفال ، فتغيرت أكثر من ست حكومات خلال تلك الفترة القصيرة[١] .

الدستور الإسلامى لعام ١٩٥٦ م :

وأخيرا فى عام ١٩٥٦ م تمكن الشودرى محمد على رئيس الوزراء آنذاك أن يأتى بالدستور للبلاد وكان ذلك الدستور إلى حد كبير وفقا لقرار مبادىء الدولة لعام ١٩٤٩ الميلادى مشابها للمبادىء الأساسية للدستور الإسلامى التى اجتمع عليها العلماء عام ١٩٥٠ الميلادى[٢] ، وبرغم ما فى هذا الدستور من الملاحظات فهو يعتبر الدستور الإسلامى أو شبه الإسلامى ، ومن أجل ذلك رحبت به الجماعات الإسلامية مع ملاحظاتها عليه .

نفاذ الحكم العرفى وحل الأحزاب السياسية :

وكان من الطبيعى أن العلمانيين والمتفرنجين والشيوعيين والقاديانيين فى الجيش والحكومة لم يعجبهم نفاذ الدستور الإسلامى فى باكستان ، وكذلك القوى الاستعمارية لم تكن راضية عن ذلك الدستور ، فخططت المخططات والمؤامرات فى داخل البلاد وخارجها فقام الجنرال أيوب خان رئيس أركان الجيش أنذاك بتنفيذ

---

(١) انظر المرجع السابق : ص ٤٣٨ .

(٢) انظر السيد / صفدر محمود : مسلم ليك كادور حكومت ص ٢٨٥ – ٣٣٣ .

الحكم العرفى وإلغاء الدستور وحل الأحزاب السياسية وذلك عام ١٩٥٨ الميلادى[١] .

فترة الحكم العرفى – فترة خصبة للمخططات والمؤامرات المعادية للإسلام :

وتعتبر فترة الحكم العرفى فترة خصبة للشيوعيين والمتفرنجين والقاديانيين ومنكرى السنة ، فخططوا المخططات والمؤامرات للقضاء على الإسلام والجماعات الدينية ولاسيما الجماعة الإسلامية ، فكان خلال تلك الفترة أن تمكن منكرو السنة من النفوذ فى الدوائر الحكومية فبدأوا ينشرون أفكارهم الضالة حول السنة النبوية ومكانتها فى التشريع والتفسير ، وذلك تحت رعاية الحكومة فتأسست « إدارة التحقيقات الإسلامية » التى عينوا فيها الكتاب والباحثين الذين ينتمون إلى هذه الفئة الضالة ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى قامت الحكومة بتغيير قانون الأحوال الشخصية الإسلامى بالقوانين الوضعية المغادية للإسلام ، وهذا مالم يفعله الاستعمار الإنجليزى ، ومن الناحية الثالثة اغتنم الشيوعيون والقاديانيون والمتفرنجون الموجودون فى الحكومة تلك الفرصة لاستغلال الوسائل الحكومية ولاسيما وسائل الدعاية والإعلام لنشر أفكارهم الباطلة من جانب ، ولنشر الإباحية والفواحش والمنكرات من جانب أخر[٢] .

الدستور الجديد وانتخابات الرئاسة :

وفى عام ١٩٦٢ الميلادى جاء أيوب خان بالدستور الجديد للبلاد ، وذلك الدستور كانت فيه السلطة فى أيدى الدكتاتور الحاكم ، وأما البرلمان فكان مثل لعبة فى يد الدكتاتور[٣] ، وفى عام ١٩٦٥ أجريت الانتخابات لرئاسة البلاد تحت ذلك الدستور فعقدت تلك الانتخابات بين الرئيس أيوب خان وبين أخت مؤسس باكستان محمد على جناح السيدة / فاطمة جناح التى كانت تؤيدها

---

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية بالأردية (مادة باكستان) جـ ٥ ص ٤٤١ – ٤٤٢ .

(٢) انظر الأستاذ أحمد إدريس : الشيخ أبو الأعلى المودودى وصفحات من حياته وجهاده ص ٧٣ – ٧٦ والدكتور كليم الصديقى Conflict, Crisis & War in Pakistan P. 99-124

(٣) انظر دائرة المعارف الإسلامية بالأردية (مادة باكستان) جـ٥ : ص ٤٤٤ .

الأحزاب المعارضة فجاءت اللجنة الانتخابية بالنتائج المزورة وأعلنت نجاح أيوب خان[1] .

الحرب بين الهند وباكستان :

وفى عام ١٩٦٥ م هاجم الاستعمار الهندوسى الغاشم جمهورية باكستان الإسلامية وذلك لتأييدها لحركة تحرير ولاية جامو وكشمير المسلمة التى احتلها الاستعمار الهندوسى ، فوقف الشعب الباكستانى مع الجيش لمواجهة ذلك التحدى الاستعمارى فوفق الله الجيش الباكستانى بالنصر[2] فلله الحمد .

بداية الصراع العنيف واستقالة أيوب خان :

وكان لإجراءات أيوب خان الاستبدادية ، ولاسيما المخططات المعادية للإسلام أن قام الشعب المسلم الباكستانى ضده فى عام ١٩٦٨ الميلادى واتحدت الأحزاب السياسية المختلفة وشكلت المعارضة القوية ضد الحكم الدكتاتورى ، فأقيمت المؤتمرات الجماهيرية والمظاهرات الشعبية يطالبون إعادة الديمقراطية وإجراء الانتخابات ، فبدأت المفاوضات بين أيوب خان وبين الأحزاب المعارضة فوافق أيوب خان على ذلك إلا أن الأحزاب اليسارية الشيوعية وعلى رأسها حزب الشعب للسيد / ذو الفقار على بوتو لم توافق على ذلك ، فأقيمت الاضطرابات والاشتباكات العنيفة بين الإسلاميين وبين الشيوعيين والمتفرنجين فى باكستان الغربية وباكستان الشرقية معا ، فاضطر أيوب خان إلى الأستقالة من منصب الرئاسة وقام الجنرال يحيى خان بتنفيذ الحكم العرفى فى البلاد وذلك حسب التخطيط المسبق . وهكذا تمكن اليساريون من تحقيق أهدافهم الشنيعة[3] .

---

(١) أنظر الدكتور كليم الصديقى : Conflict, Crisis & War in Pakistan P. 118-121 .

(٢) انظر المرجع السابق : ص ١٢١ – ١٢٥ والأستاذ خورشيد أحمد : « باكستان مين آئين كى وين اورجمهوريت كامسئلة » ص ٢٨٣ .

(٣) انظر للتفصيل رانا رحمن ظفر : مشرق باكستان كى علمد كى كى دردناك كهانى ص ١٠٣ – ١٢٢ والدكتور كليم الصديقى Conflict, Crisis and War in Pakistan, ص ١٢٥ – ١٤٥ .

الانتخابات البرلمانية لعام ١٩٧٠ الميلادى :

وفى عام ١٩٧٠ الميلادى أجريت الانتخابات البرلمانية فى باكستان الغربية وباكستان الشرقية معا وكان لمخططات الشيوعيين والعلمانيين ومنكرى السنة الموجودين فى الدوائر الحكومية من ناحية ، ولتمويل الأحزاب اليسارية العلمانية من قبل الدول الاستعمارية من ناحية أخرى ، وللخلافات الموجودة فيما بين الأحزاب الإسلامية من الناحية الثالثة ، أن تمكن حزب الشعب للسيد / ذو الفقار على بوتو من النجاح فى باكستان الغربية وذلك مع أن الأصوات التى حصل عليها حزب الشعب لم تزد عن ٣٥ ٪ وهكذا نجح حزب الشعب اليسارى للشيخ مجيب الرحمن فى باكستان الشرقية وذلك أيضا مع أن عدد الأصوات التى حصل عليها هذا الحزب كان أقل من العدد الذى حصلت عليه الأحزاب الإسلامية وهذا ما يتبين منه أنه لو اتحدت الأحزاب الإسلامية فى باكستان الغربية والشرقية لم يحصل لليساريين ما حصل لهم من النجاح فى الانتخابات[١] .

حادث انفصال باكستان الشرقية :

من المعلوم أن باكستان الشرقية كانت تقع على بعد أكثر من ألف كيلو متر من باكستان الغربية حيث يقع الاستعمار الهندوسى ما بين الشطرين ويتربص بهما الدوائر ، والإسلام كان هو الرابط الوحيد بينهما وكان من الطبيعى أن نجاح الشيوعيين فى كلا الشطرين يؤدى إلى الضعف والاضمحلال فى ذلك الرابط ، فاغتنمت الدول الاستعمارية - ولاسيما الاستعمار الأحمر - تلك الفرصة فخططت للقضاء على وحدة البلاد فكان لدعم الاستعمار السوفيتى المادى والمعنوى أن تمكن الاستعمار الهندوسى من فصل باكستان الشرقية عن باكستان الغربية وذلك فى ديسمبر عام ١٩٧١ الميلادى[٢] .

---

(١) انظر للتفصيل : رانا رحمن ظفر - مشرق باكستان كى علمد كى دردناك كهانى ص ١٢٥ - ٣١٨ .

(٢) انظر للتفصيل المرجع السابق : ص ٣٢٩ - ٤٣١ .

حزب الشعب للسيد بوتو يستولى على الحكم :

انتهى ذلك الحادث المؤلم باستقالة يحيى خان واستولى السيد / ذو الفقار على بوتو رئيس حزب الشعب على الحكم ، وذلك أيضا حسب المخططات الاستعمارية السابقة ، واستمر حكم بوتو من عام ١٩٧١ الميلادى إلى عام ١٩٧٧ الميلادى وتعتبر تلك الفترة فترة الاستبداد والعدوان والعنف من ناحية ، وفترة المخططات والمنكرات فى المجتمع من الناحية الثالثة ، وجملة القول أن تلك الفترة تعتبر من أسود أبواب التاريخ لدولة باكستان المسلمة(١) .

المسلمون يقومون ضد القاديانيين :

وكان لتأييد القاديانيين لحزب الشعب لبوتو خلال الانتخابات البرلمانية عام ١٩٧٠ الميلادى أن حصلت هم السيطرة فى السلطة بعد أن وصل حزب الشعب إلى الحكم ، وبهذا بلغت لهم الجرأة أن يهاجموا الطلاب المنتمين إلى الحركة الإسلامية وهم يمرون من الربوة مركز القاديانية وهذا ما جعل الشعب المسلم الباكستانى يقوم ضد تمرد القاديانيين ، فبدأت المؤتمرات والمظاهرات الجماهيرية بالمطالبة بإصدار القرار الذى ينص على كون القاديانيين أقلية غير مسلمة ، وكانت علاقة وثيقة بين الحكومة وبين القاديانيين وراء عدم موافقة الحكومة على هذه المطالبة فى بداية أمرها إلا أنها وافقت على ذلك فيما بعد نتيجة للضغط الشعبى الشديد ، فصدر القرار ينص على كون القاديانيين غير مسلمين(٢) ، والحقيقة أن اتحاد الجماعات الدينية له دور هام فى إصدار ذلك القرار ، ولولا ذلك الاتحاد بين المسلمين لم توافق الحكومة على إصدار ذلك القرار .

الحركة الشعبية ضد حكم بوتو الدكتاتورى :

وكان لاستبداد الدكتاتور وعدوانه الشديد أن أقيمت الحركة الشعبية الكبيرة ضد النظام الدكتاتورى وتلك الحركة التى شاركت فيها الأحزاب

---

(١) انظر للتفصيل الأستاذ محمد صلاح الدين : بيپلزپارٹی - مقاصد اور حکمت عملی .
(٢) انظر الشيخ المقرى أحمد بيلى بيتى : تاريخ باك وهند ص ٣٠٩ - ٣١٦ .

السياسية المختلفة تعتبر أكبر الحركات السياسية منذ إنشاء دولة باكستان الإسلامية هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تمتاز هذه الحركة بلونها الإسلامى حيث كانت المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية من أهم أهدافها الأساسية . وجدير بالذكر أن هذه الحركة قد وصلت إلى قمتها إلى أن قام الجنرال ضياء الحق بتنفيذ الحكم العرفى فى البلاد وذلك فى يوليو عام ١٩٧٧ م ، ثم حكم على بوتو بالإعدام شنقا فيما بعد وذلك قصاصا لجريمة القتل التى دبر لها .

وجدير بالذكر أن الجنرال ضياء الحق وصل إلى السلطة وهو يتعهد بأنه سيقوم بتطبيق الشريعة الإسلامية ، وهو معروف بميوله الإسلامية[١] ، ولكن هل سيتمكن من الوفاء بذلك الوعد أم لا ؟ هذا ما ستثبته الأيام .

وجملة القول أن أوضاع المسلمين بشبه القارة الباكهندية خلال ذلك العصر تمتاز بالصراع المستمر بين الإسلام والجاهلية ، يبدأ هذا الصراع بمخططات الاستعمار للقضاء على حكم المسلمين فى شبه القارة من ناحية ، وبنشر أفكار السياسية الجاهلية الحديثة فيهم من الناحية الثانية ، ثم يبدأ الصراع بين مسلمى شبه القارة وبين الإستعمار البريطانى من جانب وبين المسلمين والهندوس من جانب آخر ، وذلك لاستقلال البلاد من الاحتلال الاستعمارى وإنشاء دولة باكستان المسلمة ، ثم بعد إنشاء دولة باكستان الإسلامية بدأ الصراع الجديد بين الحركة الإسلامية والأحزاب الإسلامية الأخرى ، وبين العلمانيين والمتفرنجين والشيوعيين ومنكرى السنة والقاديانيين لتحويل باكستان إلى دولة إسلامية أو دولة علمانية شيوعية ، ولا يزال هذا الصراع مستمرا . وسنفصل الكلام فى مؤثرات هذه الأوضاع السياسية بالجوانب المختلفة خلال حديثنا عن مؤثرات ذلك العصر من النواحى المختلفة . وبالله التوفيق .

---

(١) انظر الأستاذ محمد صلاح الدين : المرجع السابق .

المبحث الرابع

الحالة الدينية

كان ذلك العصر عصر انحطاط المسلمين فى كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية ، ولم تكن هناك دائرة من دوائر الحياة إلا وقد تأثرت بذلك الانحطاط كما لم يكن هذا الانحطاط مقتصرا على بلد خاص من البلاد الإسلامية ، بل كان العالم الإسلامى من شرقه إلى غربه مصابا بالجدب العلمى وشبه الشلل الفكرى وقد أخذه الإعياء والفتور واستولى عليه النعاس[1] . ولم يكن ذلك الجمود والانهيار إلا نتيجة لفكرة فصل الدين عن الدولة وإقفال باب الاجتهاد أمام العلماء[2] ، ونرى هذا الخمود عاما شاملا للعلوم الدينية والفنون الأدبية والمعانى الشعرية والإنشاء والتاريخ ومناهج التعليم[3] «وكانت معظم المناهج الدراسية فى المدارس الدينية تضم فيها دراسة فلسفة الإغريق أو المذاهب الفقهية المختلفة ، أما القرآن والحديث فالعناية بهما لم تكن إلا قليلا فكانوا لا يزالون يدرسون فى الفلسفة والكلام تلك الكتب التى كان الزمان قد خلفها من ورائه منذ خمسمائة سنة وتقدم إلى الأمام »[4] .

ذلك كان حال المجتمع الإسلامى من الناحية الدينية ولم يستثن من ذلك مسلمو شبه القارة الهندية ، فقد أصابهم ما أصاب المسلمين فى كل مكان ، وسأحاول إعطاء فكرة موجزة عن أحوال المسلمين الدينية فى شبه القارة الهندية . وبالله التوفيق .

---

(١) انظر الأستاذ أبا الحسن على الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٦٥ – ١٦٦ .

(٢) انظر المرجع السابق : ص ١٤٧ – ١٦٤ .

(٣) انظر المرجع السابق : ص ١٦٦ .

(٤) انظر الأستاذ المودودى : نحن والحضارة الغربية ص ١١٧ .

الحالة الدينية فى شبه القارة الهندية

وصل الإسلام فى غرب شبه القارة الهندية فى آخر القرن الأول من الهجرة بواسطة المجاهدين المسلمين وذلك حينما قام محمد بن القاسم[1] بفتح السند فى عصر الدولة الأموية[2]، وقد عرف سكان البلاد سماحة الإسلام ومساواته بين البشر مما حمل معهم المجاهدون البررة، ومن سوء حظ هذه القارة أنه بعد وفاة الوليد بن عبد الملك واستشهاد محمد بن القاسم لم يتمكن خلفاء بنى أمية من فتح بقية البلاد، واستمرت تلك الحالة إلى بداية القرن الخامس من الهجرة حين غزا محمود الغزنوى الهند، ففتح البلاد التى لم تفتح من قبل[3]، ثم جاء محمد الغورى وتمكن من إخضاع دلهى، عاصمة البلاد فى نهاية القرن السادس من الهجرة، وبعد استشهاده عام ١٢٠٦ الميلادى[4] قام قطب الدين أيبك بتأسيس أول حكومة للمسلمين بالهند[5]، ثم تمكن المسلمون من فتح أكثر القارة بعد ذلك واستمر حكمهم فيها حوالى ثمانية قرون وفى عام ١٨٥٧ م ألغى حكم المسلمين بعد مجىء الاستعمار البريطانى إلى الحكم[6]، ولسوء الحظ أن الملوك المسلمين مع أن بعضهم كانوا متدينين فى حياتهم الشخصية لم يعتنوا بتبليغ الإسلام فى شبه القارة الهندية، بل اقتصر تبليغ الإسلام على الصوفية والوعاظ الذين هاجر معظمهم من بلاد ما وراء النهر فكانوا أكثر عناية بالتصوف أو المذاهب الفقهية

---

(١) هو محمد بن القاسم الثقفى. (٧٢ هـ - ٩٦ هـ) بعثه عمه الحجاج بن يوسف أمير العراقين بفتح السند فى عهد وليد بن عبد الملك الأموى، وهو لم يتجاوز عمره سبعة عشر عاما، فهو تمكن من فتح هذه البلاد عام ٨٩ من الهجرة. ثم استشهد فى عام ٩٦ من الهجرة فى عهد الملك سيمان بن عبد الملك الأموى.

(٢) انظر البلاذرى : فتوح البلدان ص ٦١٢ - ٦١٨.

(٣) انظر الدكتور حسان حقى : باكستان ماضيها وحاضرها ص ٤٥ - ٥٠

(٤) انظر سيد حسن رياض باكستان ناكزيرتها ص ٨ - ١٠

(٥) انظر المرجع السابق ص ١

(٦) انظر الدكتور عبد العزيز سليمان نار تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٥٥٨ - ٥٦٢.

من اعتنائهم بتعليم الكتاب والسنة[١] ولم يكن هناك نظام خاص للتبليغ وبخاصة لهؤلاء حديثى العهد بالإسلام ونتيجة لذلك أسلم كثير من الهندوس بدون أن يتخلوا عن عقائدهم الشركية القديمة ، أو تقاليدهم الجاهلية التى قد ألفوا عليها آباءهم ولم يفعلوا شيئا بعد إسلامهم إلا أن يغيروا أسماء آلهتهم القديمة ويحلوا آلهة جديدة من أولياء الله فى مكانها فكان إسلامهم يختلف عن الإسلام النقى فى كثير من النواحى[٢] ، ولو اقتصر على هذا لهان الأمر ، ولكن أحد هؤلاء الملوك وهو جلال الدين أكبر (المتوفى عام ١٦٠٥ الميلادى) ، وقع فى شباك مؤامرة الهندوس فتزوج من نسائهم واخترع دينا جديدا سماه « الدين الإلهى » ولم يكن ذلك الدين إلا مجموعة من الخرافات والتقاليد الهندوسية وهكذا انتشرت تلك الخرافات والتقاليد الجاهلية بين عامة المسلمين أيضا[٣] ، وكادت أن تذوب شخصية المسلمين فى تلك الخزعبلات ، ولكن قدر الله ، وله الحمد ، أن ينقذ المسلمين من تلك الخطورة فقام الشيخ أحمد السرهندى[٤] الملقب بمجدد الألف الثانى رحمه الله وبدأ جهاده لمواجهة ذلك التحدى الضار ، وذلك فى عهد ابنه نور الدين جهانكير فألقى فى السجن ولكنه استمر فى عمل الدعوة فى السجن حيث تاب على يديه مئات من المسجونين هناك ، فأطلق سراحه كما تاب على يديه جهانكير ، وتخلى عن دين أبيه « الدين الإلهى »[٥] وبعد وفاة الشيخ أحمد السرهندى ...قدر الله أن يقوم الإمام أحمد بن عبد الرحيم الشهير بالشاه ولى الله الدهلوى[٦] بحمل راية الجهاد الذى قد بدأه الشيخ أحمد السرهندى ، وجدير بالذكر أن دعوته ومؤلفاته تمتاز بالاعتماد على الكتاب والسنة ، وهكذا نشأ علم

---

(١) انظر الأستاذ مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ١٥ .

(٢) انظر الأستاذ المودودى : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص ١٣٠ – ١٣١ .

(٣) انظر للتفصيل الأستاذ صلاح الدين ناسك : دورِ مغليه ص ٢٢١ – ٢٢٤ .

(٤) هو الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندى : (٩٧١ هـ – ١٠٣٤ هـ) ولد فى بيت عريق فى المجد والعلم ونشأ فى بيئة دينية صالحة واستفاد من الشيخ باقى الله ثم قام لمواجهة هذا التحدى . وهو يعتبر مجددًا لعصره . انظر للتفصيل الشيخ عبد الحى الحسنى : نزهة الخواطر جـ ٥ ص ٤١ – ٥٢ .

(٥) انظر شيخ محمد إكرام : رود كوثر ص ٢٦٧ – ٢٨١ .

(٦) هو الشيخ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى (عام ١١١٤ هـ – ١١٧٦ هـ) كان عالما ألمعيا عبقريا يعتبر مجدداً لعصره وله عدة من الكتب القيمة . انظر شيخ محمد إكرم : رود كوثر ص ٥٤٨–٥٨٦ .

الكلام الجديد المؤسس على البراهين من الكتاب والسنة[1]، وبعد وفاته فى عام ١١٧٦ من الهجرة استمرت دعوته فى أبنائه وأحفاده وتلاميذه ، وفى عام ١٢٤٢ من الهجرة حمل سيد أحمد البريلوى[2] والشيخ محمد إسماعيل الدهلوى[3] راية الدعوة ، وبذلا الجهود المضنية لإقامة الدولة الإسلامية بمفهومها الصحيح الشامل ، وذلك بوضع أسس حركة الجهاد التى بدأت ضد حكومة «السيخ» فيقول مؤسس الحركة سيد أحمد البريلوى : « نعم مما أتمناه من ربى وأرجو من صميم فؤادى أن يجرى العمل بقانون الشرع وتنفيذ أحكام الرب العلى العظيم فى معظم بلاد بنى آدم بل فى جميع أقطار العالم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله »[4] وقد استشهد سيد أحمد البريلوى والشيخ إسماعيل عام ١٢٤٦ من الهجرة الموافق ١٨٣١ م ولكن ظل أثر دعوتهما فى المجتمع الإسلامى لمدة طويلة[5] .

وكما ذكر آنفا أنه فى عام ١٨٥٧ الميلادى محيت الدولة المغولية من شبه القارة الهندية واستولى الاستعمار البريطانى على الحكم وكان لتلك الضربة أثر عميق فى حياة المسلمين من كل ناحية ولاسيما من الناحية الدينية فقد ألغيت المحاكم الشرعية واستبدل القانون الإفرنجى بالقانون الإسلامى كما استبدل نظام التعليم الإفرنجى اللادينى بنظام التعليم الإسلامى فأنشئت المعاهد التعليمية العصرية والمدارس التبشيرية فى طول البلاد وعرضها[6] . وكان كل ذلك حسب المخططات الاستعمارية التى كانت تهدف إلى تنشئة جماعة هندية اللون والدم والإنجليزية فى المظهر والرأى واللغة والتفكير ، وكان لتلك المخططات الاستعمارية أثر كبير ورد فعل شديد فى المجتمع ظهرت على أثره الحركات الآتية[7] :

---

(١) انظر الشيخ عبد الحى الحسنى : نزهة الخواطر جـ ٦ ص ٣٩٨ - ٤١٤ .

(٢) هو سيد أحمد البريلوى : (عام ١٢٠١ هـ - ١٢٤٦ هـ) قد حمل راية الدعوة بعد وفاة الشاه ولى الله الدهلوى وقام بالجهاد ضد حكومة السيخ الطاغية واستشهد عام ١٢٤٦ هـ .

(٣) هو الشيخ محمد إسماعيل الدهلوى : المتوفى عام ١٢٤٦ من الهجرة .

(٤) انظر الأستاذ مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ١٧٢ .

(٥) انظر شيخ محمد إكرام : موج كوثر ص ١٥ - ٣٦ .

(٦) انظر للتفصيل سيد نور الله . تاريخ تعليم هند ص ٥٧ - ٥٨ ، ١٤٥ - ٢١٢ .

(٧) انظر مجلة جراغ راه الشهرية : عدد خاص فى ذكرى الحركة الإسلامية ص ٥٦ .

أولا : حركة سيد أحمد خان[1] أو حركة « على كره » كما يسمونها وكانت تلك الحركة انفعالية قائمة على قبول كل شيء يأتى من الغرب سواء كان حقا أم باطلا . وقام مؤسسها بتأسيس كلية « عليكره » الإسلامية لتعميم التعليم الإنجليزى والثقافة الغربية بين المسلمين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى قام سيد أحمد خان بتفسير القرآن والإسلام حسب ما جاءه من الغرب من العلوم والفلسفات فنرى أنه أنكر ولادة سيدنا عيسى عليه السلام من غير أب كما أنكر الجنة والنار والملائكة والجن وأخذ يشتم الأئمة الفقهاء والمحدثين ويستهزىء بالشعائر الإسلامية[2] وأنكر السنة وقرر فى تفسيره أن القرآن نزل على الرسول ﷺ بالمعنى فقط ثم صاغ الرسول ﷺ ألفاظه من عنده[3] فكان يؤول القرآن تأويلا يبلغ حد التحريف والعبث بأصول العربية واللغة والنحو ، والتواتر والإجماع فصار يفسر القرآن تفسيرا يخرق فيه الإجماع وينقض به اللغة[4] وقد كان الاتجاه المادى المتطرف والإسراف فى تمجيد العقل والمبالغة فى سلطانه وحدوده وإخضاع إرادة الله وقدرته وكتابه لقوانين الطبيعة وقوانين هذا العالم والجرأة على التفسير وتأويل معانى القرآن تأويلا جريئا فتح به بابا للفتنة والتحريف والإلحاد فى آيات الله والفوضى فى الدين والعقيدة التى انتشرت فى العصر الأخير[5] .

وكانت الحركة التى قام بها سيد أحمد خان من أقوى الحركات التى أقيمت فى هذا العصر وقد كتب لها من النجاح والتأثير مالم يكتب لأية حركة وفكرة وكان نفوذ شخصية

---

(١) هو سيد أحمد خان بن ميرمتقى . (عام ١٨١٧ الميلادى عام ١٨٩٨ الميلادى) مؤسس كلية على كره الإسلامية . تلقى دراسته على منهج التعليم القديمى . قد تأثر كثيرا من فشل ثورة عام ١٨٥٧ م . ويرى أن نهضة المسلمين تنحصر على اتباع الحضارة الغربية الحديثة فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية . فقام بتأسيس كلية على كره الإسلامية عام ١٨٧٠ الميلادى (انظر شيخ محمد إكرام : رود كوثر ص ٧٧ – ١١٠) .

(٢) انظر الطالب / خادم حسين إلهى بخش : رسالته للماجستير فرقة أهل القرآن بباكستان وموقف الإسلام منه ص ٤٧ .

(٣) انظر مقالات سرسيد : جـ ١ ص ٤٤ – ٤٥ .

(٤) الأستاذ أبو الحسن على الندوى : الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية فى الأقطار الإسلامية ص ٨٦ .

(٥) المرجع السابق : ص ٨٧ .

سيد أحمد خان واسع النطاق وعميقا فى المجتمع الهندى[1] وأخيرا أصبحت كلية « عليكرة » الإسلامية والمعاهد التابعة لها أو الكليات والمدارس الأخرى التى تأسست على منهجها مراكز لنشر الإلحاد والشيوعية والتشكيك بين المسلمين فكانت نتيجة تلك الثقافة العلمانية أن المسلمين المثقفين بدأوا يعتقدون بأن الإسلام دين شخصى كالمسيحية وليس لها أية علاقة بالحياة الاجتماعية ولاسيما شئون الدولة ولاشك أن تلك الفكرة الضالة كانت خطيرة جدا على الإسلام والمسلمين فأصبحت دليلا لطرد الإسلام خارج شئون الحياة الاجتماعية .

وهكذا أثمر انتشار الثقافة الغربية بين المسلمين ففقدوا قوة النقد والتمييز وجعلوا كل ما تعلموا من الغرب مقياسا للحق والباطل ثم رجعوا ينتقدون الإسلام بهذا المقياس[2]، ولو اقتصرت تلك الظاهرة على هؤلاء المتفرنجين لهان الأمر ، ولكن الأمر كان أشد خطورة عندما لم تسند أمور السلطة فى المجتمع الإسلامى إلا إلى هؤلاء المتغربين فأصبحت ظاهرة التشكيك تعم المسلمين جميعا .

ثانيا : المدارس الدينية : بعد أن فشلت ثورة عام ١٨٥٧ الميلادى وقضى على حكومة المسلمين فى الهند وبدأ العلماء والمشايخ يفكرون فى المحافظة على الدين من تيار الغزو الفكرى الاستعمارى الإنكليزى ، فقاموا بإنشاء المدارس الدينية ، وأهمها معهد ديوبند الشهير الذى تأسس بعد إعلان الثورة بعشرة أيام ومؤسس هذا المعهد الديبى هو الشيخ محمد قاسم النانوتوى المتوفى عام ١٨٨٠ م[3] ، وكان مں تلامذة مدرسة الشاة ولىّ الله الدهلوى ، ومن أهداف تلك المدارس المحافظة على ما بقى مں الروح الإسلامى والعاطفة الدينية ومظاهر الحياة الإسلامية وتجنب الحضارة الاستعمارية اللادينية والابتعاد عنها ما أمكن[4] ، وجدير

---

(١) انظر المرجع السابق : ص ٩١ .

(٢) انظر الأستاذ المودودى : واقع المسلمين وسبيل النهوص بهم ، ص ١٦١ - ١٦٨ .

(٣) هو الشيخ محمد قاسم بن أسعد : (١٢٤٨ هـ - ١٢٩٨ هـ) تلقى دراسته على يدى العلماء الكبار ثم قام بتأسيس دار العلوم ديوبند كما اهتم بمناظرة النصارى والأرية عن الهنود وله عدة من التأليفات القيمة (نزهة الخواطر : جـ ٧ ص ٣٨٢ - ٣٨٤) .

(٤) الأستاذ أبو الحسن على الندوى : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار الإسلامية ص ٧٥ .

بالذكر أن منهج تلك المدارس يدعى بالدرس النظامى ويشتمل على كتب المنطق ، وفلسفة اليونانيين وشروحها والتعليقات عليها وكتب النحو والبلاغة وكان منهج التعليم فيها عقيما لا يصلح لهذا العصر الذى تغيرت فيه أوضاع العالم فلا يؤهل الطالب المتخرج أن يخدم الدين ويذود عنه فى هذا الزمان الذى تطورت فيه النظريات وتجددت الأفكار والآراء[1] .

وجدير بالذكر أن المدارس الدينية الأخرى فى شبه القارة الهندية سواء كانت تحت إشراف أهل الحديث[2] أو تحت إشراف البريلوية[3] ، لم تختلف عن تلك المدارس فى منهج التعليم ، إلا أن علماء أهل الحديث كانوا يعتنون بالحديث أكثر من اعتنائهم بالفقه والبريلوية قد اختصوا بوضع معتقداتهم الخاصة . وهكذا يمكننا أن نقول بأن « عليكره » و« ديوبند » أصبحتا بعد قليل مدرستين متعارضتين فى الأهداف والغايات ، هذه حصرت جهودها فى كتب وشروح والمقررات الدراسية التى ورثوها من شيوخهم والتى قد أكل عليها الدهر وشرب منذ بضعة قرون ، ولم يحاولوا تحديثها وإدخال تغيير يلبى ما يتطلبه العصر الحاضر من علوم وآداب وما يحتاج إليه المتعلم من المعلومات للدفاع عن حرمة الدين والذود عن حياضه وهكذا انفصل العلماء ورجال المدارس الدينية عن معترك الحياة وأصبح العالم وشئونه الجديدة فى غنى عن خدماتهم ومعاهدهم التعليمية ، وتلك تؤمن بعصمة كل ما يأتى من أوربا من علم وأدب أو عقيدة أو مبادىء خلقية وجعلت من همها اقتفاء أثر الغرب وتتبع معالمه فى كل شيء[4] ولم تكن من ثمراته إلا الضعف فى العقيدة والانحلال فى الأخلاق فلم يكن يهدف خريجوها إلا الحصول على وظائف فى دواوير الدولة[5] ، وهكذا نرى أن الخريجين من المدارس الدينية القديمة والكليات الحديثة يتخالفون فيما بينهم فى كل صغيرة وكبيرة .

---

(١) انظر الأستاذ مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ١٩٣ .

(٢) فرقة من المسلمين فى شبه القارة الهندية يعتقد المنتسبون إليها أن القرآن والحديث يكفيان بنا ولسنا بحاجة إلى التقيد بمذهب فقهى واحد .

(٣) فرقة تنتسب إلى الشيخ أحمد رضا خان البريلوى : (المتوفى عام ١٣٤٠ هـ) ولهم بعض العقائد الخاصة تكلمنا عنها فى هذا الكتاب .

(٤) انظر الأستاذ مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ١٩٣ .

(٥) انظر شيخ محمد إكرام : موج كوثر ص ١٤٧ .

ثالثا ــ ندوة العلماء : لما بلغ الأمر بالمدارس الدينية هذا الحد قام بعض العلماء وعلي رأسهم الشيخ محمد على مونكيرى[1] والشيخ شبلى النعمانى[2] ، وأسسوا جمعية باسم « ندوة العلماء » وكان من أهم أهدافها إصلاح مناهج التعليم الدينية حتى تكون جامعة بين علوم الكتاب والسنة والعلوم العصرية ، وفى عام ١٣١٦ من الهجرة الموافق لعام ١٨٩٤ تأسست دار العلوم ندوة العلماء ، وكان منهج التعليم فى ندوة العلماء يشمل العلوم الدينية والعلوم العصرية وكان ذلك من مزايا دار العلوم وأن القائمين عليها اعتنوا فى أول ما اعتنوا بتدريس اللغة العربية اعتناء خاصا ، وجعلوا تدريسها نطقا وكتابة من أهم ما يشتمل عليه منهجها واستقدموا لتدريس اللغة العربية أساتذة من بلاد العرب ، وكان قادة هذه الحركة ينظرون إلى مناهج التعليم وبرامجه كأداة للتعليم قابلة للنمو والتطور ، مطابقا لمقتضيات العصر مع الاحتفاظ بالروح والأهداف[3] .

وهكذا كانت حركة ندوة العلماء مدرسة فكرية تجمع مقرراتها بين التقليد الصالح والجديد غير الضار غير أن جمعها مع الأسف الشديد لم يعجب أحداً من الفريقين ولم يحصل التعاون المطلوب منهما ، فلذا لم تنجح تلك الفكرة نجاحا كاملا ، ذلك من ناحية ، ومن ناحية أخرى كما يقول أحد خريجى تلك دار العلوم أن القائمين بها « قد اقتنعوا ورضوا بتقسيم العلوم إلى الدينية والدنيوية فى أول أمرهم بالإصلاح والتغيير وكل ما غيروه وبدلوه وأصلحوا إنما كان من هذا الوجه وبهذه الفكرة الخاطئة التى ترى أن العلوم تنقسم إلى دينية ودنيوية ، وكأنهم زعموا أن التفسير والحديث والفقه وما إلى ذلك من العلوم التى تدرس فى الأزهر وديوبند وغيرهما من المعاهد الدينية هى علوم دينية وأن الاقتصاد والتاريخ السياسى والكيمياء والهندسة والميكانيكا وغيرها من العلوم المستحدثة المستوردة من بلاد الغرب التى تلقن وتدرس فى الكليات العصرية ، علوم دنيوية . فلما اعتزموا

---

(١) هو سيد محمد على بن عبد العلى الحسينى : ولد فى عام ١٢٦٢ هـ الموافق عام ١٨٤٦ الميلادى كان من مؤسسى ندوة العلماء وتوفى عام ١٣٤٦ من الهجرة .

(٢) هو الشيخ شبلى بن الشيخ حبيب الله ، ولد فى عام ١٢٨٤ من الهجرة كان من كبار العلماء درس زمانا فى كلية على كرة الإسلامية ثم ترك عمله هناك وقام بتأسيس ندوة العلماء وألف فى السيرة والتاريخ كتبا قيمة . وتوفى عام ١٣٣٢ من الهجرة انظر دائرة المعارف الإسلامية بالأردية : ص ٦٥٠ – ٦٥٤ .

(٣) انظر الأستاذ مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ٣٠٢ .

إصلاح مناهج التعليم بعد ما قرروا هذا المبدأ السقيم واعترفوا بهذا التقسيم الخاطىء من حيث يشعرون أو لا يشعرون أرادوا أن يجمعوا بين كلا النوعين كما فعلت دار العلوم الندوة فى الهند ، ثم يواصل حديثه فيقول : « ومن البين الواضح أن هذا التقسيم خاطىء برمته باطل من أساسه وأنه يتم على فكرة خاطئة باطلة ، استحكم بنيانها وتوثقت عراها فى القرون المتأخرة ، قرون الجمود والتقهقر الفكرى ، وبيان ذلك أن الإسلام كلمة جامعة تشمل جميع نواحى الحياة البشرية من عقيدة وعبادة وخلق وسياسة واجتماع » . ثم يضيف ويقول : « فلسنا بحاجة إلى مدارس وكليات ومعاهد كمدارس الندوة وكليات عليكره ومعاهد ديوبند وإنما نحن فى حاجة إلى مدارس جامعة لا تفرق بين العلوم الجديدة منها والقديمة تلقن الطالب مبادىء جميع العلوم المهمة بعد ما تفرغها فى قالب إسلامى وتصبغها بصبغة دينية »[1] .

رابعا : الحركات المعادية للإسلام : من المعلوم أن سيطرة الاستعمار الإنكليزى على شبه القارة الهندية كان تمهيدا للغزو الفكرى الذى هدف إلى إبعاد المسلمين عن دينهم وذلك للقضاء التام عليهم ، فقام بتخطيط عدة مؤامرات لتحقيق ذلك الهدف ومن أهمها إنشاء الحركات المعادية للإسلام ، ومنها حركة جحود السنة والتبشير والقاديانية ، والعلمانية والشيوعية والماسونية وغيرها من الحركات والنظريات المناهضة للدين ويجدر بنا أن نذكر هنا بعض تلك الحركات والنظريات موجزا .

الحركة التبشيرية :

أنشئت الحركة التبشيرية فى الهند تحت رعاية الاستعمار الإنجليزى الغاشم بعد ما تمكن الاستعمار من السيطرة على البلاد ، وكان من العجب أن رجال الدين المسيحى الذين عزلوا عن معترك الحياة فى وطنهم إنجلترا بعد انتصار الحركة العلمية ، كان يشجعهم الاستعمار الإنجليزى فى نشاطاتهم التبشيرية فى هذه البلاد المحتلة وذلك لأنهم كانوا يخدمونه بتنصير المسلمين ، أو على الأقل ببث

---

(١) انظر الأستاذ مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ٢٠١ - ٢٠٤ .

الشبهات حول الإسلام[١] فبدأت الإرساليات المسيحية الغارة على شبه القارة الهندية ، وتأسست الكنائس وترجمت الكتب المقدسة باللغة الأردية واللغات المحلية الأخرى وصدرت الكتب والبحوث تضم شبهات حول الإسلام وبدأت المناظرات والمجادلات مع علماء الإسلام فى مسائل التوحيد والتثليث وألوهية المسيح وصحة الكتب المقدسة[٢] . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تأسست المدارس والمعاهد التبشيرية يدرس فيها الكتاب المقدس مع المناهج الدراسية وأنشئت المستشفيات يعالجون فيها المتنصرين مجانا .فكان نتيجة جهودهم هذه أن عددا غير قليل من المسلمين اعتنق النصرانية حتى أصبح بعضهم قسيسين . وفى عام ١٩٠٤ الميلادى كان عدد هؤلاء القسيسين المتنصرين ١٩٤[٣] ولايزال هذا العدد يزداد يوما فيوم فيما بعد .

القاديانية :

ولا شك أن هذه الحركة كان لها خطر كبير حل بالمسلمين لأنها تأسست على الكذب الصريح حيث ادعى مؤسسها النبوة وذلك ضمن تخطيط الاستعمار الغاشم الذى رباه فى معهده وغذاه بلبان مكره ودهائه كما يعترف مؤسسها نفسه بأنه من الأسرة التى هى من غرس الإنجليز أنفسهم[٤].. ولم يكن هدفها إلا أن تخدم الاستعمار الغاشم كما يقول الكذاب فى خطاب له إلى الحاكم العام الإنكليزى : « إن العمل المهم الذى أنا منصرف إليه بلسانى وقلمى منذ أول عهدى بالحياة إلى هذا اليوم ، وأنا ابن الستين ، وهو أن أصرف قلوب المسلمين إلى طريق الحب والولاء والإخلاص والوفاء الصادق للحكومة الإنكليزية »[٥] .

وجدير بالذكر أن من الغايات الخبيثة التى قامت هذه الحركة لأجلها إبطال الجهاد كما يقول الكذاب فى أحد كتبه « وإنى لعلى يقين بأنه بقدر ما يكثر أتباعى

---

(١) انظر السيد / نور الله : تاريخ تعليم هند ص ٥٧ – ٨٥ ، ١٤٥ – ٢١٢ .
(٢) انظر أ – ل – شاتليه الغارة على العالم الإسلامى (الترجمة لمحب الدين الخطيب) ص ٥٣ .
(٣) انظر المرجع السابق : ص ٥٥ .
(٤) انظر الأستاذ الندوى : القاديانى والقاديانية ص ١٠٠ .
(٥) انظر الأستاذ المودودى : ما هى القاديانية ص ٣٨ .

بقدر ما يقل المعتقدون بمسألة الجهاد المقدس فإن مجرد الإيمان بى كالمسيح والمهدى هو إنكار للجهاد »[1] .

وإقرارا للواقع نرى أنها خدمت الاستعمار فى تحقيق جميع الأهداف والمؤامرات ولاتزال تخدمه حتى اليوم .

حركة إنكار السنة :

والحركة الهدامة الأخرى التى لم تكن أقل خطرا على الإسلام والمسلمين من الحركة القاديانية هى حركة إنكار السنة ، وقد أنشئت هذه الحركة مثل أختها « القاديانية » تحت رعاية الاستعمار الغاشم فكان من أهدافها الأساسية تفسير الإسلام حسب ما جاءهم من الغرب من العلوم والفلسفات أو حسب ما قال أساتذتهم المستشرقون ، ولأن السنة النبوية المطهرة كانت تحول ما بين هذا التفسير وبين كتاب الله العزيز فقاموا بإنكار كون السنة مصدرا ثانيا لتفسير القرآن الكريم والتشريع الإسلامى معا فبدأت هذه الفتنة مع الحركة التى قام بها سيد أحمد خان لتعميم الثقافة الإنجليزية بين المسلمين ، وهو أول من قام بالتفسير الجديد للإسلام كما أنه أول من قام بإنكار السنة فى العصر الحديث[2] . ثم استمرت تلك الحركة بعد وفاة سيد أحمد خان حسب تخطيط الاستعمار وتحت رعايته وبعد إنشاء دولة باكستان الإسلامية فى عام ١٩٤٧ م حمل لواءها أحد موظفى الدولة الكبار فى الحكومة وهو السيد « غلام أحمد برويز »[3] ، فهكذا بدأ يزيد نفوذها فى الدوائر الحكومية التى استولى عليها المتفرنجون من خريجى الكليات الحديثة[4] .

فنستطيع أن نقول بأن حركة إنكار الحديث كانت تمهيدا لسيل النظريات المادية والحركات اللادينية التى جاءت بها الحضارة الغربية كما كانت تمهيدا لنفوذ تعبير الإسلام الذى قد جاء به المستشرقون من اليهود والنصارى ، فبدأ

---

(١) انظر الأستاذ المودودى : ما هى القاديانية ص ٣٩ .

(٢) انظر الأستاذ المودودى : سنت كى آيئنى حيثيت ص ١٦ .

(٣) انظر الترجمة لهذه الرسالة .

(٤) انظر الأستاذ مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ٢٣٩ .

المسلمون المتفرنجون يفسرون القرآن حسب تفسير المستشرقين فأنكروا ولادة سيدنا عيسى عليه السلام من غير الأب وعودته إلى الدنيا مرة ثانية وظهور الخوارق على أيدى الأنبياء ، كما أنكروا وجود الجن والملائكة والبرزخ وكثيرا من الأمور الأخرى . وهكذا أنكروا وجوب الصلوات الخمس وصيام رمضان كما أنكروا حد الرجم وحد السرقة والحدود الأخرى[1] .

الشيوعية :

ومن الحركات المعادية للإسلام حركة الشيوعية اللادينية التى تكلمنا عنها فى بداية الفصل ، فقد انتشرت تلك الحركة فى شبه القارة الهندية بعد إنشاء الدولة الشيوعية فى روسيا عام ١٩١٧ الميلادى والكليات الحديثة مثل كلية « عليكره » أصبحت مراكز لتلك الحركة الضالة وكثير من خريجى تلك الكليات اعتنقوا تلك النظرية الضالة[2] ، وأخذوا يدعون إليها ومنهم من انضم إلى حزب المؤتمر الهندى ومنهم من انضم إلى حزب رابطة المسلمين ومنهم من دخل مجال الأدب والصحافة والإذاعة ومنهم من تمكن من النفوذ فى أنشطه العمال أو الفلاحين ، ولكن مع اختلاف مجالاتهم تلك كان هدفهم واحدا ، وهو نشر الشيوعية والإلحاد والإباحية فى الشعب المسلم الهندى واستخدامه لمصالح الاستعمار الأحمر الغاشم[3] .

العلمانية :

ومن النظريات التى انتشرت بين المسلمين فى تلك الأيام نظرية فصل الدين عن الدولة ولم تصل بذورها إلى الشعب المسلم إلا بواسطة تلك المعاهد التعليمية العصرية ، فبدأ كثير من خريجى الكليات العصرية يعتقدون أن الدين يقتصر على علاقة العبد بربه ، وليست له أية علاقة بشئون الدولة ، وهذه النظرية وإن صحت نسبتها إلى المسيحية إلا أنها لا تصح فى ميزان الإسلام لأنه دين كامل شامل للحياة تضم أحكامه جميع شعب الحياة من الفرد إلى المجتمع ومن البيت إلى مقر الحكومة ولكن

---

(١) انظر المرجع السابق : ص ٢٣٧ .

(٢) انظر الأستاذ المودودى : جماعت إسلامى كى ٢٩ سال ص ١٨ .

(٣) انظر للتفصيل الأستاد المودودى : تحريك ارادىء هنداور مسلمان جـ ١ ص ٢١٥ – ٢٣٦ .

من سوء حظ المسلمين فى ذلك العصر أن علماء الدين أو خريجى المعاهد الحديثة كانوا يؤمنون بهذه النظرية الضالة ويجعلون هدفهم إقامة الدولة العلمانية على منوال الجمهوريات العلمانية فى الغرب[١] .

هكذا انتشرت بين المسلمين النظريات الهدامة الأخرى وهى نظرية داروين للارتقاء ونظرية فرويد فى علم النفس ونظرية ميكافلى فى السياسة وانتشرت تلك النظريات والفلسفات اللادينية نتيجة للتعليم اللاديني الاستعمارى الذى لم يكن هدفه إلا ابتعاد المسلمين عن الإسلام ، فتمكن الاستعمار من تحقيق ذلك الهدف الشنيع بعد انتشار تلك النظريات اللادينية فى المسلمين[٢] .

الحركات السرية :

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى بعض الحركات السرية المعادية للإسلام مثل « نوادى الروتارى » و« الحركة الماسونية » ومن أهداف تلك الحركات ولا سيما الماسونية هو القضاء التام على الدين ، يقول أحد زعماء تلك الحركة : « لابد لنا أن نكافح بجهد أكبر لإدامة القوانين والأنظمة اللادينية لأن السلطة المطلقة التى صنعها رجال الدين على وجه المعمورة قد قاربت النهاية ، لا بل آلت إلى الزوال وإن غايتنا قبل كل شىء هى إبادة الأديان جميعها » ولتحقيق ذلك الهدف المذموم لم يتركوا طريقا إلا ومضوا فيه ، فالجاسوسية والرشوة والإغراء بالمال والنساء وأخيرا الإرهاب والعنف كلها وسائل مشروعة لديهم ، وذلك لأنهم يعتقدون حسب البروتوكول الأول « أن الغاية تبرر الوسيلة ، وعلينا ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاق بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضرورى ومفيد »[٣] .

حركة تهنيد المسلمين :

وفى عام ١٩٢٥ م قام أحد زعماء الهندوس ، وهو السوامى شردهانند

---

(١) انظر المرجع السابق : ص ١٠٩ - ١٢٧ .

(٢) انظر الأستاذ المودودى : نحن والحضارة الغربية ص ٧ - ٢١ .

(٣) انظر الدكتور عبد الصبور مرزوق : الغزو الفكرى ، أهدافه ووسائله ص ٩٣ .

وأسس حركة تهنيد المسلمين أى جعل المسلمين هندوسيين[١] ومن المعلوم أن تلك الحركة استهدفت القضاء التام على الإسلام والمسلمين وإقامة دولة البراهمية الاستعمارية فى شبه القارة الهندية ، وقد استخدم أتباع هذه الحركة كل وسائل الترهيب والترغيب لتحقيق ذلك الهدف الاستعمارى فكانت نتيجتها أن بعض الجهلة من المسلمين وقعوا فى مؤامراتهم وتركوا دينهم الحنيف[٢] .

وهكذا كان العصر عصر التحديات العنيفة للإسلام والمسلمين ولاسيما فى شبه القارة الهندية ، وما جعل تلك التحديات أشد خطرا على الإسلام والمسلمين وقوع أحداث خطيرة فى العالم الإسلامى وشبه القارة الهندية ، وأهمها إلغاء الخلافة الإسلامية على يدى مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا وإقامة دولة علمانية بها والقضاء على الدين ورجاله وتراثه ، وقطع الصلة بالماضى الإسلامى ، والتقرب إلى الغرب على حساب الإسلام ، بل اتباع الغرب فى كل شئون الحياة والتفاخر بذلك التقليد ، فاستغل المسلمون المتفرنجون تلك الفرصة للهجوم على الدين والعلماء والمشايخ والدعوة إلى التجدد والتفرنج فى شئون الحياة كلها[٣] ، فبدأ نفوذ تلك الطائفة يزيد يوما فيوما ، وزاد الطين بلة حينما قام أمان الله خان ملك الأفغان بدعوته إلى التغرب والتفرنج واتخذت تلك الفئة فرصة أخرى للطعن فى الإسلام وعلمائه والتنديد بجهودهم ورجعتهم[٤] .

ثم كان لغفلة العلماء عن واجب الدعوة وعدم اعتنائهم لمواجهة تلك التحديات وانغماسهم فى أوحال السياسة الوقتية دورا هاما فى ذلك الانحطاط فأصبحت النتيجة أن العلماء فقدوا نفوذهم بين الجماهير ولم تبق للدين وحملته مهابة فى قلوب عامة الشعب وتطلع المتفرنجون إلى الزعامة وقيادة الشعب المسكين .

---

(١) هو السوامى شردها نند الشهير : (المتوفى عام ١٩٢٦ الميلادى) قام بتأسيس حركة تهنيد المسلمين وألف عدة كتب ضد الإسلام وقد قتل على يدى أحد المسلمين عام ١٩٢٦ م .

(٢) انظر الأستاذ المودودى : جماعت إسلامى كى ٢٩ سال ص ١٣ - ١٤ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٦ - ١٧ .

(٤) انظر الأستاذ مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ٢٣١ .

وأكثر ألما وقلقا مما مر ذكره إهمال العلماء وغفلتهم عن واجبهم وانغماسهم فى المشاجرات الفقهية فيما بينهم ، فلا تخلو مجالسهم ومحافلهم من مناظرة بين الحنيفية وأهل الحديث ومن جدال بين الديوبندية والبريلوبية من الحنيفية ومن دواعى الأسف والألم أن معظم تلك المناظرات والمجادلات كانت تدور رحاها حول مسائل تافهة وترهات لا صلة لها بالحياة العملية البتة وما كان العبد ليحاسب عليها بين يدى ربه ، ومن المبكيات والموجعات فى ذلك الزمان أن عددا غير قليل من بيوت الله لم تكن أبوابها مفتوحة لجميع المسلمين(١) .

العناية بالدعوة الإسلامية :

ومع ذلك لم يكن العصر خاليا من الرجال الذين قاموا بالدعوة الإسلامية واهتموا بمواجهة تلك التحديات ، وأهمهم الشاعر الإسلامى الشهير الدكتور محمد إقبال(٢) ، والعالم الألمعى الشيخ أبو الكلام آزاد(٣) ولكليهما دور كبير فى ذلك المجال ، وجدير بالذكر أن كلا الرجلين كانا يعملان فى حقلين متعارضين ، فأما محمد إقبال فقد حصل على شهادة الدكتوراة من ألمانيا فرأى الحضارة الغربية المادية اللادينية من قريب ولاحظ الفساد الذى استولى على العالم الإنسانى ولا سيما على العالم الغربى نتيجة لتلك الحضارة الخبيثة ، فانتقدها بجرأة وصراحة كما بين بالبراهين العقلية الضعف العلمى فى النظريات اللادينية والفلسفات المادية التى تولدت من تلك الحضارة الخبيثة فانتقد الجمهورية اللادينية والشيوعية والعلمانية والقومية الوطنية ودعوة الإلحاد والتغرب ووليدة الاستعمار القاديانية وأهاب بالمسلمين علنا أن ينهضوا بالإسلام ويتمسكوا بعروته الوثقى وينفذوا الأحكام الشرعية فى كل شئون الحياة ، وعلى المسلمين أن يهتموا بشخصيتهم

---

(١) انظر الأستاذ مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ، ص ١٩٦ .

(٢) كتبنا ترجمته خلال حديثنا عن الحالة السياسية ص ٧٢ .

(٣) هو أحمد بن خير الدين الشهير بأبى الكلام ولد بمكة المكرمة عام ١٣٠٥ هـ الموافق عام ١٨٨٨ م ثم هاجر إلى الهند مع والده واتخذ إقامته فى مدينة كلكتة ، تلقى دراسته على منهج التعليم القديم . بدأ حياته العلمية بإصدار مجلة « الهلال » عام ١٩١٢ الميلادى وعمل فى مجال الدعوة حتى عام ١٩٢٤ م ثم انضم إلى حزب المؤتمر الهندى وانتخب رئيسا له عدة مرات ثم عين وزيرا للتعليم للحكومة الهندية بعد استقلال البلاد وتوفى عام ١٩٥٨ الميلادى (انظر دائرة المعارف الإسلامية بالأردية ص ٩٩ – ١٠٤ .

الإسلامية ويجتنبوا تقليد الغرب ، كما حذر مسلمى الهند من مؤامرات الهندوس تحت ستار المؤتمر الهندى الوطنى وقدم لهم فكرة إنشاء دولة إسلامية مستقلة ، فلم يكن إنشاء دولة باكستان الإسلامية إلا تعبيرا عن رؤيته الصادقة[1] ، وجدير بالذكر أن إقبال خصص أكثر شعره للناشئة الجديدة التى كانت تدرس فى الكليات الحديثة والتى جعلها الاستعمار هدف مؤامراته الخبيثة وكان من فضل الله أن كثيرا منهم تأثروا بفكره ولبوا دعوته وحملوا رسالته ولهذا يعتبر محمد إقبال بحق عبقريا أنتجته الثقافة الجديدة التى ظلت تشتغل وتنتج فى العالم الإسلامى من قرن كامل ومفكرا أوجده الشرق فى عصرنا الحاضر ولم نر من نوابغ الشرق وأذكيائه على كثرة من أم الغرب منهم ودرس هناك - أحداً نظر فى الحضارة الغربية هذا النظر العميق وانتقدها هذا الانتقاد الجرىء[2] ، ومن هنا يعتبر إقبال ممثل الحركة الإسلامية الكاملة خلال تلك الأيام .

وأما أبو الكلام آزاد وهو أحمد بن خير الدين الذى عاش فى بيئة دينية وتلقى علومه على المنهج القديم فى المدارس الدينية التقليدية ولكنه كان شابا ألمعيا فقام بإصدار مجلة « الهلال » الأسبوعية ولم يتجاوز عمره بضعا وعشرين سنة ، وكانت هذه المجلة فاتحة عهد جديد فى تاريخ الصحف المسلمة الهندية[3] ، ونفخت فى قلوب الأمة روح الحياة وقادها إلى ميادين الجهاد والكفاح فى حركة عظيمة وجهود متواصلة ولاسيما من الناحية الدينية وتجديد الدعوة إلى الدين الخالص[4] .

ولكن من سوء حظه وسوء حظ المسلمين أنه لم يتمكن من استمرار جهوده إلا لبضع سنوات فحسب وذلك من عام ١٩٠٦ الميلادى إلى عام ١٩٢٤ الميلادى وبعد ذلك وقع فى شباك مؤامرة « غاندى » أكبر أعداء المسلمين فى شبه القارة الهندية فى تلك الأيام . وانضم إلى حزب المؤتمر الهندى يحمل لواءها فتبدلت

---

(١) انظر للتفصيل الأستاذ المودودى : « إقبال كارمل كارنامه » نقلا عن جريدة « سيارة » الشهرية عدد خاص فى ذكرى الأستاذ المودودى رحمه الله لشهرى أبريل ومايو عام ١٩٨٠ م ص ٣٧٧ - ٣٨٥ .

(٢) الأستاذ أبو الحسن على الندوى : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار الإسلامية ص ٩٨ .

(٣) انظر شيخ محمد إكرام : موج كوثر ص ٢٤٨ - ٢٧٨ .

(٤) انظر الأستاذ مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ٢١٢ .

شخصيته تبدلا كاملا وأصبح أبو الكلام غير أبى الكلام الذى كان يحمل لواء الدعوة الإسلامية ، وقد صدق الأستاذ المودودى حين أشار إلى ذلك بقوله : « الانقلاب فى شخصية أبى الكلام كان أكبر حادث فى تاريخ مسلمى الهند فى القرن التاسع عشر الميلادى »[1] .

وعلى الجملة فلقد كثرت التيارات المعادية للإسلام فى شبه القارة الهندية مما يعطى تصورا للتحديات التى قابلت الإسلام والمسلمين فيها .

---

(١) انظر الأستاد المودودى . تحريك آزادى هنداوَر مسلماں (الجزء الأول) ص ١٧٢

موجز الحالة الدينية فى دولة باكستان الإسلامية

وجملة القول ، أن هذه كانت الحالة الدينية حينما انقسمت شبه القارة الهندية وأنشئت دولة باكستان المسلمة التى كان إقامة النظام الإسلامى من أهدافها الأساسية ، وهذا مالم يعجب الحركات المعادية للإسلام فاتحد العلمانيون والمتفرنجون والقاديانيون والشيوعيون والماسونيون ومنكرو السنة النبوية وما إلى ذلك من أعداء الإسلام ليجعلوا هذه الدولة دولة علمانية أو دولة شيوعية ، ولأن أعداء الإسلام هؤلاء كانت لهم سلطة كاملة فى الدوائر الحكومية العسكرية والمدنية ، وذلك فضلا عن الدعم المادى والمعنوى من قبل الدول الاستعمارية فاهتموا بتخطيط المؤامرات والمخططات للقضاء على حركة إقامة النظام الإسلامى التى كانت تقودها الجماعة الإسلامية والجماعات الدينية الأخرى ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى كان لنفوذ الشيوعيين والقاديانيين والمتفرنجين ومنكرى السنة فى الدوائر الحكومية أنهم تمكنوا من استخدام الوسائل الحكومية المختلفة لنشر أفكارهم المعادية للإسلام فتأسست إدارة التحقيقات الإسلامية بإسلام آباد ، لنشر أفكار منكرى السنة على حساب الدولة ، وكانت الإذاعة والتليفزيون ووسائل الإعلام الأخرى تعمل لنشر أفكار الشيوعيين والمتفرنجين من جانب ولنشر الإباحية والفاحشة والمنكرات من جانب آخر ، وفضلا عن ذلك المبالغ المالية الضخمة التى كانت تصرف لتبليغ القاديانية خارج باكستان وداخلها ، ومن ناحية ثالثة كان لمخططات أعداء الإسلام أن اشتعلت نار الخلاف بين الفرق الإسلامية والجماعات الدينية المختلفة ، وذلك لأن أعداء الإسلام كانوا يعرفون حق المعرفة أن اتحاد المسلمين هو من أكبر الموانع فى تحقيق أهدافهم الشنيعة لجعل باكستان دولة علمانية أو دولة شيوعية فخططوا لإشعال نار الخلاف بينهم ولاتزال هذه النار تزيد اشتعالا وانتشارا حتى اليوم ، فكان لمخططات أعداء الإسلام أن بدأت المناظرات والمجادلات بين الديوبنديين والبريلوية من جانب وبين أهل الحديث والحنيفية من جانب آخر وبين أهل السنة وأهل التشيع من جانب ثالث فتأسست الجماعات الخاصة على أساس هذه الخلافات وأهمها :

١ — جمعية علماء الإسلام للديوبنديين .

٢ — جمعية علماء الباكستان للبريلويين .

٣ — جمعية المشايخ لأصحاب الطرق الصوفية .

٤ — جمعية أهل الحديث .

٥ — البعثة الإمامية للشيعة .

وما إلى ذلك من الأحزاب الدينية الأخرى .

وكان من سوء حظ المسلمين أن مساجد تلك الفرق المختلفة ومدارسهم أصبحت مراكز لإشعال نار هذه الخلافات بين المسلمين وما كان أكثر أسفا وألما أن هذه الأحزاب لا يهمها التحديات التى يواجهها الإسلام والمسلمون من قبل الحركات المعادية والتيارات الهدامة الداخلية والخارجية ، وذلك لأن قادة هذه الأحزاب لم يتمكنوا من إدراك خطورة هذا التحدى العنيف إدراكا صحيحا ، هذا من جانب ولانشغالهم فى الخلافات المذهبية فيما بينهم من جانب آخر .

وهكذا كان لمخططات أعداء الإسلام هؤلاء أن هذه الفرق الدينية المختلفة مهما كانت فيما بينها من الخلافات قد اتحدت على إسقاط الحركة الإسلامية وذلك لأن أعداء الإسلام كانوا خائفين منها خوفا شديدا ، وكان لمخططاتهم الشنيعة أن بدأت الجماعات المذهبية تهاجم الحركة الإسلامية فترددت الاتهامات والأكاذيب التى اختلقها أعداء الإسلام ولكن الحركة الإسلامية لم تدخل ذلك الصراع بل استمرت فى جهادها لإقامة الحكومة الإسلامية من ناحية وفى جهودها لمواجهة التحديات المعادية للإسلام من الناحية الثانية ، وذلك فضلا عن ما بذلت الجماعة من الجهود لتوحيد كلمة المسلمين فتأسست جمعية اتحاد العلماء لاتحاد العلماء وعامة المسلمين المنتمين إلى الفرق الدينية المختلفة لإقامة النظام الإسلامى من جانب ولمواجهة الحركات المعادية للإسلام من جانب آخر . ولا تزال هذه الجهود لمثمرة مستمرة .

ويلاحظ أنه مهما كانت دائرة مخططات الشيوعيين والمتفرنجين والقاديانيين

ومنكرى السنة واسعة ، ولكن لو اتحد العلماء وعامة المسلمين المنتمين إلى الفرق الدينية المختلفة لتمكنوا من مواجهة التحديات المعادية للإسلام من ناحية ، ومن إقامة النظام الإسلامى من الناحية الأخرى ، وهذا ما يتبين من اجتماع العلماء على المبادىء الأساسية للدستور الإسلامى فى عام١٩٥١ م وهكذا كان لاتحادهم فى عام ١٩٧٤ م أن اضطرت الحكومة إلى إصدار القرار الذى ينص على كون القاديانيين غير مسلمين . وأخيرا كان لاتحادهم فى عام ١٩٧٧ م أن تمكنوا من إنقاذ البلاد من دكتاتورية ذو الفقار على بوتو .

وجملة القول ، أن هذا العصر كان عصر التحديات والتيارات المعادية للإسلام ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يعتبر ذلك العصر عصر الصراع بين الحركة الإسلامية وبين الحركات المعادية للإسلام ، وذلك فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ، ولولا الافتراق بين العلماء الذين ينتمون إلى الفرق الإسلامية المختلفة ولولا تركيزهم على مخالفة الحركة الإسلامية لنجحت حركة إقامة النظام الإسلامى مهما كان فى طريقها من التحديات ، وسنفصل الكلام عن مؤثرات الصراع بين الإسلام والجاهلية فى ذلك العصر فيما بعد . وبالله التوفيق .

المبحث الخامس

الحالة الاجتماعية

لم تكن الحالة الاجتماعية فى ذلك العصر مختلفة عن الحالة الدينية والحالة السياسية لأننا كما ذكرنا آنفا كان العالم الإسلامى كله فى تلك الأيام تحت السيطرة الاستعمارية التى أشرنا إليها وقد نشأ فى العالم الإسلامى جيل جديد مثقف بالثقافة الاستعمارية التى أشرنا إليها وقد نشأ فى العالم الإسلامى جيل جديد متنور بالثقافة الغربية الحديثة لا يعرف عن الإسلام إلا اسمه وكان هذا الجيل يؤمن بأن الحضارة هى الحضارة الغربية ، والثقافة هى الثقافة الغربية اللادينية والعلوم هى العلوم الغربية المادية ، كما كانوا يظنون أن ازدهار الأمة الإسلامية ينحصر فى اتباع الأمم الغربية . وقد انتشر دعاة التغريب والتفرنج فى كل مكان وكان من هؤلاء « ضيا كوك ألب »[1] و« مصطفى كمال باشا » فى تركيا[2] و« قاسم أمين بك »[3] و« طه حسين »[4] فى العالم العربى و« سيد أحمد خان »[5] وزملائه فى شبه القارة

---

(١) هو ضياء كوك الب : (١٨٧٦ - ١٩٢٤ م) كان من دعاة التغرب والتفرنج فى تركيا كما كان يدعو إلى القومية التركية الطورانية ، فلهذا يعتبر من مؤسسى الانقلاب الذى تم فى تركيا على يد مصطفى كمال باشا . انظر محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٤٥ .

(٢) أسلفنا ترجمة مصطفى كمال باشا فى هذه الرسالة .

(٣) هو قاسم أمين بك : (المتوفى عام ١٩٠٨ م) كان من دعاة التفرنج فى العالم العربى وكان لكتابيه « تحرير المرأة » و« المرأة الجديدة » أثر كبير فى انتشار الإباحية والسفور فى المجتمع العربى ولا سيما فى المجتمع المصرى .

(٤) هو الدكتور طه حسين . ولد فى مصر عام ١٨٨٩ م والتحق بالأزهر الشريف بعد دراسته الابتدائية ثم حصل على الدكتوراه من باريس ثم عاد وعين عميدا لكلية الآداب ثم عين وزيرا للتعليم عام ١٩٤٩ م وكان أديبا ممتازا ولكنه استخدم أدبه للدعوة إلى التغريب والتفرنج ولبث الشكوك والشبهات حول الإسلام ومبادئه . وقد توفى عام ١٩٧٤ الميلادى . (انظر محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة : ص ١١٦٤) .

(٥) أسلفنا ترجمته فى هذه الرسالة .

الهندية وهؤلاء وغيرهم كانوا لا ينظرون إلى الحياة إلا بمنظار الغرب ولا يفكرون فى شئون الحياة إلا بتلك النظرة التى نظر إليها مؤسسو النهضة الجديدة الأوربية ويودون أن يبنوا الحياة الاجتماعية فى بلادهم أيضا على الطراز الغربى . لأن هذا هو طريق التقدم والرقى والازدهار - فى نظرهم - وأن ما عداه فهو من الرجعية التى لا يمكن التقدم إلى الأمام إلا بالقضاء عليها ، فاستبدلوا القيم الأخلاقية الجديدة بالقيم الأخلاقية الدينية المتوارثة وصار الازدهار المادى أحظى وأرجح عندهم من كل شيء بل هو وحده أصبح ذا قيمة وشرف حقيقى فى نظرهم[١] .

الحالة الاجتماعية فى شبه القارة الهندية :

وأما شبه القارة الهندية فكما ذكرنا آنفا بدأت فيها الدعوة إلى التغرب والتفرنج بعد أن تمكن الاستعمار البريطانى من القضاء على حكومة المسلمين عام ١٨٥٧ م . ووقعت شبه القارة تحت احتلال الاستعمار البريطانى المباشر ، فرأى بعض القادة وعلى رأسهم سيد أحمد خان وزملائه أن نهضة المسلمين تنحصر فى اتباع الحضارة الغربية الحديثة ، ولذا بدأوا يدعون إلى اتباع الحضارة الغربية الحديثة فى كل دائرة من دوائر الحياة الشخصية والاجتماعية فى أكلهم وشربهم ، فى لباسهم وفى مظهرهم ، وأخذت هذه الدعوة تتسع يوما فيوما حتى وصل الأمر إلى أن بعض علماء الإسلام وعلى رأسهم الشيخ عبيد الله السندى[٢] قاموا بالدعوة إلى التغرب والتفرنج وقالوا أن الشعب المسلم الهندى ليس له إلا اتباع الحضارة الغربية فى كل دائرة من دوائر الحياة[٣] .

وكان لهذه الدعوة أن بدأ أكثر الناس ولاسيما البيوتات الارستقراطية يتبعون الحضارة الغربية فى حياتهم الشخصية والاجتماعية فاهتم بعض القادة

---

(١) الأستاذ أبو الحسن على الندوى : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار الإسلامية ص ٤٤ ، ٥٨ ، ١٢٧ ، ١٣٥ .

(٢) هو الشيخ عبيد الله السندى : ولد فى عام ١٨٧٢ م فى بيئة « السيخ » فهو أسلم وعمره لم يتجاوز (١٥) خمس عشرة سنة ثم التحق بدار العلوم ديوبوند وتعلم على أيدى العلماء الكبار هناك ثم هاجر من الهند عام ١٩١٥ م وبعد أن مكث فى أفغانستان وروسيا وتركيا والحجاز حوالى ٢٣ عاما عاد إلى البلاد عام ١٩٣٨ م وهو قد أصبح داعيا إلى التعرب والتفرنج (انظر شيخ محمد إكرام : موج كوثر ص ٣٤٥ - ٣٥٠) .

(٣) انظر شيخ محمد إكرام : موج كوثر ص ٣٤٥ - ٣٥٠ .

والمفكرين كالدكتور محمد إقبال وأكبر الله آيادى[1] والشيخ أبو الكلام بمقاومتها . ولكن ظاهرة التغرب والتفرنج لم تزل تزيد يوما بعد يوم .

وجدير بالذكر أن المجتمع الإسلامى فى شبه القارة الهندية بدأت فيه الخلاعة والسفور بعدما التحقت الطالبات المسلمات بالكليات الحديثة ولاسيما بكليات التعليم المختلط فقامت كثيرات من تلك الفتيات المثقفات بنزع « الحجاب الشرعى » ليشاركن فى النشاطات الاجتماعية مع الرجال جنبا إلى جنب وقد شاركن معهم فعلا فيما بعد خلال الكفاح لتحرير البلاد . ولو اقتصر على هذا لهان الأمر ولكن بلغ الأمر فيما بعد إلى حد أن بدأت النساء من البيوتات الارستقراطية « يخرجن من بيوتهن فى ملابس شفافة عارية يخيل إلى الناظر أن الواحدة منهن ممثلة أو فنانة ... وأصبح يرى فيهن كل الجسارة والصفاقة . بل يتبين للمرء من ملابسهن الفاضحة وألوانها البراقة وعنايتهن بالتزين وحركاتهن من التثنى والتغنج أنه لا يطلع أمام أعينهن إلا إن يكن مغنطيسا جنسيا يجذبن الرجال إليهن جذبا وقد قل الحياء فيهن إلى حد أن أصبحن لا يستحيين من الغسل مع الرجال شبه عاريات بل من عرض أنفسهن فى تلك الحالة لتؤخذ صورهن وتنشر فى المجلات[2] .

وبعد ما أنشئت دولة باكستان المسلمة عام ١٩٤٧ م تأسست « جمعية السيدات الباكستانية » « All Pakistan Women Association » برئاسة زوجة رئيس الوزراء آنذاك وبدأت هذه الجمعية دعوتها بأن المرأة متساوية مع الرجل فى جميع الحقوق والمسئوليات من التوظيف فى الدوائر الحكومية إلى النيابة فى البرلمان ومن الالتحاق بالجيش إلى الاشتراك فى المباريات المحلية والدولية[3] . وقد تمكنت « الجمعية » من تحقيق تلك الأهداف فى السنوات الأخيرة ومازالت هذه الجمعية تشتغل حتى اليوم ولها فروع فى كل مدينة من مدن باكستان تشرف

---

(١) هو سيد أكبر حسين أكبر إله أبادى : الشاعر الإسلامى الشهير كان يشتغل قاضيا وله دور كبير فى مقاومة حركة التغرب التى قام بها سيد أحمد خان وقد استخدم شعره لتحقيق هذا الهدف فجزاه الله خيرا .

(٢) انظر الأستاذ المودودى : الحجاب ص ١٢٨ .

(٣) انظر الشيخ أمين أحسن الإصلاحى باكستانى عورت دوراہى بر : ص ٥ – ٦٠ .

عليها زوجات المسئولين الكبار فى دوائر الحكومة أو السيدات من الأسر الارستقراطية[1] .

وجدير بالذكر أن الجماعة الإسلامية بباكستان لها دور كبير فى مواجهة هذا التحدى فاهتمت الجماعة وفرعاها « جمعية المسلمات » و« جمعية الطالبات المسلمات » بالتوجيه والتوعية من هذه الناحية فكان لجهودها أن عددا غير قليل من السيدات المثقفات قررن ترك السفور والتبرج الجاهلى والاهتمام بالحجاب الشرعى حتى الآن . ولاتزال جهودها مستمرة .

الأدب والصحافة :

كان الأدب والصحافة من أهم الوسائل التى استخدمها دعاة التغرب والتفرنج لتحقيق أهدافهم وذلك لأهميتهما البالغة فى تربية العقول وكان لإقامة الدولة الشيوعية فى روسيا عام ١٩١٧ الميلادى وإلغاء الخلافة العثمانية فى تركيا عام ١٩٢٤ م أثر كبير فى التحول فى الأدب والصحافة فقام الشيوعيون والملاحدة بتخطيط مخططات ومؤامرات للنفوذ فى الأدب والصحافة ليتمكنوا من بث الإلحاد والإباحية والشيوعية فى المجتمع الإسلامى ، وفى عام ١٩٣٦ م تأسست جمعية الكتاب المتطورين بالهند لتحقيق هذه الأهداف الشنيعة وبدأ الكتاب المتطورون يكتبون المقالات والبحوث والقصص يهاجمون فيها العقائد الإسلامية والقيم الدينية والأخلاقية ويدعون إلى الإلحاد والشيوعية والإباحية والسفور[2] .

وأما الصحافة فكان من مخططات الشيوعيين أن يتركزوا للنفوذ فى الصحافة والإذاعة فأكثر والمجلات والجرائد كان يشتغل فيها الشيوعيون وكانوا يستخدمونها لبث أفكارهم الخبيثة وللقضاء على الحياء والعفة فى المجتمع الإسلامى بنشر الصور العارية للنساء الفاجرات والممثلات ليجعلوهن أسوة للجيل الإسلامى الجديد .

ولكن مع ذلك لم يكن ذلك العصر خاليا من الكتاب والشعراء الإسلاميين

---

(١) انظر المرجع السابق .

(٢) انظر للتفصيل الأستاذ هارون الرشيد : الرووادب أور إسلام (الجزء الأول) ص ٤٠٩ – ٤٧٦ .

ومنهم الدكتور محمد إقبال الذى جعل شعره وسيلة لإنقاذ الشباب المثقفين من العبودية الفكرية للحضارة الغربية ولإعادة ثقتهم فى الإسلام . ومنهم الشيخ أبو الكلام أزاد الذى تعتبر مجلته « الهلال » نموذجا حيا للصحافة الإسلامية ومنهم الشاعر الشهير أكبر آبادى الذى اختص شعره لنقد حركة التغرب والتفرنج ومنهم القصاص الشهير نسيم الحجازى[١] الذى جعل التاريخ الإسلامى أساسا لقصصه ومنهم الأستاذ المودودى وزملاؤه الذين استخدموا الأدب والصحافة لعمل الدعوة وتمكنوا من مواجهة هذا التحدى .

الحياة الاقتصادية :

وأما الحياة الاقتصادية فكان حوالى ثمانين فى المائة من الشعب المسلم الهندى من سكان الريف وكانوا يعملون فى الزراعة وكانت هناك الإقطاعيات والضيعات الزراعية الواسعة وكانت تلك الرقعات الشاسعة من الأراضى تتراوح بين آلاف ومئات الآلاف من الهكتارات احتفظت بها بعض العائلات عبر الأجيال كالإقطاعيات أو الضيعات ، منها ما أقطعته الحكومة الإنكليزية عقب احتلال البلاد للخونة والعملاء بعد أن انتزعته من أصحابه الشرعيين ومنها ما أوتى لأسلاف الملاك الحاليين قبل العهد الإنكليزى فى فترات مختلفة بطرق شرعية وغير شرعية ومنها ما اشتراه أصحابه كله أو بعضه ومنها ما سيطر عليه شيوخ القبائل فى القرون السالفة فكانت هناك طبقة مستغلة تحترف حرفة الزراعة وقد قررت لها فى المجتمع القروى حقوق ممتازة من حيث المنزلة الاقتصادية والاجتماعية وحرم على سائر طبقات البلاد أن تضرب بسهم فى دائرة حرفة الزراعة وكل ذلك مما يخالف الإسلام والعقل ومنه تنفجر عيون الشر والمظالم الكثيرة التى تعد من خصائص النظام الإقطاعى[٢] .

وأما سكان المدن فأكثرهم كانوا يشتغلون فى التجارة أو دوائر الحكومة أو الحرف المختلفة . فيجدر بنا أن نشير هنا أن مئات الآلاف من العمال قد تركوا

---

(١) هو محمد شريف نسيم الحجازى القصاص الإسلامى الشهير : وله عدد من القصص فى التاريخ الإسلامى .

(٢) انظر الأستاذ المودودى : ملكية الأرض فى الإسلام ص ٩٧ – ٩٨ .

سكناهم فى الريف وهاجروا إلى المدن الكبيرة لكى يشتغلوا فى المصانع التى كان عددها يزيد يوما بعد يوم فكانت نتيجتها أن كثرت المفاسد الخلقية فاستغل الشيوعيون تلك الفرصة وبدأ نفوذهم يزداد فى العمال يوما بعد يوم حتى حصلت لهم السيادة الكاملة على أكثر المنظمات العمالية فى المصانع وظاهرة أخرى برزت فى شعب الهند حيث كان هناك عدد غير قليل من سكان المدن والريف ولاسيما الفلاحين والعمال والتجار الصغار والموظفين ذوى الرواتب المحدودة وكانوا يضطرون إلى أن يقترضوا عند الشدة من المرابين الهندوس ، وكل من وقع فى شبك المرابى مرة لا يكاد يتخلص منه طوال حياته بل لا يزال الأبناء والأحفاد يتوارثون على ظهورهم ربا هذا الدين عن آبائهم وأجدادهم . ولاتزال صخرته جاثمة على صدورهم وقد لا يتخلصون منه بعد ما يؤدون عليه من الربا ما يكون أكبر من رأس المال بمرات عديدة وقد شوهد مرارا أن المدين إذا كان لا يستطيع أداء الدين مدة من الزمان جمع الدائن بين ماله على مدينه من رأس المال والربا وأقرضه هذا المدين نفسه بسعر أعلى ليسترد منه ماله مع رباه وذلك ما يجعل المسكين أسوأ حالا من ذى قبل[1] . وما هو أكثر ألما وقلقا أن بعض العلماء المستغربين فسروا آيات الربا فى القرآن الكريم حسب أهوائهم وقالوا إن القرآن الكريم لا يحرم الربا إلا ماكان رائجا فى العصر الجاهلى ، وأن الربا الذى نراه رائجا اليوم فى البنوك أو الأوساط التجارية فهذا لا يحرمه القرآن[2] .

وفى الجملة فإن الحياة الاجتماعية لمسلمى شبه القارة الهندية فى ذلك العصر كانت هزيلة فى مواجهة التحديات والمؤامرات وقد أثرت الحضارة الغربية فى كل نواحيها .

---

(١) انظر للتفصيل السيد / محمد على QUAD- E- AZAM AND MUSLIM ECONOMIC RESURGENCE من ص ٣١ إلى ص ٣٦ والأستاذ المودودى : الربا ص ٤٦ – ٤٧ .

(٢) انظر الشيخ محمد إكرام : موج كوثر ص ١٦ .

نظرة عابرة على الحالة الاجتماعية فى دولة باكستان الإسلامية

وبعد ما تحدثنا عن الحالة الاجتماعية لمسلمى شبه القارة الهندية قبل إنشاء دولة باكستان الإسلامية عام ١٩٤٧ م يجدر بنا أن نشير هنا إلى بعض النواحى للحالة الاجتماعية فى باكستان وإليك موجز ذلك :

سكان البلاد : إن سكان المدن الذين كانوا يشتغلون فى التجارة أو الدوائر الحكومية قبل إنشاء دولة باكستان المسلمة مازالوا يشتغلون فى هذه الدوائر بعد إنشاء باكستان أيضا إلا أن عدد المصانع الصغيرة والكبيرة بدأ يزيد يوما بعد يوم، وهذا ما أدى إلى الصراع بين أصحاب المصانع وبين العمال من ناحية ، وإلى كثرة المفاسد الأخلاقية والمنكر والفواحش من الناحية الأخرى ، وأما فى القرى فلم يزل سكان القرى تحت سيطرة النظام الإقطاعى حتى بعد إنشاء دولة باكستان المسلمة ، بل يمكننا أن نقول إن هذا النظام قد أصبح أكثر نفوذا وأشد ضررا حيث تمكن الإقطاعيون من الوصول إلى السلطة عن طريق الانتخابات البرلمانية وهذا ما جعل المزارعين والفلاحين عندهم أسوأ حالا من ذى قبل[1]، وجملة القول أن سكان الباكستان يمكننا أن نقسمهم إلى ثلاث طبقات :

أولا : طبقة الأغنياء التى يشملها أصحاب الإقطاع والمصانع الكبيرة والموظفون الكبار وعددهم لا يزيد عن ١٠ ٪ من مجموع سكان البلاد ، وهذه الطبقة مصطبغة بصبغة التفرنج والتغريب فى كل دائرة من دوائر الحياة .

وثانيا: الطبقة المتوسطة التى يشملها التجار والموظفون المتوسطون وأصحاب هذه الطبقة عددهم يصل إلى ٣٠ ٪ ، وهذه الطبقة هى أكثر تأثيرا لدعوة الحركة الإسلامية لكونها طبقة مثقفة .

وثالثا: طبقة الفقراء التى يشملها المزارعون والعمال وعددهم يزيد عن ٦٠ ٪ وأصحاب هذه الطبقة هم أسوأ حالا وأشد بعدا عن التعليمات الإسلامية

---

(١) انظر الدكتور صفدر محمود : مسلم ليك كادور حكومت ص ٣٦١ - ٣٦٣ .

ولذا يقعون فريسة سهلة للشيوعيين الاشتراكيين . وبهذا تمكن حزب الشعب للسيد بوتو من كسب حماية هذه الطبقة خلال الانتخابات البرلمانية لعام ١٩٧٠ م .

فى مجال الصحافة والأدب : وأما فى مجال الأدب والصحافة فكما ذكرنا آنفا كان يسيطر عليه الشيوعيون حينما أنشئت دولة باكستان المسلمة ومازالت سيطرتهم مستمرة على ذلك المجال إلى مدة طويلة بعد إنشاء دولة باكستان المسلمة أيضا ، فأكثر المجلات والجرائد كان يشتغل فيها الشيوعيون . فكانوا يبثون أفكارهم الفاسدة من ناحية ، وينشرون الإباحية والفواحش والمنكرات من الناحية الأخرى ، وجملة القول أن هذا المجال كان تحت سيطرة الشيوعيين الكاملة إذ اعتنيت الحركة الإسلامية بمواجهة ذلك التحدى فصدر العديد من المجلات الشهرية والأسبوعية والجرائد اليومية تحت رعاية الحركة الإسلامية المباشرة أو غير المباشرة ، وعدد هذه المجلات والجرائد الصادرة من مدن البلاد المختلفة يزيد عن عشرة وذلك فضلا عن عدد غير قليل من الصحفيين الإسلاميين يشتغلون فى المجلات والجرائد الأخرى ، وبهذا تمكنت الحركة الإسلامية من مواجهة ذلك التحدى إلى حد كبير فلله الحمد .

الصراع بين الشيوعيين وبين الإسلاميين فى القطاع العمالى :

كما ذكرنا آنفا أن القطاع العمالى فى شبه القارة الهندية كان تحت سيطرة الشيوعيين الكاملة ، فقد بدأ نفوذهم فى أوساط العمال مباشرة بعد الانقلاب الشيوعى فى روسيا عام ١٩١٧ ، وكانت هناك أربع منظمات عمالية كل واحدة منها شيوعية ، وكان هناك نوع من التحالف فيما بينها . ثم كان قبل إنشاء دولة باكستان المسلمة بقليل أن قرر الشيوعيون تأسيس منظمات عمالية ، خاصة للعمل فى المجال العمالى فى هذه الدولة المسلمة فتأسست ثلاث منظمات عمالية كل و احدة منها شيوعية ، وهكذا أنشئت دولة باكستان الإسلامية عام ١٩٤٧ م والقطاع العمالى فيها تحت سيطرة الشيوعيين الكاملة وكان لتلك السيطرة الشيوعية أن النقابة العمالية فى السكة الحديدية قررت القيام بالإضراب العام عن العمل ، وذلك فى الأيام التى كان يسافر فيها المهاجرون من الهند إلى باكستان

نتيجة لمجازر المسلمين ومذابحهم هناك على أيدى الهندوس والسيخ فاستدعى حاكم دولة باكستان الأول ومؤسسها السيد محمد على جناح الملقب بالقائد الأعظم أن يؤجل ذلك الإضراب العام نظرا للظروف القاسية التى كانت هذه الدولة الجديدة تواجهها، ولكن الشيوعيين لم يعتنوا بذلك الاستدعاء ولا يهمهم ما كان يواجهه المسلمون فى الهند فى تلك الظروف القاسية ، فقرروا أن يواصلوا الإضراب العام وهذا ما أدى إلى استشهاد مئات الألوف من المهاجرين على أيدى الهندوس والسيخ[1] ، **وبسبب هذه الأوضاع فقد قررت الجماعة الإسلامية أن تقوم** لمواجهة ذلك التحدى فتأسست منظمة خاصة للعمل فى قطاع العمال فكان بفضل الله ، ثم بفضل جهود هذه المنظمة المستمرة أن تمكنت الجماعة من إنقاذ العمال المسلمين فى الدوائر العمالية المختلفة من أيدى الشيوعيين فأكثر من مائتين وخمسين نقابة عمالية تنتمى اليوم إلى الاتحاد العمالى الوطنى التابع للجماعة الإسلامية ، وعدد العمال الذين ينتمون إلى هذه النقابات العمالية يزيد عن خمسمائة ألف عامل[2] .

فى دائرة الحياة الاجتماعية :

وأما دائرة الحياة الاجتماعية فقد ذكرنا آنفا الصراع بين الحضارة الغربية وبين الحضارة الإسلامية فى دولة باكستان المسلمة خلال حديثنا عن ذلك الصراع فى شبه القارة الهندية فلا حاجة لتكرار ذلك الحديث هنا ، بل يكفينا أن نشير هنا إلى حقيقة أن هذا الصراع مايزال مستمرا فى المجتمع الباكستانى حتى اليوم .

وجملة القول أن الصراع الذى بدأ فى دائرة الحياة الاجتماعية لمسلمى شبه القارة الهندية بين الحضارة الإسلامية وبين الحضارة الغربية مع بداية الاحتلال البريطانى لشبه القارة مايزال مستمرا فى باكستان حتى اليوم ، وسنفصل الكلام عن مؤثرات ذلك الصراع فى المجتمع المسلم الباكستانى فيما بعد . وبالله التوفيق .

---

(١) انظر للتفصيل البروفسور محمد شفيع ملك : باكستان مزدور تحريك .

(٢) أخبرنى عن هذا البروفسور محمد شفيع ملك رئيس الاتحاد العمالى الوطنى .

المبحث السادس

مؤثرات الصراع بين الإسلام والحضارة الغربية
فى عصر الأستاذ المودودى عرضا ومناقشة

وفى خاتمة حديثنا عن عصر الأستاذ المودودى ، من النواحى المختلفة ، يجدر بنا أن نشير هنا إلى بعض الخصائص والمزايا التى يمتاز بها ذلك العصر لكى نعرف مؤثرات ذلك العصر فى عمله فى مجال الدعوة ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى لكى نتمكن من التعرف على مدى تأثيره العلمى والفكرى على ذلك العصر ، وإليك موجز أهم هذه الخصائص والمزايا :

إن العصر الذى بدأ الأستاذ المودودى دعوته فيه كان عصر الصراع العنيف بين العالم الإسلامى وبين الاستعمار الأوروبى الغاشم ، بين الإسلام وبين الحضارة الغربية الجاهلية وكان لانفصال الأمة المسلمة عن مصدر قوتها « الإسلام » ووقوعها فى الانحطاط الفكرى والعملى من ناحية ، ولظهور النهضة العلمية والتكنولوجية فى العالم الغربى من الناحية الأخرى أن تمكن الاستعمار من السيطرة على معظم البلاد الإسلامية ، ولم يبق من احتلاله إلا من شاء الله .

إن سيطرة الاستعمار السياسية على العالم الإسلامى كان تمهيدا لسيطرته الحضارية ، وكما أسلفنا كانت هذه الحضارة ، حضارة مادية جاهلية وذلك من مبادئها إلى مظاهرها ، ومن رأسها إلى عقبيها ، وهكذا العلوم والفلسفات والنظم التى جاءت بها تلك الحضارة كانت مادية جاهلية ، من أصولها إلى فروعها ، ولعبت حماية الاستعمار لتلك الحضارة دورا هاما فى نشرها فى المجتمعات الإسلامية ، فكانت لها كلمة مسموعة فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية وفى كل بلد من البلاد الإسلامية .

إن التجاوب الناشىء فى المجتمعات الإسلامية تجاه غارة الاستعمار الحضارية كان ذا اتجاهين :

أولا : التجاوب الانفعالى والمراد منه الخضوع الكامل أمام الحضارة الغربية فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية وقبول كل ما جاءت به هذه الحضارة الجاهلية المادية فى العقائد والأخلاق والتعليم والسياسة والاقتصاد والمدنية وما إلى ذلك ، ولأن أصحاب هذا الموقف الخضوعى كانوا من المثقفين الجدد ، فتمكنوا من السيطرة على المجتمعات الإسلامية ، فكريا وعمليا ، فهذا ما جعل تأثير هذه الحضارة يتوسع إلى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية .

ثانيا : التجاوب السلبى والمراد منه الرفض الكامل لكل ما جاء من الغرب من العلوم والفنون والنظريات والفلسفات ، ولأن أصحاب ذلك الموقف كانوا ينتمون إلى طبقة العلماء والمشايخ ، فعارضوا كل قادم من الغرب من نافع وضار فكان مصير جمودهم فقدان تأثيرهم فى المجتمع والتفاف الشعب حول المثقفين لأعمالهم اليومية وقضاء حاجاتهم من ابتكارات العلم والتكنولوجيا وقبول وجهات نظرهم بخصوص الغرب وحضارته وعلومه ، وانحصر دور العلماء فى رسوم دينية وفى بعض المناسبات فقط ، وهكذا ابتعدوا عن معركة الحياة وقيادة الشعب .

وكان لسيطرة الاستعمار السياسية والحضارية على العالم الإسلامى أن روجت فيه عدة من الحركات الهدامة والدعوات المعادية التى كانت تهدف إلى نشر الحضارة الغربية الجاهلية والعلوم المادية والفلسفات اللادينية والنظم الجاهلية التى تحتضنها من ناحية وإلى القضاء على الثقة فى صلاحية الإسلام لقيادة البشرية وحل مشاكلها فى الحياة الفردية والاجتماعية فى هذا العصر من الناحية الأخرى وإلى القضاء على وحدة كلمتهم من الناحية الثالثة ، وأهم تلك الحركات هى حركة التغريب والتفرنج التى قادها السيد أحمد خان فى شبه القارة الهندية ، والأستاذ قاسم أمين بك والدكتور طه حسين فى العالم العربى وضياء كوك ألب ومصطفى كمال فى تركيا ، وحركة العلمانية والديمقراطية واللبرالية ، والشيوعية ، والاشتراكية والتبشير ، والقاديانية والبهائية ، والدونمة ، والماسونية ... وما إلى ذلك من الحركات الهدامة التى لاتزال تعمل لمصالح الدول الاستعمارية فى البلاد الإسلامية حتى اليوم .

وكان إلغاء الخلافة العثمانية على أيدى عملاء الاستعمار ، وعلى رأسهم مصطفى كمال من أكبر الحوادث التى حدثت فى العالم الإسلامى خلال ذلك العصر ، وكان لذلك الحادث المؤلم دور كبير فى تحقيق أهداف الاستعمار الشنيعة فى العالم الإسلامى .

إن حياة الأمة الإسلامية قد تأثرت بغارة الاستعمار السياسية والحضارية فى كل نواحيها ، ولكن تلك الغارة كانت أشد تأثيرا فى الدوائر الآتية :

الحياة السياسية : كان لأهمية الحياة السياسية البالغة أن قرر الاستعمار أن يركز عليها بصفة خاصة ، فقد ألغيت الخلافة العثمانية وحلت محلها الجمهورية العلمانية فى تركيا حسب مخططات الاستعمار الهدامة ، كما خضعت البلاد الإسلامية الأخرى للدول الاستعمارية المختلفة ، فشبه القارة الهندية قد سيطر عليها الإنجليز وخضعت مصر لفرنسا ثم للإنجليز ، وأندونيسيا استولت عليها هولندا ، وليبيا سيطرت عليها إيطاليا ، والجزائر وقعت تحت سيطرة فرنسا ... وهكذا البلاد الإسلامية الأخرى . هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى تأثر المسلمون المثقفون آنذاك من النظريات السياسية الحديثة الجاهلية مثل الديمقراطية اللبرالية ، والعلمانية ، والشيوعية ، الاشتراكية ، والقومية الوطنية وما إلى ذلك من النظم السياسية الحديثة . كما تأثر هؤلاء المسلمون المثقفون بالقيم الأخلاقية المادية التى جاء بها المفكرون السياسيون كميكافيلى وروسو وماركس وإنجلز ولينين وما إلى ذلك من آباء السياسة اللادينية الحديثة .

وهذه النظريات والفلسفات السياسية الجاهلية من مستلزماتها نظرية فصل الدين عن الدولة وإنكار حاكمية الله سبحانه وتعالى لتحل محلها نظرية حاكمية الجمهور الجاهلية ، وهذا ما يؤدى إلى تنحية القيم الدينية والأخلاقية السامية عن المجال السياسى واقتصار دائرة العمل السياسى على الدجل والكذب والخدعة والتزوير وما إلى ذلك من أخلاق المدنية المادية الجاهلية ، فلذا كان لنشر هذه الفلسفات فى العالم الإسلامى أن الحركات التى بدأت فى ذلك العصر لاستخلاص البلاد الإسلامية المختلفة كانت قومية ووطنية ، ولم تكن تهدف إلا إلى إقامة الحكومات القومية العلمانية أو الاشتراكية أو الشيوعية فى هذه البلاد الإسلامية وكانت زعامة تلك الحركات فى أيدى المثقفين الجدد الذين قد وقعوا فى العبودية الفكرية للحضارة الغربية . وقد فقدوا ثقتهم فى صلاحية الإسلام للقيادة البشرية

فى ذلك العصر وبدأوا يعتقدون أن النظم السياسية الحديثة الجاهلية وحدها كانت تتمتع بهذه الصلاحية .

وأما شبه القارة الهندية وقد سيطر عليها الاستعمار الإنجليزى بعد أن استمر فيها حكم المسلمين لأكثر من ثمانية قرون ، ولأن الثورة التى كانت ضد الاستعمار فى عام ١٨٥٧ قد قادها المسلمون ، فلذا إذا فشلت الثورة خطط الاستعمار للقضاء على الإسلام والمسلمين معا وذلك مع تعاون الهندوس ، وجدير بالذكر أن زعامة مسلمى شبه القارة الهندية السياسية كانت فى أيدى العلماء والمشايخ فى البداية ، ولكنها انتقلت إلى أيدى المثقفين الجدد تدريجيا ففقد العلماء والمشايخ الموجودون فى الأحزاب السياسية - كحزب المؤتمر الهندى ورابطة المسلمين - السلطة التنفيذية .

وجدير بالذكر أن حزب المؤتمر الهندى كان يهدف إلى إقامة الحكومة الوطنية المتحدة التى تكون فيها أغلبية غير مسلمة وتكون السلطة الحقيقية فى أيديهم ليتمكنوا من القضاء على الإسلام والمسلمين معا وأما حزب رابطة المسلمين فكان هدفه إقامة دولة إسلامية مستقلة . ولكن الإسلام الذى كان قادتهم يتكلمون عنه لم يكن إلا الإسلام الجغرافى ، ولم يكن لديهم أية فكرة للاستعداد لإقامة النظام الإسلامى بعد استقلال البلاد ، وهذا ما أثبته التاريخ بعد إنشاء جمهورية باكستان الإسلامية فى عام ١٩٤٧ الميلادى حيث بدأ قادة باكستان يظهرون الآراء المتضاربة حول تطبيق الشريعة الإسلامية فى البلاد ، فخططت المخططات والمؤامرات لجعلها دولة علمانية وبدأ الصرع العنيف بين الحركة الإسلامية والأحزاب الإسلامية الأخرى وبين العلمانيين والشيوعيين والمتفرنجين ومنكرى السنة الموجودين فى الدوائر الحكومية حول هذا الموضوع ولايزال هذا الصراع مستمرا حتى اليوم .

الحياة الدينية . وأما الحياة الدينية فى العالم الإسلامى ولاسيما فى شبه القارة الهندية فقد دب فيها الانحطاط والاضمحلال قبل مجىء الاستعمار الغاشم وذلك لإغلاق باب الاجتهاد وانفصال الدين عن الدولة واقتصار دائرته على شئون الحياة الفردية ، وحينما تمكن الاستعمار من السيطرة على البلاد الإسلامية خطط المخططات والمؤامرات للقضاء على الدين ورجال الدين معا وذلك باتخاذ القرار بأن

أبواب المعيشة لا يمكن فتحها إلا بمفتاح الثقافة الغربية اللادينية ، وكان من الطبيعى أن أهملت المدارس الدينية وحلت محلها الكليات والمدارس الحديثة . وزاد الطين بلة حينما قرر العلماء والمشايخ أن لا يقبلوا أى تغيير فى منهجهم التعليمى الذى أكل عليه الدهر وشرب واتخذوا الموقف السلبى تجاه كل ما جاءت به الحضارة الغربية نافعا كان أو ضارا . هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى خطط الاستعمار لإنشاء الحركات الهدامة والدعوات المعادية للإسلام فى كل بلد من البلاد الإسلامية وذلك ليتمكن من القضاء على الإسلام فى الداخل والخارج معا . فأهم تلك الحركات كما أسلفنا هى التبشير والاستشراق والعلمانية والشيوعية والماسونية من الخارج والقاديانية والبهائية والدونمة وإنكار السنة النبوية وتطوير الإسلام « بالتوفيق » بين الإسلام والجاهلية الحديثة من الداخل ، ومن الناحية الثالثة اهتم الاستعمار بإشعال نار الخلافات. بين الفرق الإسلامية المختلفة وذلك للقضاء على وحدتهم من جانب ولفت نظرهم عن التحديات والتيارات والمؤمرات التى كانت لهم بالمرصاد من جانب آخر .

ومن أشنع وأخطر آثار الحضارة الغربية فى العالم الإسلامى هو وقوع المسلمين ولاسيما المسلمين المثقفين فى العبودية الفكرية للحضارة الغربية واتخاذهم الموقف الخضوعى تجاه هذه الحضارة الجاهلية وإذعانهم بأن كل ما يأتى من الغرب هو صحيح ولا مجال للشك والريب فيه ولولا هذا الموقف الخضوعى والعبودية الفكرية لم يتمكن الغزو الحضارى الاستعمارى من إنجاز ما نراه اليوم فى العالم الإسلامى .

وأما الدعوة الإسلامية التى بدأ بها الشيخ أبو الكلام آزاد فى العقد الأول للقرن التاسع عشر الميلادى أو الدعوة التى حمل لواءها الدكتور محمد إقبال رحمه الله من العقد الثانى إلى العقد الرابع لهذا القرن أو الدعوات الأخرى التى ظهرت فى ذلك العصر كل واحدة من تلك الحركات لها دور فى مواجهة التحدى الحضارى الغربى ، إلا أن هذه الدعوات لم تصبح حركة إسلامية شاملة تتمكن من مواجهة ذلك التحدى فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ومن إعادة ثقة المسلمين المثقفين فى صلاحية الإسلام للقيادة البشرية فى ذلك العصر من جانب، وتقوم بالجهاد لإقامة الحكومة الإسلامية من جانب آخر .

وجدير بالذكر أنه بعد إنشاء دولة باكستان الإسلامية فى عام ١٩٤٧ الميلادى ازدادت المؤامرات والتيارات لجعل دولة باكستان الإسلامية دولة علمانية أو شيوعية ، ودخل الصراع بين الحركة الإسلامية وبين الحركات الهدامة فى مرحلة عنيفة ولا تزال هذه الشدة تزداد يوما بعد يوم بانتصار الحركة الإسلامية وانهزام الحركات الجاهلية فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ، وهذا ما وعد به الله سبحانه وتعالى فى قوله تعالى : ﴿ قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾(١) .

الحياة الاجتماعية : وأما الحياة الاجتماعية فى ذلك العصر فقد تأثرت بالحضارة الغربية الجاهلية فى كل نشاطاتها ومظاهرها فأنشئت الحركات وظهرت الدعوات لتعميم الحضارة الغربية الحديثة فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ، ومن أهم الحركات التى ظهرت فى هذا الصدد كانت « حركة تحرير المرأة » كما يسمونها فكانت تلك الحركة تهدف إلى خروج المرأة المسلمة من حجابها وبيتها فى اتباع للمرأة الأوربية وذلك للقضاء على كيان الأسرة المسلمة وقيم الحياة الاجتماعية الإسلامية السامية ، فمن أهم النتائج لتلك الدعوة هى بداية التعليم المختلط فى الكليات والجامعات الذى جاء بالمفاسد الاجتماعية التى لا تعد ولا تحصى، وبداية خروج المرأة المسلمة للمشاركة فى أنشطة الحياة الاجتماعية مثل الحصول على الوظائف فى دوائر الحكومة أو المشاركة فى المباريات القومية والدولية أو المشاركة فى مهرجانات الشباب والشابات المختلطة أو فى البرامج التمثيلية كالمسرح والسينما والتلفزيون أو فى حفلات الرقص والموسيقى المختلطة أو القيام بخدمة ركاب الطائرات أو بخدمة المسافرين النازلين فى الفنادق . هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى كان لتأثير الحضارة الغربية فى حياتنا الاجتماعية أن ظهرت فى المجتمعات الإسلامية الدعوات التى تخالف أحكام الشريعة الإسلامية مثل فكرة منع تعدد الزوجات وفكرة عدم وقوع الطلاق إلا عن طريق المحكمة وحركة تحديد النسل ... وما إلى ذلك من الدعوات المعادية الأخرى .

وجدير بالذكر أن هذه الحركات والدعوات التى ظهرت فى شبه القارة الهندية بعد أن احتلها الاستعمار البريطانى الغاشم ازدادت أثرا ونفوذا بعد إنشاء

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٨١ . (١) سورة المائدة : الآية ٤٤ .

دولة باكستان المسلمة عام ١٩٤٧ م حيث تأسست جمعية السيدات الباكستانيات لحمل لوائها فقامت الحكومة بدعمها ماديا ومعنويا لتحقيق أهدافها الشنيعة ، إلا أنه كان لاهتمام الحركة الإسلامية بمقاومتها أنها لم تتمكن من تحقيق هذه الأهداف .

وأما **مجال الأدب والصحافة** : فكان لأهميته البالغة أن ركز عليه الاستعمار بصفة خاصة والحركات والدعوات التى ظهرت فى العالم الإسلامى لتعميم الحضارة الغربية فى المجتمعات الإسلامية اعتنت بصفة خاصة باستخدام الأدب والصحافة لتحقيق أهدافها الشنيعة فصدرت المجلات والجرائد وألفت وترجمت الكتب ، هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى بدأ الكتاب المتطورون الشيوعيون هجومهم العنيف ضد الإسلام وقيمه السامية للحياة الاجتماعية ولاسيما بعد ما تأسست جمعية الكتاب المتطورين فى شبه القارة الهندية عام ١٩٣٦ م . هذا من جانب ومن جانب آخر حطط هؤلاء الكتاب للقصاء على قيم المجتمع الإسلامى السامية وذلك بإصدار صور النساء العاريات أو شبه العاريات فى المجلات والجرائد .

وجدير بالذكر أن الكتاب والصحفيين المتطورين كان لهم السيطرة الكاملة على مجال الأدب والصحافة حينما أنشئت دولة باكستان المسلمة عام ١٩٤٧ م . ولكن بفضل جهود الجماعة الإسلامية المتواصلة فى هذا المجال أنه لم يبق لهم فيه الآن أثر يذكر . فلله الحمد .

وأما فى **مجال التعليم والثقافة** : فتركيز الاستعمار الغاشم لم يقل عن تركيزه على المجالات الأخرى الهامة للحياة الاجتماعية وذلك لأهمية البالغة لهذا المجال فى حياة الأمم الاجتماعية ، فخطط المخططات والمؤامرات وقام بتغيير التعليم الإسلامى بالتعليم الإفرنجى اللاديني الذى أنجبته الحضارة الغربية المادية الجاهلية فألغبت المعاهد الدينية وأسست المعاهد والكليات والجامعات لتعميم الثقافة الجاهلية الحديثة فى المجتمعات الإسلامية كما ظهرت الدعوات والحركات الخاصة لتحقيق ذلك الهدف وذلك فضلا عن عدد غير قليل من المعاهد والكليات التبشيرية التى أنشأها المبشرون المسيحيون تحت رعاية الاستعمار وبدعمه المادى والمعنوى . هذا من ناحية . ومن الناحية الأخرى قرر الاستعمار أن أبواب الرزق لا تفتح إلا بمفتاح

الثقافة الغربية ، فكانت النتيجة أن كل سلالة جديدة من المسلمين كانت أسرع إليها من سابقتها . وبدأ يتخرج فى هذه المعاهد والكليات جيل جديد لم تكن له أية علاقة بالإسلام سوى الاسم ، حيل جديد إفرنجى من حيث النظرة والفكر والوجدان والسيرة ومسلم من حيث الاسم والسلالة واللون ، فيصدق الدكتور محمد إقبال حيث يقول عن هذه الثقافة : « أوريه أهل كليساكا نظام تعليم – ايك سازش هى فقط دين ومروت كيخلاف » أى أن نظام التعليم الإفرنجى ليس إلا مؤامرة على الدين والخلق والمروءة . أو يقول عن تأثيرها : « مباش ايمن ازان علمى كه خوانى ، كه ازوى روحى قومى توان كشت » أى إياك أن تكون آمنا للعلم الذى تدرسه فإنه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها .

وأما **الثقافة الدينية** : فكان من الطبيعى أن يفقد تأثيرها يوما بعد يوم وذلك للأسباب الآتية :

أولا : لإغلاق المدارس والمعاهد الدينية .

ثانيا : لإقفال باب الرزق على متخرجى المعاهد الدينية .

وثالثا : لكون منهج التعليم الدينى منهجا قديما أكل عليه الدهر وشرب .

فكانت النتيجة تنحية العلماء والمشايخ من معترك الحياة ليصبح المجال خاليا للمثقفين الجدد الخاضعين للحضارة الغربية الجاهلية .

وأما فى **دائرة الاقتصاد والمعيشة** : فكان نتيجة لغارة الحضارة الغربية الاستعمارية أن ظهرت فى العالم الإسلامى الدعوات والحركات لنشر الفلسفات الاقتصادية الجاهلية الحديثة كالشيوعية والرأسمالية والنظم الاقتصادية الأخرى ومن أشنع النتائج التى جاءت بها هذه النظريات الاقتصادية فقدان ثقة المثقفين الجدد فى صلاحية نظام الاقتصاد الإسلامى لحل المعضلات الاقتصادية المعاصرة وانحصارهم فى ذلك على الحلول المستوردة ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى فقدان الوعى والتمييز بين الحلال والحرام ، فبدأ بعض المسلمين يشتغلون فى الحرف المحرمة والبيوع الفاسدة حتى بلغ الأمر إلى حد أن كثيرا من المسلمين المثقفين بدأوا يعتقدون أن حالة المسلمين الاقتصادية لا يمكن تحسنها إلا بجواز الربا ، وزاد الطين بلة حينما قام بعض من علماء السوء بإصدار الفتوى بجوازها ، فكان من المرجو أن يتغير ذلك الوضع بقيام نظام الاقتصاد الإسلامى

بعد إنشاء دولة باكستان المسلمة عام ١٩٤٧ م ولكن مع الأسف ، لم يأت ذلك التغيير وقرر قادة هذه الدولة المسلمة أن النظام الاقتصادى فى باكستان سيكون على نفس المنهج الذى كان عليه فى أيام الاحتلال الاستعمارى ، ولا يزال هذا النظام قائما على الأسس الرأسمالية الجاهلية حتى اليوم ، وهذا ما توسع به الخليج بين الأغنياء والفقراء ، وهذا ما أدى إلى نفود الشيوعيين فى المجتمع ولولا تمكنت الحركة الإسلامية من إعادة ثقة الشباب المثقف فى صلاحية النظام الاقتصادى الإسلامى لحل هذه المعضلات الاقتصادية لأصبحت دولة باكستان المسلمة دولة شيوعية أو اشتراكية أعاذنا الله منه .

وأما **المجال العمالى** : فكان لتلك الأوضاع الاقتصادية من ناحية وللأهمية البالغة لهذا المجال من الناحية الأخرى أن خطط الشيوعيون بصفة خاصة للنفود فى هذا المجال فتمكنوا من السيطرة عليه ، فالاتحادات العمالية فى شبه القارة الهندية قد سيطر عليها الشيوعيون سيطرة كاملة وهكذا كان الوضع حينما أنتشئت دولة باكستان الإسلامية عام ١٩٤٧ م ، فقد قررت الحركة الإسلامية أن تتصدى لذلك التحدى فكان الفضل لله سبحانه وتعالى ثم لجهودها المتواصلة أن تمكنت الحركة الإسلامية من إنقاذ العامل المسلم الباكستانى من سيطرة الشيوعيين الغاشمة وأكثر الاتحادات العمالية فى باكستان اليوم تسيطر عليها الحركة الإسلامية فلله الحمد .

وأما **مجال القانون والتشريع** : فمن المعلوم أن القانون له صلة وثيقة بالمبادىء الأساسية للمجتمع ، هذا بصفة عامة ، وأما الشريعة الإسلامية الغراء فالغاية التى أنزلها الله لأجلها هى ليست إلا أن يحكم بها المسلمون والتحكيم بما أنزل الله ليس تطوعا أو نافلة ، بل يعتبر أساسا لإيمانهم بالله سبحانه لقوله تعالى : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[1] وهذا ما يتبين[2] منه أهمية الشريعة الإسلامية فى حياة المسلمين الاجتماعية فكان لهذه الأهمية للشريعة الإسلامية أن خطط الاستعمار للقضاء عليها ، فأنشئت كليات الحقوق لتعليم القانون الإفرنجى الوضعى فى كل بلد من البلدان الإسلامية ، كما أرسلت المبعوثين المسلمين إلى البلاد الغربية للتعليم العالى فى القانون الوضعى الإفرنجى ، وهذه هى

(١) سورة المائدة : ٤٤ .

(٢) انظر الأستاذ المودودى : نظرية الإسلام وهديه فى السياسة والقانون والدستور ص ١٣٩ .

كانت الخطة الأولى ، ثم أخذ الاستعمار الخطة الثانية وقام بتغير الشريعة الإسلامية الغراء بالقوانين الوضعية الإفرنجية فى كل بلد من البلدان الإسلامية فكانت هذه القوانين الوضعية تخالف المبدأ بأن حق التشريع مختص لله سبحانه وتعالى وحده . هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى كانت هذه القوانين الوضعية الإفرنجية تختلف كل الاختلاف عن الشريعة الإسلامية فكانت تحلل ما تحرمه الشريعة الإسلامية الغراء وتحرم ما تحلله الشريعة الإسلامية فأحلت الزنا والخمر والميسر وكثيراً من المحرمات والمنكرات الأخرى وقضت على كثير من الخيرات ، ولكن ما هو أشنع وأخطر من كل ذلك هو انتشار الفكرة الخاطئة بأن التشريع لا يخص الله سبحانه وتعالى بل يخص البرلمان أو مجلس النواب أو مجلس الوزارء أو رئيس الوزراء أو رئيس الدولة أو الملك الذى يمكن له أن يحلل أى حرام ويحرم أى حلال .

وجدير بالذكر أن شبه القارة الهندية قد تم فيها إلغاء الشريعة الإسلامية وقيام القوانين الوضعية فى أواسط القرن التاسع عشر الميلادى[1] فكان من المقرر أن تلغى القوانين الوضعية الإفرنجية وتطبق الشريعة الإسلامية بعد إنشاء دولة باكستان الإسلامية ، ولكن العلمانيين والشيوعيين والمتفرنجين فى الحكومة لم يعجبهم تطبيق الشريعة الإسلامية فقاموا بالمخططات والمؤامرات المعادية للشريعة الإسلامية ، وبدأ الصراع بين الحركة الإسلامية والأحزاب الإسلامية الأخرى وبين العلمانيين والشيوعيين والمتفرنجين ومنكرى السنة الموجودين فى الحكومة ولايزال هذا الصراع مستمرا حتى اليوم .

وأما **دائرة القيم الأخلاقية** : فقد تأثرت بتلك الغارة الحضارية الاستعمارية تأثرا عظيما ومن المعلوم أن القيم الأخلاقية الإسلامية غايتها السامية هى كسب مرضاة الله سبحانه وتعالى بخدمة عباده حسب توجيهاته وتعليماته ، ولكن بعد ما تأثر المسلمون بالحضارة الجاهلية الحديثة وعلومها وفلسفاتها اللادينية المادية ، انتشرت فيهم القيم الأخلاقية المادية التى تولدت من بطن الفلسفات المادية الجاهلية كالتفسير المادى الجدلى لماركس وفلسفة التطور لداروين ونظرية السياسة اللادينية

---

(١) انظر الأستاذ أسعد جيلانى : أبو الأعلى المودودى ، فكره ودعوته ص ١٧ .

لمكيافلى والتفسير الجنسى لعلم النفس لفرويد وما إلى ذلك من الفلسفات والنظريات المادية الجاهلية ، وكان لانتشار هذه القيم الأخلاقية المادية فى المجتمعات الإسلامية أن أصبح النفع المادى هو المقياس الوحيد للحق والباطل وللصحيح والخطأ وللحلال والحرام وهذا ما فسدت به حياتنا الفردية والاجتماعية فى كل دوائرها .

وهكذا الدوائر الأخرى لحياة المسلمين الفردية والاجتماعية قد تأثرت بتلك الغارة الحضارية للاستعمار الغاشم ولم يبق بلد من البلاد الإسلامية إلا وقد وقع فى العبودية الفكرية لتلك الحضارة الاستعمارية الغاشمة .

فيتبين مما أسلفنا أن عصر الأستاذ المودودى كان عصر التحديات والتيارات المعادية للإسلام والمسلمين ، عصر قد تنحى فيه الإسلام من قيادة ركب البشرية لتحل محلها الجاهلية الحديثة ، عصر قد تمكن فيه الاستعمار من السيطرة السياسية والحضارية على العالم الإسلامى ، عصر قد وقع فيه المسلمون فى العبودية الفكرية للحضارة الجاهلية الحديثة وفقدوا ثقتهم فى صلاحية الإسلام للقيادة البشرية وحل مشاكل الحياة ومسائلها فى ذلك العصر ، عصر قد ظهرت فيه الحركات الهدامة والدعوات المعادية للإسلام ، عصر قد خططت فيه المخططات والمؤامرات الاستعمارية للقضاء على الإسلام والمسلمين من الداخل والخارج معا ، عصر اشتد فيه الصراع بين الإسلام والجاهلية الحديثة وبين الحركة الإسلامية والحركات المعادية للإسلام فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية .

وجملة القول أن العصر الذى عاش فيه الاستاذ المودودى وقام بعمل الدعوة إلى الله كان عصرا مليئا بالتيارات والتحديات ، ولم ير التاريخ الإسلامى مثله قبل ذلك ، وبهذا يمكننا أن نتعرف على المؤثرات البيئية والثقافية والدينية والسياسية والاجتماعية فى تكوين شخص الأستاذ المودودى وظهور دعوته من ناحية ، وأن نعرف مدى مؤثرات هذه الدعوة الجليلة من النواحى المختلفة ونعين مكانته العلمية .

الفصل الثاني

حياة الأستاذ المودودي في سطور وموجز جهاده في مجال الدعوة الإسلامية

المفكر الإسلامى الكبير الذى رد للإسلام اعتباره وأحل الفكر الإسلامى مكانه اللائق به .. يواجه فى صلابة فكرالتحديات، الفكر الأجنبى المستورد ، ويتصدى فى قوة للفكر الدخيل المنتسب زوراً إلى الإسلام .

كان المودودى يحمل فكراً إسلامياً أصيلاً وكاد بهذا الفكر الإسلامى أن يؤسس مدرسة .. تلاميذها من شتى أنحاء العالم الإسلامى .. ولم يقف المودودى عند حدود تقديم العطاء من الفكر الإسلامى .. بل تصدى للأنظمة الحاكمة فى ديار المسلمين ، والتى تعتنق فكراً جاهليا وفى نفس الوقت تصدى للاستعمار الذى جثم على صدر الأمة المسلمة وتصدى لعملائه فى ديار المسلمين .

وكان ما لقيه من الاستعمار الإنجليزى أهون بكثير مما لقيه من عملاء الاستعمار البغيض واستطاع عملاؤه من الحكام ، أن يقدموه للمحاكمة ، وحكموا عليه بالإعدام ، ثم خففوا حكم الإعدام إلى السجن . ولبث فى السجن بضع سنين وخرج منه أكثر ما يكون قوة إيمان .. وقوة عزيمة .. وواصل جهاده حتى لقى ربّه .. بعد أن أسس مدرسة كبرى يواجه الآن تلامذتها فى أنحاء المعمورة بفكرهم النير ومفهومهم السليم لحقيقة دينهم كل الذين جندوا أنفسهم لمناوأة الإسلام .

مجلة « الإعتصام » المصرية العدد الأول لعام ١٤٠١ هـ

حياة الأستاذ أبى الأعلى المودودى

أسرته :

ينتسب الأستاذ أبو الأعلى المودودى إلى أسرة عريقة الأمجاد متميزة بالعلم والتقوى فجد هذه الأسرة الأعلى هو الشيخ قطب الدين بن مودود جشتى الذى ترجع سلسلة نسبه إلى سيدنا الحسين بن على رضى الله عنهما . وقد اتخذت هذه الأسرة مقر إقامتها مدينة «جشت» القريبة من مدينة « هرات » فى أفغانستان ، وكان الشيخ قطب الدين مودود جشتى شيخ شيوخ السلسلة الجشتية بالهند ، وشيخ فرع الأسرة المودودية الذى يرجع الأستاذ المودودى إليه قد هاجر إلى الهند فى أواخر القرن العاشر من الهجرة وهو الشيخ أبو الأعلى المودودى الجد الأعلى لصاحب الترجمة وقد اتخذ إقامته فى مدينة « برناس » فى الشمال الغربى من عاصمة الهند « دلهى » ومنها انتقل إلى « دلهى » وذلك فى أيام (شاه عالم) ، أحد ملوك المغول فى الهند ، واستمر بها بنوه إلى أن هجرها والد الأستاذ المودودى حيث رحل إلى مدينة « أرونك آباد » فى جنوب شبه القارة الهندية ، وقد أيد الأستاذ المودودى هذه المعلومات عن أسرته الأولى حينما ترجم لنفسه[1] لمؤلف الكتاب « منظر الكرام » عام ١٩٣٢ الميلادى .

والد الأستاذ المودودى :

والده هو سيد أحمد حسن المودودى الذى ولد عام ١٢٧٣ من الهجرة الموافق عام ١٨٥٥ الميلادى من هذه الأسرة ذات الدين والتقوى وكانت هناك صلة قرابة بين والدته وبين « سرسيد أحمد خان » مؤسس جامعة (عليكره)

---

(١) انظر الأستاذ محمد يوسف : « مولانا مودودى ابنى أورد وسرون كى نظرمين » ص ٣٠.

الإسلامية . و لهذا اختير سيد أحمد حسن المودودى للالتحاق بهذه الجامعة ، وهى فى مرحلة إنشائها الأولى[1] فعارض أفراد الأسرة هذا الاختيار ولم يوافقوا على تعليمه فى هذه الكلية التى تدرس الثقافة الإنكليزية الاستعمارية إلا أنهم قد اضطروا إلى الموافقة رعاية لصلة القرابة مع سيد أحمد خان وقبل أن يكمل سيد أحمد حسن دراسته صادف مرة أن أحد أقربائه قام بزيارة عليكره – وشاهده يلعب الكراكيت ويلبس زى الإنكليز فتأثر وتألم لمشاهدة ابن شيخ كبير فى هذه الحالة ، وما أن عاد إلى «دلهى» حتى ذهب إلى والده وقال : « يا أخى ، انفض يدك من أحمد حسن فلقد رأيته فى عليكره يلبس ملابس الكفار ، وهو نصف عار يلعب ألعابهم » وبعد ما سمع والده هذا الخبر قام على الفور باستدعاء ابنه من جامعة عليكرة وأرسله إلى جامعة « آله أباد » حيث درس المحاماة[2] .

وبعد إكمال دراسته عين سيد أحمد حسن المودودى معلما لولى العهد فى ولاية « ديو كره » وأقام هناك عدة سنوات وبعد وفاة ولى العهد فجأة ترك « ديوكره » وعمل فى المحاماة فى شتى المدن الهندية – كمدينة « ميرت » ومدينة « غازى آباد » ومدينة « بلند،شهر »[3] . وفى عام ١٣١٤ هـ الموافق١٨٩٦ م سافر إلى مدينة « أورنك آباد » بولاية حيدر آباد الدكن الإسلامية فى جنوب شبه القارة الهندية للدفاع فى قضية هناك وقابل هناك قريبه الشيخ محى الدين خان رئيس مجلس القضاء فى أورنك آباد ، وكان يمتاز بالورع والتقوى والدعوة إلى الله وكان من آثار مصاحبته أن سيد أحمد حسن المودودى الذى سيطرت عليه الثقافة الغربية وفقه الله أن يخلص نفسه من هذه السيطرة ويغير منهج حياته ، وأخذ يعيش الحياة الإسلامية ويعمل فى سبيل الدعوة إلى الله مع عمله بالمحاماة . وكان ذلك فى عام ١٩٠٠ م الموافق عام ١٣١٨ هـ .

وبعد أربع سنوات فى عام ١٣٢٢ هـ الموافق عام ١٩٠٤ م ترك المحاماة أو بتعبير أصح ترك الدنيا وقام بتقسيم متاع البيت وسافر إلى دلهى واتخذ حى

---

(١) انظر الأستاذ أسعد جيلانى : أبو الأعلى المودوى ، فكره ودعوته ص ١٩.

(٢) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى مودودى ص ٤٨.

(٣) انظر الأستاذ محمد يوسف : مولانا مودودى ابى أورد وسرود كى نظرمين ص ٣٦.

« عرب سراى » مقاما له ومسكنا و قام بزراعة قطعة من الأرض ليعيش عليها ، وكان يقضى معظم وقته فى العبادة ودراسة الدين وتدريسه واستمر على هذه الحالة ثلاث سنوات ، وحينما عرف الشيخ محى الدين خان عن حاله هذا استدعاه إلى « أرونك آباد » وقال له : « الرجوع إلى الله لا يعنى ترك الدنيا بل عليك أن تجتهد فى الكسب بطرق مشروعة » فوافقه وعاد إلى المحاماة فترة ثانية ولكنه غير طريقته ، فلم يوافق على الدفاع عن أية قضية إلا بعد أن يتحقق فى أن صاحبها على حق ، فقلت القضايا عنده وازدادت مشكلاته المادية يوما بعد يوم حتى اضطر أن يغادر أورنك آباد فى عام ١٣٣٣ هـ وسافر إلى حيدر آباد[١] حيث ساءت حالته الصحية ، ولم تمض على مكثه بحيدر آباد ستة أشهر حتى انتقل إلى مدينة « بهوبهال » حيث ابنه الأكبر سيد أبو محمد كان يعمل مديرا لهيئة البلدية بها ، وهناك أصابه مرض الشلل الذى لازمه حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى بعد أربع سنوات فى عام ١٣٣٩ هـ الموافق عام ١٩٢٠ م .

والدته :

والدته هى السيدة / رقية بيغم من أسرة غير أسرة أبيه وترجع سلسلة نسبها إلى أتراك ما وراء النهر ، وقد هاجر جدها الأعلى ميرزا طولك بى من وراء النهر إلى « دلهى » عاصمة الهند ، فى زمن « عالمكير » أحد ملوك المغول فى الهند وقد اتخذها مستقرا له . وكعادة أسرته التحق بالجيش ووالد السيدة / رقية بيغم ميرزا قربان على بيك خان سالك مع كونه جنديا كان شاعرا وأديبا . وكان تلميذا للشاعر الهندى الكبير ميرزا غالب ، وكان رئيس التحرير لجريدة (مخزن الفوائد) ، إحدى الجرائد القديمة باللغة الأردية[٢] ، والسيدة / رقية بيغم أصغر بناته الأربعة[٣] ، وكانت رحمها الله عابدة زاهدة تعطى الفقراء والمساكين وتهتم

---

(١) انظر الأستاذ خليل أحمد الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى ، حياته ، دعوته ، جهاده ص ١٧.

(٢) انظر مجلة « سيارة دائجست » الشهرية لاهور : عدد حاص فى ذكرى الأستاذ المودودى لشهر ديسمبر ١٩٧٩ م ص ١١٤ – ١١٥.

(٣) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى مودودى ص ٤٧ .

بتربية أولادها اهتماما كبيرا وكانت شديدة العناية بخدمة زوجها وتقيم معه فى العسر واليسر راضية مرضية فى كل حال حتى أنها رافقته بكل الرضا حينما ترك الدنيا وعاش حياته فى عوز مالى شديد[1] . وقد هاجرت رحمها الله من الهند إلى باكستان مع ابنيها الأستاذ أبى الأعلى المودودى والأستاذ أبى الخير المودودى ، وقامت معهما فى لاهور وتوفيت ودفنت هناك عام ١٩٥٨ الميلادى[2] .

إخوته :

كان لوالد الأستاذ المودودى ستة أولاد أربعة منهم من زوجته الأولى واثنان من والدة الأستاذ المودودى ، وأكبرهم سيد أبو محمد المودودى ، ولا نعرف عنه شيئا إلا أنه كان مديرا لإدارة البلدية لمدينة « بهوبهال » حينما انتقل والده هناك من حيدر آباد عام ١٣٣٣ هـ الموافق عام ١٩١٥ م ، ومكث معه إلى وفاته عام ١٣٣٩ هـ الموافق عام ١٩٢٠ م . وابنه الثانى فهو أبو القاسم المودودى ولا نعرف عنه شيئا والابنة الثالثة توفيت فى طفولتها والرابعة تزوجت وأنجبت – وهؤلاء الأبناء الأربعة هم إخوة المودودى لأب فقط ولم يكن له أخ شقيق إلا واحدا وهو سيد أبو الخير المودودى الذى كان يكبر الأستاذ المودودى بثلاث سنوات ، فلقد ولد فى أورنك آباد فى عام ١٣١٨ هـ الموافق عام ١٩٠٠ م[3] .
ويقول الأستاذ المودودى عن أخيه هذا : « كنت أصغر من فى البيت وكان لى أخ يكبرنى بثلاث سنوات وكنت أتناول الحاجات ما يقع تحت يدى بينما كان أخى يختزن الحاجات ليتناولها فى الوقت المناسب ، وهكذا كنت أنفق على الفور ما يقع بيدى من قروش بينما كان أخى يوفر نقوده ليشترى بها شيئا ثمينا فكان هذا هو أساس العراك الذى كان يحدث دائما بيننا بصفة مستمرة وكنت أحاول دائما أن أنال شيئا من نصيبه ، وكان هو بدوره يضطر إلى أن يعطينى ما أريد بعد

---

(١) انظر الأستاذ خليل أحمد الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ، دعوته وجهاده ص ٧.

(٢) انظر مجلة « آتش فشان » الأسبوعية : عدد خاص فى ذكرى الأستاذ المودودى لشهر نوفمبر ١٩٧٩ م ص ٣٢.

(٣) أخبرتنى عن هذا السيدة / حميرا المودودى ابنة الأستاذ المودودى.

ممازقة لا تستمر كثيرا . وفى البداية كنت أفسر هذا باسى انتصرت عليه وغنمت منه ثمرة النصر إلا أننى عرفت فيما بعد بأن أخى يحبنى وأنه كان يجد فى عراكى معه متعة »[1] ، ومثل هذا يدل على ما كان بين المودودى وأخيه من مودة وتعاطف .

وأبو الخير المودودى تلقى الدراسة الابتدائية فى بيته من والده سيد أحمد حسن المودودى[2] ، ومن الأساتذة الذين كانوا يدرسون الأستاذ المودودى لأن الشقيقين كانا يدرسان معا فى نفس الوقت . وبعد دراسته الابتدائية التحق بالمدرسة الفوقانية بأورنك آباد[3] ، لكنه قبل أن يكمل دراسته ساءت الحالة الصحية لوالده الذى أصابه الشلل عام ١٣٣٤ ﻫ الموافق عام ١٩١٦ م . فترك الدراسة وأخذ يعمل ليكسب قوت عائلته ، ولهذا انضم إلى جريدة « المدينة » اليومية التى كانت تصدر من مدينة « بجنور » وصار رئيس تحريرها . وهذا كان فى عام ١٣٣٦ م الموافق عام ١٩١٨ م ، ولم يستمر عمله فى الجريدة إلا لشهرين فقط ، ثم انضم بعدها إلى جريدة « التاج » التى كانت تصدر من مدينة « جبل بور » ولكن هذه الجريدة لم تستمر إلا لبضعة أشهر[4] ، فاضطر إلى ترك ميدان الصحافة[5] وانضم إلى دار الترجمة العثمانية بحيدر آباد ، عاصمة ولاية حيدر آباد آنذاك ، واستمر فى عمله هناك إلى سقوط هذه الدولة فى عام ١٩٤٨ م ، ثم هاجر إلى باكستان وأقام بمدينه لاهور ومكث هناك حتى وفاته فى ٢٨ أغسطس عام ١٩٧٩م أى قبل ٢٥ يوما من وفاة الأستاذ المودودى ، ودفن بلاهور[6] .

---

(١) انظر الأستاذ أسعد جيلانى : أبو الأعلى المودودى ، فكره ودعوته ص ٢٤.

(٢) انظر المرجع السابق : ص ٢٠.

(٣) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى مودودى ص ٥٤.

(٤) انظر الأستاذ أسعد جيلانى : أبو الأعلى المودودى ، فكره ودعوته ص ٣٠ – ٣١.

(٥) انظر المرجع السابق : ص ٣٢.

(٦) انظر مجلة « سيارة دائجست » الشهرية : عدد خاص فى ذكرى الأستاذ المودودى لشهر ديسمبر ١٩٧٩ م ص ١٠٥ – ١٠٧.

وكان أبو الخير المودودى أديبا ممتازا فى اللغة الأردية ، وله عدة كتب فى الأدب الأردى بجانب كثير من الكتب التى ترجمها من اللغة العربية وكما يقول فى مقابلته مع الشودرى عبد الرحمن عبد مؤلف كتاب « سيد أبو الأعلى مودودى » كان متأثرا من شخصية الأستاذ المودودى ، فيحكى لنا عن تأثره هذا أنه فى عام ١٩٣٧ حينما كان الأستاذ المودودى يصدر مجلة « ترجمان القرآن » من حيدر آباد استدعاه الشاعر الإسلامى الدكتور محمد إقبال لمقابلته واقترح عليه أن ينتقل من حيدر آباد إلى بنجاب ، ويعمل هناك ، فوافق الأستاذ على هذا الاقتراح وفى نفس الوقت عرضت عليه الجامعة العثمانية بحيدر آباد أن يعمل أستاذا فى هذه الجامعة براتب كبير ، لكنه رفض هذا العرض مع أن وضعه المالى كان ضيقا جدا ، وهو لم يكن يعرف شيئا عن مصيره فى بنجاب ويقول أبو الخير بأنه حاول إقناعه بقبول ذلك العرض نظرا لوضعه المادى وخوفا من أنه لا يجد أنصارا لدعوته فى بنجاب ، وناقش الموضوع معه لست ساعات ولكنه لم يوافق وآثر الذهاب إلى بنجاب لكى يعمل هناك فى سبيل الدعوة حسب الاتفاق مع الدكتور محمد إقبال واتخذ إقامته فى قرية « دار السلام » بعيدا عن الحياة المدنية التى كان يعيشها هو وعائلته حتى الآن . وهذه التضحية التى قدمها الأستاذ المودودى فى سبيل الدعوة أثرت فيه إلى حد كبير[1] .

وهكذا يقول الأستاذ أبو الخير المودودى فى مقابلته مع مندوب مجلة « اتش فشان » الأسبوعية السيد / فريد الدين أحمد بأنه يقرأ كل ما يكتبه الأستاذ المودودى بعناية وأحيانا يكتب إليه ملاحظاته والحقيقة هو يتأثر من أسلوبه الجذاب ولاسيما من تفسيره « تفهيم القرآن » إلا أنه لا يعجبه دخوله فى مجال السياسة . وذلك لأن مجال السياسة فى رأيه يتدنس بأذيال كل من يدخل فيه[2] .

ولادة الأستاذ المودودى :

ولد الأستاذ أبو الأعلى المودودى فى هذه الأسرة العريقة فى ٢ من رجب

---

(١) انظر مجلة « سيارة دائجست » الشهرية عدد خاص فى ذكرى الأستاذ أبو الأعلى المودودى لشهر ديسمبر عام ١٩٧٩ م ص ١٠٥ – ١٠٧.

(٢) انظر مجلة « آتش فشان » الأسبوعية : لاهور لشهر نوفمبر ١٩٧٩ م ص ١٥.

عام ١٣٢١ هـ الموافق ٢٥ سبتمبر عام ١٩٠٣ م[١] . وسماه والده باسم جده الأكبر أبو الأعلى المودودى . وكما ذكرنا آنفا بأنه فى هذه الأيام قد سيطرت على والد الأستاذ الأفكار الإسلامية بتوجيه الشيخ محى الدين وبعد مولده بسنة ترك الدنيا وتفرغ للعبادة والأذكار واستمر على ذلك ثلاث سنوات ولما عاد بعدها إلى حياته العادية تغلب عليه الطابع الدينى الذى ألفه خلال تلك الفترة وكانت والدته سيدة صالحة عابدة راضية برضاء ربها فى العسر واليسر وكانت تعرف دينها . وفى هذا الجو تفتحت عينا الصبى فرضع منه الدين عملا وسلوكا مما كان له أثر كبير فى تكوين شخصيته[٢] .

تربيته :

حرص والد الأستاذ المودودى حرصا تاما على تربية ولده بمنهج الإسلام فعلمه التربية الدينية الابتدائية فى البيت وتولى تدريسه بنفسه واختار بعض الأساتذة لهذا الغرض . وقد تلقى المودودى دراسته الأولى فى البيت فدرس القرآن والحديث والفقه واللغة الأردية واللغة الفارسية واللغة العربية . وقد عرف بالذكاء وقوة الحافظة منذ صغره حتى أنه حفظ الموطأ للإمام مالك بظهر الغيب فى هذه المرحلة[٣] . وكان والده يرغب فى أن يجعله عالما متخصصا فى الدين وعاملا فى إطار الدعوة إلى الله تعالى ، ولهذا ركز على تدريسه اللغة العربية مع اللغة الفارسية بالإضافة إلى الفقه والحديث وغيرهما من العلوم الدينية . ولم تكن هناك رغبة فى تدريس العلوم واللغة الإنكليزية وما يتصل بهما[٤]،وبفضل هذا الاهتمام باللغة العربية استطاع أبو الأعلى المودودى أن يقوم بترجمة كتاب « الإسلام والإصلاح » للشيخ عبد العزيز جاويش من اللغة العربية إلى اللغة الأردية وعمره لم يتجاوز ثلاث عشرة سنة[٥] ، واستمر أبو الأعلى المودودى يدرس فى البيت

(١) الأستاذ أسعد جيلانى : أبو الأعلى المودودى ، فكره ودعوته ص ١٧.

(٢) انظر المرجع السابق : ص ٢١.

(٣) انظر الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى ، حياته ودعوته وجهاده ص ٦.

(٤) انظر الأستاذ أسعد جيلانى : أبو الأعلى المودودى مكره ودعوته ص ٢٦ - ٢٧.

(٥) انظر مقابلة السيد / فريد الدين أحمد مع الأستاذ أبى الخير المودودى نشرت فى مجلة « آتش فشان » الأسوعية (لاهور) نوفمبر ٧٩ م ص ١٣.

حتى السنة التاسعة من عمره ، ودرس خلال هذه المدة الكتب الابتدائية فى الصرف والنحو والأدب العربى والفقه[1] . وقد حرص والده على تعليمه فى البيت وتأخير دخوله المدارس النظامية محافظة على أخلاقه ولغته وغرسا للاتجاه الدينى الذى ينشده له . وكان والده يتكلم باللهجة التى تروج فى بيوتات « دلهى » ولحرصه الشديد على تنشئة ولده على العلم الصحيح واللغة السليمة ، فكان حينما تجرى على لسانه كلمة سوقية يمنعه من استعمالها ويعلمه النطق السليم[2] . وكان يهتم اهتماما خاصا بإصلاح أخلاقه وعاداته ولا يسمح له أن يلعب فى الشوارع .

ومع هذا الاهتمام بتعليم أبى الأعلى المودودى نجد الوالد قد اتبع مع ابنه طريقة تربوية فى تنشئته وتربيته ومن ذلك :

١ - لم يكن يسمح له أن يلعب فى الشوارع بل كان يجعله يلعب مع أخيه فى فناء البيت الذى أعده الوالد لهما بصفة خاصة ، وذلك لكى لا يلعبا فى الشوارع ولا يتعلما العادات القبيحة[3] .

٢ - كان يلازمه معظم الوقت كما كان يأخذه معه إلى جلسات أصدقائه العلمية لكى يتعلم العادات الطيبة منذ صغره ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لكى يعلمه اللغة الأردية الفصيحة ولم تجر على لسانه الكلمات السوقية[4] .

٣ - كان والده يحكى له قصص الأنبياء والتاريخ الإسلامى والحكايات الأخلاقية وكان لهذا الاهتمام دور هام فى تكوين شخصيته[5] .

٤ - كان لا يسمح له أن يرفع يده على الضعيف والمظلوم . وإذا عمل ذلك كان يؤدبه كما يحكى لنا الأستاذ بأنه صادف مرة أن ضرب ابن خادمه فجاء والده بهذا الطفل وأمره أن يضربه كما ضربه[6] .

---

(١) انظر الأستاذ أسعد جيلانى : أبو الأعلى المودودى ، فكره ودعوته ص ٢٨.

(٢) انظر الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى ، حياته ودعوته وجهاده ص ٦.

(٣) انظر الأستاذ أسعد جيلانى : « سيد مودودى » بچين ، جوانى ، برهاپا ، ص ٢٨.

(٤) انظر المرجع السابق : ص ٢٧.

(٥) انظر المرجع السابق : ص ٢٧.

(٦) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى مودودى ص ٥٣.

٥ - كان يأخذه الوالد معه إلى المسجد لأداء الصلوات الخمس بانتظام وذلك لكى يعلمه الصلاة ويدربه على أداء الصلوات الخمس بالانتظام والاهتمام[١] .

٦ - كان يشجعه على الأعمال الخيرية وذلك لتعليمه من ناحية ، وليزيد ثقته فى ذاته من ناحية أخرى . ونرى اهتمامه هذا فيما يحكى لنا شقيقه الأكبر سيد أبو الخير المودودى « أنه صادف مرة أن كان الأستاذ مع والده فى المسجد والمؤذن لم يكن موجودا فقال له أبوه : قم فأذن ، فأسرع أبو الأعلى وبدأ يؤذن فى ثقة دون تردد . وعمره لم يتجاوز خمس سنوات »[٢] .

وبعد هذا التعلم والتربية فى بيته على أيدى والده والمدرسين الأفاضل التحق أبو الأعلى المودودى بالمدرسة الفوقانية بأورنك آباد وكان حينذاك فى التاسعة من عمره[٣] . ومنهج هذه المدرسة كان يشمل المواد التعليمية فى المتوسطة والثانوية بالإضافة إلى اللغة العربية والفقه والحديث والمنطق كمواد إجبارية[٤] . وفى عام ١٩١٤ م حينما كان عمره إحدى عشرة سنة فحسب اجتاز اختبار الصف « المولوى » فى هذه المدرسة ، وهذا الصف كان يشمل بالإضافة إلى المواد الحديثة للثانوية المواد الدينية اللازمة وكان المنطق يدرس من كتاب « المرقاة » والفقه من كتاب « القدورى » والحديث من كتاب « سنن الترمذى » وكان يقوم بتدريس هذه المواد نخبة من الأساتذة الممتازين بثقافتهم العربية[٥] ثم انتقل والد الأستاذ المودودى من أورنك آباد إلى دار العلوم بحيدر آباد والتحق بصف « المولوى العالم » وهو يعلو الصف المولوى فى المرتبة العلمية وكان يدير دار العلوم آنذاك العالم الكبير ومفسر القرآن الشهير الشيخ حميد الدين الفراهى[٦] . ولم

---

(١) انظر الأستاذ أحمد إدريس : أبو الأعلى المودودى - صفحات من حياته وجهاده ص ٢٣.

(٢) المرجع السابق ص ٢٣.

(٣) انظر الأستاذ أسعد جيلانى : أبو الأعلى المودودى - فكره ودعوته ص ٢٩.

(٤) انظر المرجع السابق : ص ٢٨.

(٥) انظر الأستاذ أسعد حيلانى : أبو الأعلى المودودى - فكره ودعوته ص ٢٩.

(٦) هو الشيخ حميد الدين الفراهى : (عام ١٢٨٠ هـ - ١٣٤٩ هـ) كان عالما ألمعيا تلقى تعليمه على =

يمكث والد الأستاذ المودودى فى حيدر آباد طويلا ، لأن حالته الصحية لم تسمح ببقائه هناك ، وانتقل إلى بهوبهال تاركا ولده أبا الأعلى مودودى مع والدته بحيدر آباد .

وقد استمر أبو الأعلى فى دراسته وسكن فى بيت يبعد عن دار العلوم خمسة عشر كيلو مترا ، وكان يذهب إليها ويعود منها ماشيا على الأقدام ، وأحيانا كان لا ينال ما يأكله[1] . ولكنه مع ذلك استمر فى دراسته ولم ينقطع عنها إلا بعد ستة أشهر حينما بلغه أن والده أصيب بالشلل الشديد ، فترك أبو الأعلى الدراسة وسافر مع والدته إلى « بهوبهال » وقام على خدمة والده ابنا بارا له . وفى عام ١٣٣٩ هـ الموافق عام ١٩٢٠ م توفى والده إلى رحمة الله[2] .

مطالعته للثقافة الإنجليزية :

لم يتمكن الأستاذ المودودى أن يستمر فى دراسته الرسمية بعد إصابة والده بالشلل . وكان لابد له أن يبحث عن عمل لكى يحصل على قوته فلهذا فى عام ١٣٣٦ هـ الموافق عام ١٩١٨ م دخل ميدان الصحافة مع شقيقه الأكبر أبى الخير المودودى . وأجبره هذا العمل على دراسة اللغة الإنجليزية وقد أتقنها فى مدة قصيرة لم تستمر أكثر من أربعة أشهر حصلت له فيها المقدرة على مطالعة وفهم كتب التاريخ والفلسفة والسياسة وعلم الاجتماع والحضارة والأديان وغيرها باللغة الإنجليزية ولم تصادفه أى صعوبه فى فهم المقالات العلمية فى هذه اللغة[3] .

= يدى نخبة من العلماء الأفاضل واشتغل أستاذا فى كلية على كره وجامعة آله آباد ثم مديرا لدار العلوم بحيدر آباد ، ثم أسس مدرسة الإصلاح بسرأى مير وله عدة تأليفات فى الأدب العربى والحديث والتفسير (انظر نزهة الخواطر جـ ٨ ، ص ٢٢٩.

(١) انظر الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ، دعوته ، وجهاده ص ٧.

(٢) انظر المرجع السابق : ص ٧.

(٣) انظر الأستاذ أسعد جيلانى : أبو الأعلى المودودى ، فكره ، ودعوته ، ص ٣٠ – ٣١.

عنايته بالثقافة الإسلامية :

كانت الفترة ما بين عام ١٩١٦ وعام ١٩٢١ م فترة الشدائد والمصائب فى حياة الأستاذ المودودى فانقطع عن مواصلة الدراسة الرسمية عام ١٩١٦ م ولكن حينما وفقه الله أن يتخذ إقامته فى «دلهى» كرئيس التحرير لجريدة «المسلم» عام ١٩٢١ م وجد الفرصة أن يتجه إلى إكمال تعليمه مرة أخرى وهذه المدينة كانت فيها نخبة من أهل العلم فى ذلك الوقت[١] وهذا الأمر شجعه على دراسة العلوم الدينية على أيدى هؤلاء الأساتذة بجانب عمله فى الجريدة ، وقد تعلم علوم المعانى والبلاغة والأدب العربى والمنطق والفلسفة وعلم الكلام من الشيخ عبد السلام نيازى وكان الشيخ رئيسا لدار العلوم الأمينية بدلهى فى ذلك الوقت وكان يجيد اللغة العربية واللغة الفارسية واللغة الإنجليزية واللغة الألمانية واللغة الفرنسية واللغة السنسكرتية وعدة لغات أخرى . وجدير بالذكر بأنه كان يتلقى تلك الدروس قبل صلاة الفجر[٢] ، كما أنه قرأ كتب الحديث كجامع الترمذى والموطأ والكتب الأخرى فى الحديث على المحدث إشفاق الرحمن الكاندهلوى وقرأ التفسير والفقه على الشيخ شريف الله خان[٣] ، واستمر الأستاذ المودودى فى دراسته حتى نهاية عام ١٩٢٨ م . . **ولا يستثنى من ذلك سوى بضعة أشهر قضاها الأستاذ فى** مدينة «بهوبهال» بعد أن أغلقت جريدة «المسلم» فى عام ١٩٢٣ م ولكنه خصص هذه المدة أيضا لمطالعة أمهات الكتب فى العلوم الدينية والعلوم الحديثة[٤] .

وهكذا بعد ما ترك الأستاذ المودودى مجال الصحافة عام ١٩٢٩ م وفرغ نفسه للاستعداد لعمل الدعوة ، اهتم بتزويد نفسه بزاد علمى شامل وذلك بمطالعة أمهات الكتب فى العلوم الدينية والعلوم الحديثة .

---

(١) انظر الأستاد خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ، دعوته وجهاده ص ٩.

(٢) انظر جريدة «جسارت» اليومية : الكراتشى عدد خاص فى ذكرى الأستاذ المودودى ص ١٣٢ .

(٣) انظر الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ، دعوته وجهاده .

(٤) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد · سيد أبو الأعلى المودودى ص ٦٣.

واستمر الأستاذ فى المطالعة إلى عام ١٩٣٢ م ولم يشغل الأستاذ عن مطالعته هذه إلاَّ الأعمال البسيطة التى كان يعتنر بها الأستاذ ليعيش عليها[١] .

الأستاذ المودودى فى حياته العملية :

بدأ الأستاذ المودودى حياته العملية حينما دخل مجال الصحافة عام ١٩١٨ م بعد أن أصاب والده الشلل وانضم مع شقيقه الأكبر إلى جريدة « المدينة » التى كانت تصدر من مدينة بجنور ، ولكن بعد حوالى شهرين ترك هذه الجريدة وانضم إلى جريدة « التاج » التى كانت تصدر من مدينة جبل بور واشتغل فيها إلى نهاية عام ١٩٢١ م وذلك ماعدا المدة التى منعتها الحكومة من الإصدار[٢] .

وفى عام ١٩٢١ م قررت جمعية العلماء بالهند إصدار جريدة « المسلم » من عاصمة البلاد «دلهى» وعين الأستاذ المودودى رئيس التحرير لها ، واستمرت هذه الجريدة إلى عام ١٩٢٣ م واستمر الأستاذ يشتغل فيها ثم حينما قررت الجمعية إصدار جريدة « الجمعية » عام ١٩٢٤ م اختير الأستاذ رئيسا لتحرير هذه الجريدة أيضا ، واستمر يشتغل فيها حتى نهاية عام ١٩٢٩ م حينما قرر الأستاذ أن يترك مجال الصحافة[٣] .

وجدير بالذكر أن الأستاذ مع عمله فى مجال الصحافة قرر أن ينضم إلى حركة الخلافة فى بداية حياته العملية عام ١٩١٨ م واستمر يعمل فيها حتى نهاية هذه الحركة فى عام ١٩٢٤ م هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ألف الأستاذ كتاب « النشاطات التبشيرية فى تركيا »[٤] وترجم كتاب « مجازر اليونانيين

---

(١) انظر الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى ، حياته ، دعوته وجهاده ص ١٨ – ١٩.

(٢) انظر الأستاد محمد يوسف : مولانا مودودى اننى أورد وسرون كى نظرمين ص ٤٦ – ٤٧.

(٣) انظر المرجع السابق : ص ٤٧ – ٤٨.

(٤) انظر الأستاد خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ودعوته وجهاده ص ٨.

فى سمرنا »[1] من اللغة الإنكليزية إلى اللغة الأردية خلال الفترة بين عام ١٩١٨ وعام ١٩٢٠ م كما قام بتأليف الكتاب « مصدر قوة المسلم » عام ١٩٢٥ م[2] وكتاب « الجهاد فى الإسلام » عام ١٩٢٨ م[3] .

وفى عام ١٩٢٨ بعد ما قرر الأستاذ أن يترك مجال الصحافة ليعد نفسه لعمل الدعوة سافر إلى حيدر آباد الدكن حيث كان شقيقه الأكبر يشتغل فى دار الترجمة العثمانية وفرَّغ نفسه للمطالعة استعدادا لهذا العمل الجليل . وذلك من عام ١٩٢٨ إلى عام ١٩٣٢ م . ومع أنه قضى معظم وقته فى المطالعة تمكن من تأليف أو ترجمة بعض الكتب خلال هذه الفترة ، وذلك ليكسب ما يعيش عليه ، فأما الكتب التى ألفها خلال هذه المدة فهى « تاريخ السلاجقة » و« تاريخ الدكن » . وأما الكتب التى نقلها إلى اللغة الأردية هى : تاريخ ابن خلكان (الأجزاء المتعلقة بالفاطميين) والأسفار الأربعة للشيخ صدر الدين الشيرازى فى الفلسفة[4] .

إصدار مجلة ترجمان القرآن :

فى عام ١٩٣٢ م تولى الأستاذ المودودى إدارة مجلة ترجمان القرآن الشهرية التى كانت تصدر من مدينة جيدر آباد (الدكن) وكان يصدرها السيد أبو محمد مصلح الدين ، ولم تكن عودته إلى مجال الصحافة إلا أن يستخدمها لنشر الدعوة الإسلامية[5] ، كما يتبين من الافتتاحية التى كتبها الأستاذ للعدد الأول لهذه المجلة : « إن هذه المجلة تضع اليوم قدمها فى طريق محفوف بالمصاعب والمحن ، وتولى عبئها رجل يعترف بالحقيقة لا بالمجاملة بأنه ضعيف فاقد القيمة صفر اليدين ، ولكنه على رغم وعورة الطريق استعد لحمل هذا العبء على

---

(١) انظر مجلة « آتش فشان » الأسبوعية : لاهور لشهر نوفمبر عام ١٩٧٩ م ص ١٣ تحت عنوان « مقابلة السيد / فريد الدين مع الأستاذ أبى الخير المودودى » .

(٢) انظر الأستاذ المودودى : جماعة إسلامى كى ٢٩ سال ص ١٤.

(٣) انظر الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ، دعوته ، جهاده ص ١٦.

(٤) انظر الأستاد محمد يوسف ، مولانا مودودى ابنى أورد وسرون كى نظرمين.

(٥) انظر سيد أسعد جيلانى : تاريخ جماعت إسلامى حـ١ ص ١٢٢ – ١٢٣.

يقين واضح بأن الله الذى نور قلبه بالإسلام ، وخلق فى نفسه حب الدعوة إليه هو الذى سوف يؤازره ، وينصره بنصر من عنده ويمنحه الرسوخ فى العلم والصحة فى الفكر والسلامة فى القلب والطهارة فى النفس والسمو فى الروح[1] .

وظل الأستاذ المودودى يستخدم هذه المجلة لنشر الدعوة حتى وفاته عام ١٩٧٩ م بل لا تزال تصدر هذه المجلة على نفس المنهج حتى اليوم .

عناية الأستاذ بالمهمتين الأساسيتين :

واعتنى الأستاذ المودودى فى بداية دعوته بالمهمتين الأساسيتين وهما :

أولا : أن ينتقد الحضارة الجاهلية الحديثة والعلوم المادية والفلسفات اللادينية التى جاءت بها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ينتقد الحركات الهدامة التى نشأت فى المجتمع الإسلامى كأثر لهذه الحضارة المادية الاستعمارية وذلك بالبراهين العقلية القاطعة .

ثانيا : أن يبين بالأدلة من القرآن والسنة والبراهين العقلية القوية أن الإسلام هو دين كامل وتتسع دائرته إلى كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية ولا يجوز للمسلم أن يتبع أى نظام آخر فى أى دائرة من دوائر حياته المختلفة[2] .

ومن أهم الكتب التى تحوى البحوث الصادرة خلال هذه المدة هى الكتب التالية :

١ — نحن والحضارة الغربية .

٢ — الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها .

٣ — الإسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة .

٤ — مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة .

---

(١) الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى — حياته ، دعوته ، وجهاده ص ١٩.

(٢) انظر الأستاذ المودودى : « جماعت إسلامى كامقصد ، تاريخ أورلائحة عمل » ص ٢٣-٢٦ .

٥ – حقوق الزوجين .

٦ – حركة تحديد النسل .

٧ – مبادىء الإسلام .

٨ – الحجاب .

٩ – أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة .

١٠ – مشكلة الجبر والقدر[١] .

١١ – ملكية الأرض فى الإسلام[٢] .

١٢ – فى محكمة العقل – التوحيد ، والرسالة ، والآخرة[٣] .

وجدير بالذكر أن هذه الكتب لها دور هام فى إنقاذ المسلمين المثقفين من العبودية الفكرية للحضارة الغربية الحديثة وإعادة ثقتهم فى الإسلام كدين كامل .

الزواج :

وفى عام ١٩٣٧ م تزوج الأستاذ المودودى بالسيدة / محمودة بنت السيد / نصير الدين الشمسى . وجدير بالذكر أن السيد / نصير الدين هذا كان يسكن فى دلهى ، عاصمة الهند ، وكانت هناك صلة قرابة بين والدة الأستاذ المودودى وبين والدة السيد / نصير الدين الشمسى[٤] .

نقده لسياسة حزب المؤتمر الهندى :

وكان فى هذه المناسبة أن سافر الأستاذ المودودى إلى دلهى وخلال سفره شاهد حالة المسلمين السيئة فى المناطق التى أقيمت فيها حكومات حزب المؤتمر

---

(١) انظر الأستاذ المودودى : جماعت إسلامى كامقصد تاريخ أورلائحة عمل ص ٢٦ – ٢٧.

(٢) انظر الأستاذ المودودى : مقدمة الكتاب « مسله ملكيت زمين » باللغة الأردية.

(٣) الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ، دعوته وجهاده ص ٢٣.

(٤) اخبرتنى عن هذا ابنة الأستاذ المودودى (السيدة / حميرا المودودى).

الهندى حسب دستور عام ١٩٣٥ م ، كما لاحظ عن قرب المخططات الاستعمارية الهندوسية للقضاء على الإسلام والمسلمين فى هذه المناطق ، فكانت نتيجة هذه المشاهد أنه بعد عودته إلى حيدر آباد بدأ الأستاذ يكتب فى هذا الموضوع فى مجلته « ترجمان القرآن » وظل يكتب فيه إلى نهاية عام ١٩٣٨ م والبحوث التى صدرت حول هذا الموضوع تشمل نقده العلمى لنظرية القومية الوطنية المتحدة التى كان يحمل لواءها حزب المؤتمر الهندى وتؤيدها جمعية علماء الهند . وذلك فضلا عن نقده لسياسة حزب المؤتمر الهندى تجاه الإسلام والمسلمين فى شبه القارة الهندية ، وجاء الأستاذ فى بحوثه تلك بالأدلة من القرآن والسنة والبراهين العقلية القوية(١) .

وأعادت الجرائد والصحف الإسلامية هذه الحلقات المسلسلة ثم طبعت تلك الحلقات فيما بعد فى كتابين مستقلين أولهما « الصراع السياسى الحاضر والمسلمون » (الجزء الأول والجزء الثانى) وثانيهما « المسألة القومية » ويقول السيد شريف الدين بيرزاده(٢) عن تلك المقالات « كتب المودودى سلسلة من المقالات فى مجلته ترجمان القرآن عامى ١٩٣٨ و١٩٣٩ م كشف القناع فيها عن حقيقة حزب المؤتمر وحذر المسلمين ... وفضح علمانية حزب المؤتمر وبين عدم صلاحية الحكم الديمقراطى فى الهند نظرا لأنه سيكون ثمة صوت إسلامى واحد مقابل أربعة أصوات هندوسية(٣) .

الهجرة إلى دار الإسلام :

فى عام ١٩٣٧ م وجه الشاعر الإسلامى الدكتور محمد إقبال الدعوة إلى الأستاذ المودودى ليقابله فى مدينة لاهور وسافر الأستاذ إلى لاهور لمقابلة الدكتور محمد إقبال . وخلال هذه المقابلة اقترح الدكتور محمد إقبال أن يهاجر الأستاذ من حيدر آباد إلى بنجاب فاتفق الأستاذ المودودى مع الدكتور

---

(١) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى مودودى ص ١١٤.

(٢) هو السيد شريف الدين بيرزادة : أحد قادة حزب رابطة المسلمين قد اشتغل وزيرا للقانون فى حكومة الجنرال أيوب خان . وهو يشتغل الآن كمستشار قانونى فى حكومة الجنرال ضياء الحق.

(٣) السيد / شريف الدين بيرزادة : نشأة باكستان – ٢٣٥.

محمد إقبال على أن يقيم فى قرية « دار الإسلام » قرب مدينة « بتانكوت » ويشرف على المركز الذى سينشأ هناك لتأليف الكتب القيمة لبيان أوجه النظام الإسلامى وإعداد الرجال الذين يصلحون لقيادة المسلمين فكريا وعلميا[1] ، كما كان من المقرر أن الدكتور محمد إقبال أيضا سيأتى ويقيم فى هذا المركز لبضعة أشهر كل سنة[2] .

وجدير بالذكر أن قرية « دار الإسلام » قد وقف أرضها الشودرى نياز على أحد أصدقاء الدكتور محمد إقبال لخدمة الإسلام و فى نفس الوقت أن عرضت عليه الجامعة العثمانية أن يعمل أستاذا فى هذه الجامعة براتب كبير ولكنه رفض هذا العرض مع أن وضعه المالى كان ضيقا جدا وهو لم يكن يعرف شيئا عن مصيره فى بنجاب[3] . وهاجر الأستاذ المودودى من حيدر آباد (الدكن) إلى قرية دار الإسلام فى بنجاب فى ١٥ مارس عام ١٩٣٨ م ولم يمض على هجرته إلا شهر وبضعة أيام حتى توفى الدكتور محمد إقبال إلى رحمة الله فى ٢١ إبريل عام ١٩٣٨ م وكتب الأستاذ فى كلمة رثائه للدكتور الراحل : « فقدت أكبر سند لى فى الدنيا بموت الدكتور محمد إقبال »[4] .

وجدير بالذكر أن مشروع « دار الإسلام » قد نشر فى مجلة « ترجمان القرآن » قبل هجرة الأستاذ المودودى من حيدرآباد ، فقد بين الأستاذ فيه أن تكون قرية « دار الإسلام » قرية إسلامية نموذجية تقام فيها الحياة الفردية والاجتماعية على الأسس الإسلامية السامية ، فوجه الأستاذ دعوته لكل من يعجبه هذا المشروع ويرغب فى الإقامة فى دار الإسلام[5] ، والذين استجابوا لهذه الدعوة وانتقلوا إلى دار الإسلام فى هذه المرحلة ، هم :

١ - الشيخ / صدر الدين الإصلاحى
٢ - الشيخ / عبد العزيز الشرقى
٣ - الشيخ / محمد صديق
٤ - الأستاذ / نعيم الصديقى
٥ - السيد / محمد شاه

---

(١) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى مودودى - ص ١٣١.
(٢) انظر الأستاذ أسعد حيلانى : تاريخ جماعت إسلامى - جـ١ ص ١٣٢ .
(٣) انظر الأستاذ أسعد جيلانى : أبو الأعلى المودودى - فكره ، ودعوته ص ٦١ .
(٤) مجلة ترجمان القرآن الشهرية : لشهر مايو عام ١٩٣٨ .
(٥) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى مودودى - ص ١٣٦ .

المسجد – المركز الأول للدعوة :

وجعل الأستاذ المودودى المسجد الجامع فى قرية دار الإسلام مركزا للدعوة يلقى فيه خطب الجمعة يبين فيها حقيقة عقائد الإسلام الأساسية وأركانه مع بيان حكمتها وفلسفتها وذلك بأسلوب سهل وجذاب ليفهمها عامة المسلمين بسهولة، فكانت تنشر هذه الخطب فى مجلة ترجمان القرآن الشهرية كما صدرت فى صورة كتاب مستقل فيما بعد(١) .

فى مدينة لاهور :

ولم يمض على هجرة الأستاذ المودوى إلى قرية دار الإسلام إلا عشرة أشهر حينما حصل خلاف بين الأستاذ وزملائه الذين جعلوه مركزا للحركة الإسلامية وبين صاحب الوقف الذى كان يرغب فى جعله مركزا تعليميا ومهنيا للمسلمين . وقرر الأستاذ وزملاؤه أن ينتقلوا إلى مدينة لاهور ويجعلوها مركزا للدعوة(٢) .

محاضر الشرف بالكلية الإسلامية بلاهور :

وبعد أن اتخذ الأستاذ إقامته بمدينة لاهور ، عرض عليه القائمون بالكلية الإسلامية بلاهور أن يكون محاضرا فى الكلية فوافق الأستاذ على ذلك ولكن كمحاضر شرف ، وظل الأستاذ يلقى محاضراته فى الكلية حول مبادىء الإسلام والدعوة لمدة سنة ، ولكن الحكومة لم يعجبها هذا العمل ، واضطر القائمون عليها إلى إلغاء عمله هذا(٣) .

نقد الأستاذ المودودى لسياسة حزب رابطة المسلمين :

كما ذكرنا آنفا أن نقد الأستاذ المودودى للنظرية القومية الوطنية الهندية كان

(١) انظر أسعد جيلانى : تاريخ جماعت إسلامى ج ١ – ص ١٣٤ .
(٢) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى مودودى – ص ١٤٣ – ١٤٤ .
(٣) انظر سيد أحمد حيلانى : تاريخ جماعت إسلامى – حـ ١ ص ٤٥٢ .

له أثر عظيــم فى إنقاذ المسلمين من شباك حزب المؤتمر وانضمامهم إلى حزب رابطة المسلمين وهذا ما اعترف به كثير من قادة حزب الرابطة ومنهم الشيخ ظفر أحمد الأنصارى[1] ، ومنهم السيد شريف الدين بيرزاده الذى يعد اقتراحاته من معالــم الطريق إلى باكستــان[2] ، ولكننا كما أسلفنا أن الأستاذ المودودى وزملاءه اتخذوا إحياء الحركة الإسلامية وإقامة الحكومة الإسلامية على منهاج الخلافة الراشدة هدفا لهم وأما حزب رابطة المسلمين الذى كان هدفه إقامة دولة المسلمين القومية فى المناطق فيها أكثريتهم كان حزبا سياسيا فحسب ، وكان أكثر قادته وأعضائه ذو ثقافة إنكليزية ولم يعرفوا شيئا عن الإسلام ولم يظهر أى أثر منـه فى حياتهم الشخصية فكان من الواضح أنهم لن يقدروا على إقامة الحكومة الإسلامية على منهـج الخلافة الراشدة إلا أن يستعدوا لها ولكن مع الأسف لم تكن لديهم أية فكرة عن هذا الاستعداد فرأى الأستاذ ضرورة عرض الطريق الصحيح عليهم لإقامة الحكومة الإسلامية على منهـج الخلافة الراشدة بالأدلة من القرآن والسنة والبراهين العقلية القوية ، وبدأ يكتب فى مجلته الحلقات المتتالية فى هذا الموضوع[3] ، وصدرت هذه الحلقات فى صورة كتاب مستقل تحت عنوان « المسلمون والصراع السياسى الحاضر » (الجزء الثالث) فيما بعد وهذا الكتاب قد اهتم الأستاذ فيه ببيان الفرق بين الإسلام الحقيقى والإسـلام الجغرافى وبين الحركة الإسلامية وأحـزاب المسلمين السياسية هذا والكتب الأخرى التى ألفها الأستاذ خلال تلك الأيام هى :

١ – نظرة فاحصة على العبادات الإسلامية (١٩٣٩) .

٢ – موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه (١٩٤٠) .

٣ – المصطلحات الأربعة فى القرآن (١٩٤١) .

---

(١) هو الشيخ ظفر أحمد الأنصارى قد اشتغل كالأمين العام المساعد لحزب الرابطة وقد اختير عضوا للمجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى وله دور هام فى إصدار قرار المبادىء لدولة الباكستان الإسلامية كما له دور بارز فى صوغ مبادىء أساسية للدولة الإسلامية التى قدمها العلماء عام ١٩٥١ وهو تناول الموضوع فى مقالته « نشأة باكستان والعلماء » صدرت فى مجلة جراغ راه الشهرية عدد خاص عن نظرية باكستان الأساسية ص ٢٣٣ .

(٢) انظر السيد / شريف الدين بيرزادة : « نشأة باكستان » ص ٣١٠ .

(٣) انظر الأستاذ مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ، ص ٢٤٨ – ٢٥٥ .

وذلك ماعدا المحاضرات التى ألقاها الأستاذ المودودى خلال هذه المدة والتى صدرت فيما بعد فى صورة كتيبات مستقلة وهى كالآتى :

١ – الجهاد فى سبيل الله (أبريل عام ١٩٣٩) .

٢ – نظرية الإسلام السياسية (أكتوبر عام ١٩٣٦) .

٣ – كيف تقام الحكومة الإسلامية (سبتمبر عام ١٩٤٠) .

٤ – منهج جديد للتعليم والتربية (ديسمبر عام ١٩٤٠) .

٥ – الإسلام والجاهلية (فبراير عام ١٩٤١) .

٦ – معضلات الإنسان الاقتصادية وحلها فى الإسلام (عام ١٩٤١)(١) .

تأسيس الجماعة الإسلامية :

وبعد أن استمر الأستاذ المودودى فى نشر الدعوة الإسلامية عن طريق مجلته « ترجمان القرآن » الشهرية وكتبه ومحاضراته لأكثر من ثمان سنوات وتأثر عدد غير قليل من العلماء والمثقفين الجدد من دعوته فقام بتوجيه دعوته إليهم لتأسيس الجماعة الإسلامية وفى أول شعبان عام ١٣٦٠ هـ الموافق ٢٥ من أغسطس عام ١٩٤١ م اجتمع خمسة وسبعون شخصا واتفقوا على تأسيس الجماعة الإسلامية لمواصلة الحركة الإسلامية ، وفى ٢ من شعبان عام ١٣٦٠ هـ الموافق ٢٦ من أغسطس عام ١٩٤١ م تأسست الجماعة الإسلامية واختير الأستاذ المودودى أميرا لها(٢) . وجدير بالذكر أن الجماعة الإسلامية لم تكن جماعة سياسية أو جمعية دينية بالمعنى العام ، بل حركة إسلامية بمفهومها الشامل تؤمن بالإسلام كدعوة عالمية شاملة للحياة الإنسانية ، وتريد تنفيذه فى كل دائرة من دوائر الحياة الإنسانية(٣) .

التركيز على التكوين والتربية :

وتعتبر الفترة ما بين عام ١٩٤١ م وعام ١٩٤٧ م فترة التكوين والتربية

---

(١) انظر الأستاذ المودودى : جماعت إسلامى كامقصد ، تاريخ أور لائحة عمل ص ٢٧ .

(٢) انظر سيد أسعد جيلانى : تاريخ جماعت إسلامى – جـ ١ ص ١٦٥ – ١٦٦ .

(٣) انظر الأستاد حليل أحمد الحامدى : نظرة عابرة على الجماعة الإسلامية بباكستان ص ٦ .

للجماعة الإسلامية ، فركز الأستاذ على ثلاثة أمور خلال تلك الفترة وهى :

أولا : إعداد الرجال الذين يحملون لواء الحركة الإسلامية أن يتميزوا بالقوة والصمود مهما تكن الظروف قاسية ، وأن يجعلوا حياتهم ومواردهم وقفا لنشر الدعوة الإسلامية وإقامة النظام الإسلامى .

ثانيا : تنظيم الجماعة على أقوى الأسس لكى تتمكن من مواجهة الأوضاع الراهنة فى سبيل الدعوة .

ثالثا : إعداد الكتب القيمة الإسلامية عن كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية فى أسلوب عصرى متين[1] .

فكرة تأليف « تفهيم القرآن » :

وجدير بالذكر أن هذا التركيز على التكوين والتربية جعل الأستاذ يفكر بأنه مهما يبذل جهوده فى سبيل الدعوة بقلمه ولسانه لن ينجح فيه إلا إذا جعل القرآن الكريم و سيلة للوصول إلى ذلك الهدف القيم ، وهذا ما حمله أن يقوم بتفسير القرآن فى فبراير عام ١٩٤٢ م ، أى بعد ستة أشهر من تأسيس الجماعة الإسلامية[2] .

قرية « دار الإسلام » مقرا جديدا للجماعة الإسلامية :

وفى يونيو عام ١٩٤٢ م انتقل المقر الرئيسى للجماعة الإسلامية من لاهور إلى دار الإسلام وذلك بالموافقة مع صاحب الوقف[3] . وهذا المقر الجديد ، لكونه بعيدا عن المدن ووسائل الحضارة الحديثة ومفاسدها كان مناسبا لتكوين أعضاء الجماعة الإسلامية وتربيتهم علميا وعمليا فاستغلت الجماعة تلك الفرصة السعيدة لتحقيق ذلك الهدف وكان بفضل تلك التربية والاستعداد أن تمكنت الجماعة من مواجهة التحديات التى واجهتها فيما بعد وكان خلال تلك الفترة أن ألقى الأستاذ عدد من المحاضرات فى المؤتمرات السنوية للجماعة أو المناسبات

---

(١) الأستاذ خليل أحمد الحامدى . نظرة عابرة على الجماعة الإسلامية باكستان ص ٨ .

(٢) انظر مجلة « آئين » الأسبوعية · لاهور عدد خاص فى مناسبة إكمال تفهيم القرآن ص ١١٥ .

(٣) سيد أسعد جيلانى · تاريخ جماعت إسلامى ج ١ – ص ١٩٢ .

الأخرى ، ركز فيها على التكوين والتربية ، وقد صدرت هذه المحاضرات بصورة الكتب المستقلة فيما بعد ، وأهمها هى :

١ - طريق السلام .

٢- الدين القيم .

٣- الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية .

٤- الجهاد فى سبيل الله .

٥- شهادة الحق .

٦- الدعوة الإسلامية ومتطلباتها .

٧- دعوة الجماعة الإسلامية .

٨- الصلاح والفساد .

٩- عقوبة المرتد فى الإسلام[١] .

استقلال البلاد وتقسيم الجماعة الإسلامية إلى شطرين :

وفى أغسطس عام ١٩٤٧ م وافق الاستعمار على تحرير البلاد ، وتقسيمها إلى دولتين مستقلتين وذلك تلبية لمطالبة حزب المؤتمر الهندى وحزب رابطة المسلمين فأنشئت الدولة الهندية وجمهورية باكستان الإسلامية ، فانقسمت الجماعة الإسلامية إلى ثلاث جماعات وهى : الجماعة الإسلامية بباكستان ، والجماعة الإسلامية بالهند ، والجماعة الإسلامية بولاية جامو وكشمير[٢] .

الجماعة الإسلامية بالهند ومواجهة التحديات للإسلام والمسلمين :

دخل الإسلام والمسلمون فى الهند بعد تقسيم البلاد فى متاعب ومشاكل لا نهاية لها فقامت الجماعة الإسلامية بالهند لمواجهة تلك التحديات وذلك بالدعوة والتبليغ فى المسلمين وغير المسلمين معا ، وبنشر الكتب والمجلات والجرائد بلغات الهند المختلفة وبإنشاء المدارس والمعاهد وبتنظيم وتربية العاملين فى مجال الدعوة ،

---

(١) انظر الأستاذ المودودى : جماعت إسلامى كامقصد تاريخ أور لائحة عمل ص ٣٩ .

(٢) انظر الأستاذ المودودى : جماعت إسلامى كى ٢٩ سال ص ٥٢ .

وبتوعية عامة المسلمين وبترجمة القرآن الكريم والكتب الإسلامية فى لغات الهند المختلفة وببذل الجهود لاتحاد المسلمين وما إلى ذلك[١] . وأما الجماعة الإسلامية بولاية جامو وكشمير فاختارت لها نفس المنهج لكون ظروفها نفس الظروف التى تواجهها الجماعة الإسلامية بالهند[٢] .

الجماعة الإسلامية بباكستان والجهاد لإقامة الحكومة الإسلامية :

وأما فى باكستان فمن المؤسف أن بعد وفاة مؤسس باكستان محمد على جناح عام ١٩٤٨ م بدأ قادة باكستان يظهرون الآراء المتضاربة حول منهج الحكم فى باكستان مع أنه كان من المقرر أن يكون الإسلام هو منهج الحكم فى الدولة المسلمة الجديدة ، وجدير بالذكر أن الشيوعيين من المسلمين الذين قد انضموا إلى حزب رابطة المسلمين فى السنوات الأخيرة لحركة إنشاء باكستان لتحقيق أهدافهم الشنيعة بدأوا مؤامراتهم ضد النظام الإسلامى فى باكستان ومعهم عملاء الاستعمار المتفرنجون والقاديانيون ومنكرو السنة فقامت الجماعة الإسلامية بباكستان بمطالبة وضع الدستور الإسلامى وتطبيق القوانين الإسلامية وإلغاء القوانين التى تخالف القرآن والسنة[٣] .

الاتهامات والأكاذيب والسجون :

لم تعجب الحكومة تلك المطالبات فخططت للقضاء عليها فعملت على ترويج الإشاعات والأكاذيب ضد الجماعة منها الاتهام الصريح أن الأستاذ المودودى يحرم الجهاد لتحرير كشمير المسلمة[٤]، بينما الحقيقة عكس ذلك فقد طالب الأستاذ من الحكومة أن تعلن الجهاد لتحرير كشمير المسلمة فورا حتى يستطيع مسلمو باكستان مد يد المساعدة إلى إخوانهم المجاهدين فى كشمير[٥] ، فحاول أن

---

(١) انظر تقرير عن أنشطة الجماعة الإسلامية بالهند الذى قدمه الأستاذ أفضل حسين الأمين العام للجماعة فى مؤتمرها السنوى لعام ١٩٨٠ الميلادى .

(٢) أخبرنى عن هذا الشيخ سعد الدين أمير الجماعة الإسلامية السابق بولاية جامو وكشمير المحتلة.

(٣) انظر الأستاذ المودودى : تحريك إسلامى كاآئيده لائحة عمل ص ١٤٥ .

(٤) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى مودودى – ص ٢٢٣ – ٢٢٦ .

(٥) انظر المرجع السابق : ص ٢٢٥ .

يوضح تلك الحقيقة عن طريق الجرائد والإذاعة ولكن الحكومة لم تسمح للجرائد أن تنشر بيانه ولا للإذاعة أن تذيعه لأنها لم يهمها الجهاد لتحرير كشمير بل كان يهمها القضاء على الحركة التى قد بدأت لتطبيق النظام الإسلامى فى باكستان وألقى القبض على الأستاذ المودودى وزملائه فى ٤ أكتوبر عام ١٩٤٨ م ولم يطلق سراحهم إلا بعد عشرين شهراً[١] .

إصدار قرار المبادىء لدولة باكستان الإسلامية :

ولكن بالرغم من اعتقال الأستاذ المودودى استمرت الحركة لتطبيق النظام الإسلامى حتى اضطرت الحكومة إلى الموافقة أن يقوم المجلس التأسيسى للدولة بإصدار القرار المعروف بقرار المبادىء . ويفيد هذا القرار أن « الحكم فى باكستان لله سبحانه وتعالى وأن الحكومة ملتزمة بتطبيق ما يريد الحاكم الأعلى وهو الله سبحانه وتعالى» ولا يزال هذا القرار يعتبر أساسا لدولة الباكستانية حتى اليوم . وجدير بالذكر أن مشروع القرار عرض الأستاذ فى السجن بطريق سرى لأخذ الموافقة منه[٢] .

اتفاق العلماء والمشايخ على مبادىء أساسية للدولة الإسلامية :

وفى سبتمبر عام ١٩٥٠ م صدرت توصيات المجلس التأسيسى لمبادىء الدولة وكانت منافية للروح الإسلامى ومتناقضة لقرار المبادىء فقام الأستاذ المودودى والعلماء الآخرون باستنكار تلك التوصيات بكل قوة وصراحة ، واضطرت الحكومة إلى سحبها وجاءت بالمؤامرة الأخرى فطلبت من العلماء أن يقدموا مبادىء أساسية للدولة الإسلامية حيث لا تكون محل خلاف بين الفرق الدينية المختلفة ولعلها كانت تظن أن مادام العلماء يمثلون الفرق الدينية المختلفة فى باكستان ، لن يتفقوا على تلك المبادىء إطلاقا . فذلك سيكون دليلا قاطعا لإقامة الدولة العلمانية ولكن وفق الله العلماء الذين يمثلون الفرق الدينية المختلفة فى

---

(١) انظر أحمد إدريس : أبو الأعلى المودودى – صفحات من حياته وجهاده – ص ٥٤ – ٥٧ .

(٢) الأستاذ خليل أحمد الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ، دعوته وجهاده ص ٥٨ ، ٥٩ .

باكستان – أن يجتمعوا تحت رئاسة الشيخ سيد سليمان الندوى[1] ويتفقوا على اثنين وعشرين مبدأ أساسيا للدولة الإسلامية وكان للأستاذ المودودى دور هام فى صوغ تلك المبادىء[2] .

فى مجال الانتخابات :

ثم أعلنت الحكومة إجراء الانتخابات فى منطقة بنجاب فى مارس عام ١٩٥١ م فقررت الجماعة أن تخوض معركة الانتخابات ولكن هذا القرار لم يعجب المتفرنجون والعلمانيون والشيوعيون فى الحكومة وذلك لأنهم كانوا يخافون من إقامة النظام الإسلامى أشد خوفٍ فبدأوا يخططون المخططات والمؤامرات لمضايقة الأستاذ المودودى وتقليل قيمته فى أعين الناس وذلك بافتراء الاتهامات والأكاذيب عن طريق الصحفيين المأجورين بأن المودودى كان معاديا لفكرة باكستان وعن طريق عملاء الاستعمار السوفيتى والأمريكى بأنه عميل أمريكى وعن طريق رجال الدين الرسميين بأن المودودى لم يحصل على الشهادة الرسمية فى العلوم الدينية ، فلهذا آراؤه الدينية لا تساوى شيئا وعن طريق المتفرنجين والاشتراكيين بأنه رجعى وكانت تلك الأكاذيب والاتهامات تنشر فى الصحف الحكومية وتذاع من الإذاعة . وجدير بالذكر بأنه كان للقاديانيين والشيوعيين دور كبير فى تلك الحملات العدائية وكان من حسن حظ الحكومة أن اتحدت الأحزاب السياسية والدينية لمخالفة الجماعة الإسلامية فى الانتخابات فلم تتمكن الجماعة من الفوز ولكنها تمكنت بعون الله تعالى من إبلاغ رسالتها إلى الشعب خلال حملتها الانتخابية[3] .

---

(١) هو الشيخ سيد سليمان الندوى : (المولود عام ١٣٠٢ هـ) العالم الكبير قد تعلم فى المعهد الدينى الشهير (ندوة العلماء) بالهند ثم عمل فيه أستاذا لمدة طويلة ثم هاجر إلى باكستان بعد استقلال البلاد وله عدة من الكتب القيمة فى الموضوعات الدينية المختلفة أهمها كتابه الشهير فى السيرة النبوية « سيرة النبى ﷺ » . (نزهة الخواطر حـ ٨ ، ص ١٦٣ – ١٦٨) .

(٢) انظر المستشرق الإنكليزى بائندر : .Region and Politics in Pakistan Page: 120 .

(٣) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى المودودى – ص ٢٥٠ – ٢٥٢ .

المؤتمر العام للجماعة الإسلامية لعام ١٩٥١ الميلادى :

قرر مجلس الشورى للجماعة الإسلامية بباكستان أن يقوم المؤتمر العام للجماعة فى مدينة (كراتشى) من ١٠ - ١٣ من نوفمبر عام ١٩٥١ م ، وذلك للاعتماد على المنهج العملى الذى اختارته الجماعة بعد استقلال البلاد والمحاضرات التى ألقاها الأستاذ فى ذلك المؤتمر تضم معالم السياسة التى اختارتها الجماعة لمواصلة جهادها لإقامة الدولة الإسلامية وانتشار دعوتها وتربية أعضائها وقد صدرت هذه المحاضرات فيما بعد بصورة الكتيبات المستقلة وهى :

١ - شئون باكستان الداخلية والخارجية .

٢ - واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم .

٣ - الصفات اللازمة للعاملين فى مجال الدعوة(١) .

والكتب الأخرى التى صدرت خلال تلك الفترة هى :

١ - نظام الحياة فى الإسلام .

٢ - القانون الإسلامى وطرق تنفيذه فى باكستان .

٣ - حقوق أهل الذمة فى الإسلام .

٤ - الربا(٢) .

الأستاذ يتصدى للتحدى :

وفى تلك الآونة قام المحامى الشهير السيد / أ . ك . بروهى بالتحدى أن « من استطاع أن يثبت لى أن القرآن يشمل مبادىء دستورية فله جائزة خمسة آلاف روبية » فظنت الحكومة أن الرجل سيخدم أهدافها الشنيعة فى إقامة الدولة العلمانية واختارته وزيرا للقانون . ورأى الأستاذ ضرورة أن يقوم

---

(١) انظر تقرير عن الجماعة الإسلامية بباكستان : الجزء السادس ، ص ٩٥ - ١٧٠ ، ص ٤١ ، ٣٤٧ ، ٤١٩ .

(٢) انظر الأستاذ المودودى : جماعت إسلامى كامقصد - تاريخ أور لائحة عمل ص ٧٧ .

بالقضاء على تلك المؤامرة فألف كتابه الشهير « أسس الدستور الإسلامى فى القرآن » كما ألقى محاضرة فى عاصمة البلاد آنذاك «كراتشى» بعنوان « تدوين الدستور الإسلامى » وبين فيها طريقة تدوين الدستور الإسلامى فلما بلغ السيد / بروهى كتاب الأستاذ المودودى « أسس الدستور الإسلامى فى القرآن » قام بإعلان اقتناعه بأن القرآن كتاب هداية فى جميع نواحى الحياة وأن فيه مبادىء دستورية تقام عليها الدولة فى العصر الحديث كما وفقه الله تعالى أن يقدم فيما بعد فى المجلس التأسيسى مشروعا دستوريا موافقا للدستور الإسلامى[1] ، وهكذا قدر الله أن تخيب تلك المؤامرة ويعترف السيد / بروهى بفضل الأستاذ المودودى هذا حيث يقول : « إنه قد عمل فى باكستان مالم يستطع أن يعمل أى حزب من الأحزاب وعلى الشعب الباكستانى كله أن يعترف له بهذا الجميل »[2] .

المطالبة بتطبيق الدستور الإسلامى :

وفى مايو ١٩٥٢ م حمل الأستاذ المودودى لواء المطالبة بتطبيق الدستور الإسلامى وذلك بالقيام بجولات فى البلاد من شرقها إلى غربها فكان يلقى المحاضرات فى المؤتمرات الجماهيرية ، وتلك المحاضرات كانت تختم باقتراحات هامة لتنفيذ الدستور الإسلامى كما أن الجماعة الإسلامية بدأت تأخذ التوقيعات من الشعب فى تأييد الدستور الإسلامى وقد بلغت أوراق التوقيعات من الكثرة بحيث أنها إذا ألصقت بعضها ببعض لبلغت أكثر من عشرين كيلو مترا ، وقدمت تلك الأوراق إلى المجلس التأسيسى وذلك فضلا عن مئات الآلاف من البرقيات والرسائل التى أرسلت إليها ، حتى اضطرت الحكومة إلى الإعلان بأنها ستقدم التوصيات الدستورية فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٥٢ م[3] وفى ٢١ نوفمبر عام ١٩٥٢ م أى قبل يوم واحد من الموعد خرجت فى كراتشى – عاصمة البلاد آنذاك – مظاهرة إسلامية كبيرة كان يقودها الأستاذ المودودى حيث كان المتظاهرون يهتفون بالمطالبة بالدستور الإسلامى ويرفعون اللافتات التى كتبت

---

(١) انظر الأستاذ حليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ، دعوته ، جهاده ص ٥٩ .

(٢) انظر المرجع السابق : ص ٥٩ .

(٣) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى مودودى ص ٢٥٦ .

عليها عبارات المطالبة بالدستور الإسلامى فاضطرت الحكومة إلى تأجيل إعلان التوصيات لكونها غير إسلامية ثم أتت فى ديسمبر عام ١٩٥٢ م بالتوصيات الدستورية الجديدة التى تضم بعض مبادىء الدستورية التى وضعها العلماء[١] .

الحكم بالإعدام :

وفى بداية عام ١٩٥٣ م قام المسلمون فى منطقة بنجاب بمطالبة الحكومة باعتبار القاديانيين أقلية غير مسلمة فبدأت اشتباكات عنيفة بين المسلمين والقاديانيين حيث استشهد فيها مئات من المسلمين وفى ذلك الوقت ألف الأستاذ المودودى كتيبه الشهير « المسألة القاديانية » كشف فيه عن عقائد هذه النحلة الضالة ومؤامرتها ضد الإسلام والمسلمين فاغتنمت الحكومة تلك الفرصة للقضاء على الدستور الإسلامى من ناحية والقضاء على الرجل الذى كان يقود حركة التطبيق للدستور الإسلامى من ناحية أخرى وكان رئيس باكستان آنذاك السيد / غلام محمد وكان معروفا بميوله اللادينية ، وأمر بتشكيل محكمة عسكرية خاصة للحكم على الأستاذ المودودى ، وجعلها تصدر القرار بإعدام الأستاذ المودودى لتأليف كتابه « المسألة القاديانية »[٢] .

لا أسترحم أحدا سوى الله :

وجدير بالذكر أنه حينما جاءه مأمور السجن ليبلغه هذا القرار سمعه بالهدوء والوقار اللذين يليقان بالداعية وكان القرار يسمح له أن يقدم التماسا للعفو ولكنه رفض تقديم الالتماس بالعفو ، وقال : « لا أسترحم أحدا سوى الله لأن أحكام الموت لا تصدر فى الأرض وإنما تصدر من السماء » . ثم قال الأستاذ متوجها إلى زملائه : « لا يقدم أحدكم التماسا للعفو ، لا والدتى ولا أخى ولا زوجتى ولا أحد من أولادى وأرجو كذلك من زملائى... أن لا يقدموا لأجلى التماسا للعفو »[٣] .

---

(١) انظر المرجع السابق : ص ٢٥٦ – ٢٥٩ .
(٢) انظر أحمد إدريس : أبو الأعلى المودودى – صفحات من حياته وجهاده ص ٦٣ – ٦٥ .
(٣) انظر مجلة « جراغ راه » الشهرية : كراتشى ، لشهر أكتوبر عام ١٩٥٣ م من ص ٧٢ ، ٩٨ ،
١١٠ .

استنكار العالم الإسلامى لحكم الإعدام :

وظهر رد الفعل فى صورة برقيات الاستنكار من سائر أنحاء العالم الإسلامى وكلها تستنكر وتطلب من الحكومة سحب هذا الحكم على الفور وكان من الذين أرسلو برقيات الاستنكار من العالم الإسلامى الشيخ / محمد بشير إبراهيمى الجزائرى والشيخ / أمين الحسينى مفتى فلسطين الأعظم ورئيس المؤتمر الإسلامى والشيخ / أمجد الزهاوى إمام أهل السنة والجماعة فى العراق وآية الله محمد الخالص مجتهد الشيعة الأعظم فى العراق والشيخ / عيسى الأنصارى نيابة عن الأحزاب الإسلامية فى أندونسيا ، والإخوان المسلمون من مصر ، والمسلمون المقيمون فى إنجلترا ، كما انتشرت المقالات الخاصة فى الصحف الإسلامية . وهكذا اضطرت الحكومة أن تغير حكم الإعدام إلى حكم السجن المؤبد[١] ، ولكن قدر الله أن يطلق سراحه بعد ما قضى فى السجن ثلاث سنوات ، وذلك حسب قرار المحكمة العليا بلاهور فى يناير عام ١٩٥٦ م[٢] .

الدستور الإسلامى الجديد للبلاد :

وفى أغسطس عام ١٩٥٥ م أصبح السيد / الشودرى محمد على رئيسا للوزراء وكان يشتهر بميوله الإسلامية كما كانت له صلة بالأستاذ المودودى وذلك بعد أن أوصاه الشاعر الإسلامى الكبير الدكتور / محمد إقبال أن يطالع كتاب « الجهاد فى الإسلام »[٣] فبذل جهوده لتدوين الدستور الإسلامى وفى عام ١٩٥٦ م وفقه الله أن يعطى البلاد الدستور الإسلامى الشامل الذى رحبت به كافة طبقات الشعب وقال الأستاذ المودودى فى تصريح له : « نبدأ اليوم حياة جديدة، حياة شعب حر ، شعب قد قرر بلسان ممثليه أن الحكم فى باكستان لله عز وجل وأن السلطة أمانة من الله فى عنقه لا يزاولها إلا فى حدود وضعها الله سبحانه ورسوله ﷺ فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله »[٤] .

---

(١) انظر أسعد كيلانى : سيد مودودى ، بجين ، جواني برهابا ص ١١٦ - ١١٨ .
(٢) انظر أحمد إدريس : أبو الأعلى المودودى · صفحات من حياته وجهاده ، ص ٦٦ .
(٣) انظر الشودرى عبد الرحمن عيد : سيد أبو الأعلى مودودى ص ٢٦٧ .
(٤) الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى -- حياته ، دعوته جهاده ص ٦٥ .

حضور الأستاذ فى مؤتمر العالم الإسلامى بدمشق وأداء فريضة الحج :

وفى يونيو عام ١٩٥٦ م تلقى الأستاذ المودودى الدعوة من قبل مؤتمر العالم الإسلامى بدمشق لحضور جلسات المؤتمر هناك وسافر الأستاذ إلى سوريا لحضور المؤتمر والتقى بزعماء الحركات الإسلامية فى أقطار العالم وبعد انتهاء المؤتمر سافر الأستاذ إلى الأردن ليلتقى بالعاملين فى مجال الدعوة هناك ثم توجه إلى الحرمين الشريفين ليؤدى فريضة الحج ويتشرف بزيارة المسجد النبوى الشريف[١] .

اعتماد أعضاء الجماعة على منهج عملها :

وفى فبراير عام ١٩٥٧ م انعقد مؤتمر هام لأعضاء الجماعة الإسلامية فى قرية « ماجى كوت » بلوأبها ولبور ، وذلك لكى يعتمد أعضاء الجماعة المنهج الذى اختارته الجماعة فى مواصلة جهادها لإقامة النظام الإسلامى ، فوافق المؤتمر على القرار الذى قدمه الأستاذ المودودى حول منهج الجماعة فى مجال الدعوة إلا أنه خالفه فيه خمسة عشر عضوا من تسعمائة وعشرين عضوا وقد صدر هذا القرار وتعليق الأستاذ عليه فيما بعد فى صورة كتاب مستقل تحت عنوان « الحركة الإسلامية ومنهجها للمستقبل »[٢] .

الإنقلاب العسكرى لعام ١٩٥٨ م وإلغاء الدستور الإسلامى :

وكان من سوء حظ مسلمى باكستان أنه قبل أن يطبق ذلك الدستور الإسلامى فى البلاد قام المتفرنجون واللادينيون والشيوعيون فى الحكومة والسياسة بمؤامرة القضاء على حكومة رئيس الوزراء الشودرى محمد على واختير السيد/ شهيد السهروردى كرئيس الوزراء إلا أن حكومته لم تستمر لأكثر من تسعة أشهر وحل محله السيد / إسماعيل جند ريكر ثم اختير السيد / فيروز خان نون كرئيس جديد للوزراء ، وهكذا أصبحت الحكومة لعبة فى أيدى السياسين

---

(١) انظر أحمد إدريس : أبو الأعلى المودودى – صفحات من حياته وجهاده ص ٦٨ .

(٢) انظر الأستاذ المودودى : مقدمة الكتاب « تحريك إسلامى كاآئينده لائحة عمل » .

اللادينيين ، وخلال تلك الآونة قام رئيس الأركان آنذاك الجنرال أيوب خان بالانقلاب العسكرى فى البلاد وأعلن إلغاء الدستور والبرلمان والأحزاب السياسية[1] .

بصيرة الأستاذ السياسية :

وجدير بالذكر أن الأستاذ المودودى كان لبصيرته السياسية حيث تنبأ بهذا الانقلاب قبل بضع ساعات خلال محاضرته فى مؤتمر الجماهير فى لاهور حيث قال : « إن الوضع فى باكستان الآن قد ساء إلى حد أننا لا نستبعد أن نستيقظ من نومنا فى الصباح لنجد انقلابا عسكريا قد وقع واعتلى السلطة حاكم يجمع كل أعنة الحكم فى يديه »[2] .

رحلة الأستاذ إلى أرض القرآن :

وفى ٣ نوفمبر عام ١٩٥٩ م قام الأستاذ المودودى بالرحلة إلى أرض القرآن ليشاهد الأماكن التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم أو كتب السيرة وذلك ليتمكن الأستاذ من فهم الآيات التى ورد فيها ذكر هذه الأماكن فهما جيدا ومن ثم يتمكن من تفسيرها وتفهيمها بخرائط هذه الأماكن وصورها كما نراها فى تفسيره اليوم . ورحلته هذه تمتد من ٣ نوفمبر عام ١٩٥٩ إلى ٥ فبراير عام ١٩٦٠ م وشاهد الأستاذ خلالها الأماكن التى تقع فى المملكة العربية السعودية والمملكة الأردينة الهاشمية ، وفلسطين ، وسوريا ، وجمهورية مصر العربية ، إلا أنه لم يتمكن من الحصول على التأشيرة للعراق[3] .

الاستفتاء حول الدستور الجديد للبلاد :

وفى عام ١٩٦١ م عين أيوب خان لجنة دستورية لتشكيل الدستور الجديد

---

(١) انظر السيد شهاب الدين رئيس مجلس القضاء الأعلى الأسبق : مقالته صدرت فى مجلة «أردو دائجست » الشهرية لشهر أغسطس عام ١٩٧٩ ص ٧٢ .

(٢) أحمد إدريس : أبو الأعلى المودودى – صفحات من حياته وجهاده ص ٧٢ .

(٣) انظر للتفصيل الأستاذ عاصم الحداد : سفرنامة أرض القرآن .

وذلك برئاسة السيد / شهاب الدين عضو مجلس القضاء الأعلى آنذاك[1] فقامت اللجنة بطرح الاستفتاء حول الدستور الجديد للبلاد وأجاب الأستاذ المودودى على أسئلة الاستفتاء إجابات مفصلة مؤيدا بالأدلة العقلية والقانونية والبراهين من الكتاب والسنة[2] .

والحقيقة أن تشكيل اللجنة الدستورية ونشر أسئلة الاستفتاء حول الدستور لم تكن إلا طريقة روتينية . وقد قررت أن تأتى بالدستور العلمانى لحكومة الدكتاتورى وجاءت به فعلا فى مارس عام ١٩٦٢ م[3] وقد غير فيه اسم البلاد إلى «دولة باكستان» بدلا عن «جمهورية باكستان الإسلامية» كما تركزت السلطة فى أيدى الدكتاتور الرئيس الذى كان ينتخب عن طريق ثمانين ألف شخص اختيروا من سكان البلاد البالغ عددهم مائة وعشرين مليونا[4] .

عضوية مجلس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة :

وفى عام ١٩٦١ م تلقى الأستاذ المودودى الدعوة من قبل حكومة المملكة العربية السعودية ليعرض عليها مشروع إنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وسافر الأستاذ إلى الرياض فى ديسمبر عام ١٩٦١ م وعرض المشروع على القائمين بالجامعة وناقش الموضوع معهم حتى تم الاتفاق على المنهج الدراسى والتربوى فى الجامعة واختير الأستاذ عضوا لمجلس الجامعة[5]

عضوية المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى :

وفى عام ١٩٦٢ م تلقى الأستاذ المودودى دعوة أخرى من قبل حكومة المملكة العربية السعودية لحضور مؤتمر العالم الإسلامى بمكة المكرمة . وفى

---

(١) انظر السيد / شهاب الدين : رئيس اللجنة الدستورية – مقالة نشرت فى مجلة « أردو دائجبست » الشهرية لشهر أغسطس عام ١٩٧٩ م ص ٧٣ .

(٢) انظر أحمد إدريس : أبو الأعلى المودودى – صفحات من حياته وجهاده ، ص ٧٨ .

(٣) انظر السيد / شهاب الدين : رئيس اللجنة الدستورية ، مقالة نشرت فى مجلة أردود ائجست « الشهرية لشهر أغسطس عام ١٩٧٩ م ص ٧٤ .

(٤) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى مودودى – ص ٣١٠ .

(٥) المرجع السابق : ص ٢٩٣ .

١٨ من مايو عام ١٩٦٢م سافر الأستاذ إلى المملكة العربية السعودية لحضور ذلك المؤتمر وألقى فيه محاضرة قيمة بعنوان « العدالة الاجتماعية فى الإسلام » ثم قرر المؤتمر تأسيس رابطة العالم الإسلامى لمواجهة التحديات والمؤامرات التى يواجهها الإسلام والمسلمون واختير الأستاذ عضوا للمجلس التأسيسى للرابطة[١] .

رفع القيود عن الأحزاب السياسية :

وفى يوليو عام ١٩٦٢ م اضطرت الحكومة إلى رفع القيود عن أنشطة الأحزاب السياسية فكانت الجماعة الإسلامية أول جماعة بدأت أنشطتها السياسية وذلك خلال أربع وعشرين ساعة فحسب[٢] وكان ذلك غير عادى فى تاريخ الأحزاب السياسية فى باكستان .

أساليب الحكومة لمضايقة الأستاذ المودودى :

وكانت الحكومة تراقب أنشطة الجماعة الإسلامية منذ رفع القيود وكانت ترى أن استمرار الجماعة ونجاحها فى مجال السياسة يعرقل الحكومة فى تحقيق أهدافها ولهذا استخدمت الطرق القديمة للقضاء عليها . فبدأت تنشر الإشاعات والأكاذيب والاتهامات ضد الجماعة الإسلامية وأميرها بواسطة عملائها من الشيوعيين والعلمانيين والمتفرنجين والقاديانيين ومنكرى السنة النبوية والعلماء الرسميين والصحفيين المأجورين وذلك عن طريق الصحف والجرائد والإذاعة معا[٣] .

المؤتمر العام للجماعة الإسلامية لعام ١٩٦٣ م :

وفى تلك الفترة قرر مجلس الشورى المركزى للجماعة الإسلامية أن يقيم المؤتمر العام للجماعة فى أكتوبر عام ١٩٦٣ م فى مدينة « لاهور » واختار لجنة خاصة للاهتمام بهذا المؤتمر فقدموا الطلب بالموافقة لاستخدام « حديقة

---

(١) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى مودودى – ص ٢٩٦ – ٢٩٧ .
(٢) أحمد إدريس : أبو الأعلى المودودى – صفحات من حياته وجهاده ص ٧٩ .
(٣) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى مودودى – ص ٣١٩ – ٣٢١ .

إقبال » لعقد المؤتمر وذلك قبل حوالى شهرين من موعد المؤتمر ، ولكن بعد حوالى شهر ونصف اعتذرت الحكومة وحينما لم يبق على موعد المؤتمر إلا أسبوعين وافقت بلدية لاهور على السماح بعقد المؤتمر فى أحد الميادين الصغيرة القريبة من مسجد سيد على الهجويرى وقد قام أعضاء الجماعة بإعداد المكان بكل ما يلزم من مقاعد وسرادق وكهرباء وأماكن للأكل والصلاة والمتطلبات الأخرى. كما تقدموا بطلب للموافقة على استخدام مكبر الصوت ولكن الحكومة رفضت . ولم يكن هناك أى سبب للرفض سوى أن الحكومة لم يعجبها انعقاد المؤتمر ذاته .

مواجهة مشكلة مكبر الصوت :

فقررت الجماعة أن تواجه تلك المشكلة باستخدام طريقة قديمة للتبليغ وهى طريق المكبرين وحينما بدأ المؤتمر فى صباح ٢٥ من أكتوبر عام ١٩٦٣ م قام الأستاذ المودودى ليلقى خطابه الافتتاحى وكان الأستاذ المودودى يلقى خطابه كلمة كلمة وكان المكبرون يتناولونها متناوبين ويبلغونها إلى آخر الصفوف[1] وما هذا إلا دليل على أن الموانع والعراقيل لا تقدر أن تصد طريق الداعية الحكيم .

من الذى يبقى واقفا لو جلست أنا :

وحينما رأت الحكومة أن مؤامراتها لمنع المؤتمر لم تنجح قامت بمؤامرة جديدة ، فجاءت بجماعة من المشاغبين وزودتهم بالأسلحة فدخلوا المخيم تحت رعاية رجال الشرطة وبعد حوالى ١٢ دقيقة من بدء الخطاب قام المشاغبون يهتفون ضد الأستاذ المودودى والجماعة الإسلامية فأخذوا يطلقون النار نحو المنصة التى كان الأستاذ يقف عليها فنصحه بعض زملائه أن يجلس ولكنه رفض وقال : « من الذى يبقى واقفا إذا جلست أنا » فلم يزل واقفا على المنصة على هذا الوضع الحرج[2] ومن البين الواضح أنه لم يكن هناك أى هدف من إطلاق النار إلا اغتيال

---

(١) انظر أحمد إدريس : أبو الأعلى المودودى – صفحات من حياته وجهاده ، ص ٨٠ .
(٢) الأستاذ خليل أحمد الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ، دعوته ، جهاده ص ٦٩ .
(٣) سيد أسعد الجيلانى : « قافلة سخت جان » ص ٣٣٧ .

الأستاذ المودودى ولكن الله أنقذه منهم فاستشهد أحد أعضاء الجماعة دفاعا عن الجزء النسوى للمخيم فجزاه الله أحسن الجزاء فكان من الطبيعى بعد هذه الحادثة المؤلمة أن يصير الوضع حرجا كما كان من المؤكد أن تحصل مجابهة مسلحة بين أعضاء الجماعة وبين المشاغبين ولكن الأستاذ بادر إلى تدارك الأمر وأمر أن يبعدوا المشاغبين من المخيم بدون أي تعرض لهم[1] . وهكذا قدر الله أن تخيب تلك المؤامرة للقضاء على الجماعة فللّه الحمد .

الحركة الإسلامية مثل الماء الجارى :

لم يزل المؤتمر مستمرا حسب برنامجه كما لم يزل المشاغبون يحاولون إفساد المؤتمر فقررت الجماعة أن تستخدم حوالى (ألف واحد) من أعضائها لحراسة المخيم ليلا ونهارا ليمنعوا المشاغبين من الدخول إلى المخيم ، وفى اليوم التالى جاء الأستاذ بفكرة حكيمة[1] جديدة عرضها[2] على زملائه : « إن الحركة الإسلامية مثلها مثل الماء الجارى وهو إذا وجد صخرة فى طريقه لا يحطم عليها رأسه وإنما ينعطف بطبيعته يمينا أو يسارا ويتابع جريانه ويترك الصخرة وراءه تعض أناملها من الغيظ وهكذا مكره سوف يبور والله خير الماكرين »[2] . وتنفيذا لتلك الفكرة الحكيمة قام بتقسيم أعضاء الجماعة إلى مجموعات صغيرة من ثلاثة أو أربعة أفراد فانطلقت تلك الجماعات إلى مدينة لاهور والمدن والقرى المجاورة لها فكانت تحمل للناس رسالة الجماعة ودعوتها وتوقظ فيهم الوعى الإسلامى . ولأن خبر مؤامرة الحكومة لإفساد المؤتمر والمحاولة لاغتيال الأستاذ المودودى قد انتشر فى جرائد ذلك اليوم فكانت لتلك الدعوة استقبال حاد من قبل الناس فقدر الله أن حوالى خمسة آلاف من سكان مدينة « لاهور » والقرى المجاورة لها أصبحوا مؤيدين للجماعة الإسلامية[3] . وفى ٢٧ من أكتوبر ١٩٦٣ م عقدت الجلسة الختامية للمؤتمر وألقى الأستاذ المودودى الكلمة الأخيرة . وهكذا انتهى المؤتمر محققا لأهدافه فللّه الحمد .

---

(١) انظر الأستاذ خليل الحامدى . الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ، دعوته وجهاده ص ٦٩ .

(٢) انظر المرجع السابق : ص ٦٩ .

(٣) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد · سيد أبو الأعلى مودودى ص ٣٣١ .

مواصلة الجهاد للدستور الإسلامى :

وفى نوفمبر عام ١٩٦٣ م قامت الجماعة الإسلامية بالمطالبة بتعديل الدستور بدستور إسلامى وتغيير اسم الدولة إلى « جمهورية باكستان الإسلامية » بدلا من « باكستان » وإعادة الحقوق الإنسانية الأساسية إلى الشعب وإجراء الانتخابات العامة بدأت بحركة شعبية لتحقيق تلك الأهداف وذلك بالتعاون مع الأحزاب والجماعات الأخرى وبدأ أعضاء الجماعة يأخذون التوقيعات من الشعب على تلك المطالبات وقد أصبحت تصرفات الحكومة مجنونة بعد فشلها فى مؤامرة القضاء على الجماعة الإسلامية واغتيال أميرها خلال مؤتمرها السنوى .

حل الجماعة الإسلامية واعتقال الأستاذ المودودى وزملائه :

اغتنمت الحكومة تلك الفرصة للقضاء على الجماعة الإسلامية ، ففى ٦ يناير عام ١٩٦٤ م أصدرت قرارا لجعل الجماعة الإسلامية جماعة مخالفة للقانون ، فألقي القبض على ٤٤ من أعضاء مجلس الشورى للجماعة الإسلامية وعلى رأسهم الأستاذ المودودى وأغلقت مكاتبها كما صودرت أموالها فشكلت لجنة خاصة للحكم فى تلك القضية . وجدير بالذكر أن أحد أعضاء تلك اللجنة وهو السيد / محمود كان المستشار القانونى للجنة الخاصة التى كانت قد أصدرت قرار إعدام الأستاذ المودودى عام ١٩٥٣ م والثانى هو السيد / شهزاده عالمكير الذى أصدر قرار القبض على الأستاذ وزملائه بصفته مديرا للأمن العام(١) ولهذا لم يكن هناك أى إبهام فى الحكم الذى سيصدر ضد الأستاذ فى القضية .

عمل الدعوة يستمر فى السجن :

ولم يترك الأستاذ المودودى وزملاؤه مهمتهم فى سبيل الدعوة وهم فى السجن فكان الأستاذ المودودى يلقى دروسا فى تفسير القرآن الكريم والأستاذ معين الدين كان يعلم أصول الفقه ، والشودرى نذير أحمد كان يعلم تجويد القرآن الكريم(٢) وهكذا وفقهم الله أن يؤدوا فريضة الدعوة كما أوجبها الله سبحانه .

---

(١) انظر أحمد إدريس : أبو الأعلى المودودى - صفحات من حياته وجهاده ص ٨٤ .

(٢) انظر المرجع السابق : ص ٨٥ .

فى المحكمة العليا – قرار الحكومة قرار باطل :

قررت الجماعة أن تقدم القضية أمام المحكمة العليا فى شطرى باكستان أى باكستان الشرقية وباكستان الغربية وبادرت الحكومة كى تأتى بتعديل خاص فى الدستور فى مارس ١٩٦٤ م وكان هذا التعديل يسمح للحكومة أن تأخذ الإجراءات اللازمة لحل أى حزب سياسى وإلقاء القبض على أعضائه . وجدير بالذكر أن ذلك التعديل فى الدستور كان مؤثرا بالماضى منذ عام ١٩٦٠ م ، ففى ١٣ من يوليو عام ١٩٦٤ م صدر قرار المحكمة العليا بباكستان الشرقية أن قرار الحكومة لجعل الجماعة الإسلامية مخالفة للقانون قرار باطل وبهذا فالقبض على أعضائها غير قانونى[١] وهنا اضطرت الحكومة أن تقدم القضية إلى محكمة الاستئناف فجاءت بالاتهام الجديد وهو « تلقى المساعدة المالية من دولة أجنبية » وفى ٢٥ سبتمبر ١٩٦٤ م أصدرت محكمة الاستئناف قرارها التاريخى « أن الحكم على الجماعة الإسلامية بأنها جماعة غير شرعية يتعارض مع حق تشكيل الجماعة الذى أعطاه لها الدستور فإن قرار الحكومة غير قانونى » وحكمت المحكمة بإلغائه[٢] ، فأعادت الجماعة إلى الميدان جماعة قانونية فرفعت دعوى أخرى إلى المحكمة العليا للموافقة على إطلاق سراح المسجونين فصدر قرار المحكمة فى ٩ أكتوبر عام ١٩٦٤ م . وذلك فى ثلاث جمل فحسب « الحكم بالإجماع على أن الحبس غير قانونى فيفرج عن المسجونين فورا »[٣] .

انتخابات الرئاسة للبلاد :

وكان الإفراج عن قادة الجماعة فى الوقت الذى حان فيه موعد الانتخابات العامة لرئاسة جمهورية باكستان الإسلامية ، وقد اتفقت الأحزاب السياسية المعارضة فيما بينها على ترشيح السيدة / فاطمة جناح لتلك الانتخابات وذلك لكونها شخصية بارزة كشقيقة للقائد محمد على جناح مؤسس باكستان فاضطر

---

(١) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى المودودى – ص ٣٤٠ .

(٢) انظر مجلة « آئين » الأسبوعية : لاهور ، عدد ١٩٦٤/١٠/١٧ م .

(٣) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى المودودى ص ٣٤٣ .

مجلس الشورى للجماعة إلى الموافقة على ذلك القرار مؤقتا لأنه لم يبق هناك أى طريق لإنقاذ البلاد من النظام الدكتاتورى الأيوبى الذى سخر وسائل الدولة لنشر المنكرات والفساد فى البلاد[1] .

أجريت الانتخابات فى ٢ يناير عام ١٩٦٥ م وقد استخدم أيوب خان وسائل الدولة خلال حملته الانتخابية فضلا عن الغش والتزوير فاضطرت اللجنة الانتخابية أن تأتى بالنتائج المزورة وتعلن بنجاح أيوب خان وفشل فاطمة جناح . ولكن تمكنت الجماعة خلال حملتها الانتخابية أن تبلغ رسالتها السامية إلى الشعب .

الدفاع عن البلاد :

كان الاستعمار الهندوسى يراقب الفرصة المناسبة يغتنمها للهجوم على جمهورية باكستان الإسلامية ففى ٦ سبتمبر عام ١٩٦٥ م اعتدى على باكستان وذلك لأن باكستان كانت تؤيد جهاد مسلمى كشمير لتحرير بلادهم من الاستعمار الهندوسى فأصدر الأستاذ المودودى بيانا قال فيه : « إن باكستان بصفتها دار الإسلام تفرض على كل مسلم فيها أن يصد العدوان حتى آخر قطرة من دمه »[2] ، فقررت أحزاب المعارضة القيام بتأييد الدولة لمقاومة ذلك الهجوم فاستدعى أيوب خان قادة المعارضة لمقابلته ليشاورهم فى ذلك الأمر فقابلوه واتفقوا معه على خطة مقاومة الهجوم الاستعمارى[3] فاعتنى الأستاذ بإلقاء المحاضرات المتتالية لنشر وعى الجهاد فى الشعب كما ألقى الخطب والمحاضرات من الإذاعة فى موضوع الجهاد ومتطلباته[4] .

الجهاد فى سبيل الله – الحل الوحيد لقضية كشمير المسلمة :

قررت الجماعة أن يقوم أعضاؤها لجمع التبرعات لمئات الألوف من اللاجئين الذين هاجروا من كشمير المحتلة . وإنى لأحد شهود العيان

---

(١) انظر المرجع السابق : ص ٣٤٩ .
(٢) انظر مجلة « ايشيا » الأسبوعية : لأهور ، عدد ١٩٦٥/٩/١٥ م .
(٣) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى المودودى ص ٣٥٢ .
(٤) انظر سيد أسعد جيلانى : سيد مودودى ، بجين ، جوانى ، برهابا ، ص ١٥٢ .

للخدمات التى قامت بها الجماعة فأقيمت حوالى عشرة مراكز فى شتى مدن كشمير الحرة لتوزيع تلك التبرعات على هؤلاء اللاجئين كما أنشئت عدة مستشفيات لعلاجهم . وفى نوفمبر عام ١٩٦٥ م قام الأستاذ المودودى بزيارة كشمير الحرة لتفقد أحوالهم والتقى بهؤلاء اللاجئين وسمع منهم حكايات الظلم والوحشية التى ارتكبها الاستعمار الهندوسى فى كشمير المحتلة وألقى عدة محاضرات من إذاعة كشمير الحرة كما خطب فى المؤتمرات الجماهيرية ووضح فيها أن الطريق الوحيد لتحرير كشمير من الاستعمار البرهمى هو الجهاد فى سبيل الله(١) .

تأليف كتاب « قضية كشمير المسلمة » وتوزيعه فى مسلمى العالم :

وكتب الأستاذ المودودى خطابات مفصلة إلى قادة الدول الإسلامية وزعماء الحركات الإسلامية فى شتى البلاد الإسلامية وطلب منهم أن يقوموا بدعم حكومة باكستان ومسلمى كشمير فى ذلك الجهاد المقدس ماديا ومعنويا كما ألف كتابه الشهير « قضية كشمير المسلمة » عن ذلك النزاع فأوضح فيه حقيقة قضية كشمير وذكر المظالم الوحشية التى كان يرتكبها الاستعمار الهندوسى مع مسلمى كشمير وبين واجب العالم الإسلامى تجاه تلك القضية فطبعت خمس وعشرون ألف نسخة من ذلك الكتاب باللغة العربية وعشرون ألف نسخة باللغة الإنجليزية ووزعت بين الحجاج فى موسم الحج لعام ١٩٦٦ م . وقد ترجمه الحجاج بعد عودتهم إلى بلادهم إلى اللغة التركية واللغة الفرنسية واللغة السواحلية(٢) .

رفض الأستاذ الموافقة على العيد بدون رؤية الهلال :

وفى عام ١٩٦٧ م ألقى القبض على الأستاذ للمرة الرابعة وتلك المرة كان اعتقاله لرفضه الموافقة على عيد الفطر بدون رؤية الهلال فقررت الحكومة أن يكون عيد الفطر قبل يوم واحد من رؤية هلال العيد فرفض الأستاذ الموافقة على ذلك فألقى فى السجن وتم إطلاق سراحه بعد شهرين(٣) .

---

(١) انظر الأستاذ المودودى : مسألة كشمير ص ٩٨ .
(٢) انظر المرجع السابق : ص ٧ .
(٣) انظر أحمد إدريس · أبو الأعلى المودودى – صفحات من حياته وجهاده ص ٩١ – ٩٢ .

اتحاد الأحزاب السياسية والجماعات الدينية ضد النظام الدكتاتورى :

وفى عام ١٩٦٧ م اتحدت الأحزاب السياسية والجماعات الدينية المختلفة ومنها الجماعة الإسلامية باسم « حركة الديموقراطية ضد دكتاتورية أيوب خان » وبدأ الصراع العنيف بين الشعب والدكتاتور وانعقدت المؤتمرات الشعبية فى شتى مدن البلاد وقام الأستاذ المودودى مع قادة الأحزاب الأخرى بإلقاء الخطابات المتتالية فى تلك المؤتمرات[١] . وهكذا انتشر الوعى السياسى والإسلامى بين الشعب .

اتحاد الشيوعيين واللادينيين ضد الإسلام والمسلمين :

كان اتحاد الشيوعيين والقاديانيين والمتفرنجين واللادينيين يخافون نتيجة ذلك الوعى فاجتمعوا تحت راية حزب الشعب فى باكستان الغربية وحزب مؤتمر الشعب فى باكستان الشرقية ، وجدير بالذكر أن مؤسس حزب الشعب ورئيسه آنذاك السيد / ذو الفقار على بوتو كان وزيرا للشئون الخارجية فى حكومة أيوب خان من عام ١٩٥٩ م إلى عام ١٩٦٧ م وقد عزل من منصبه للخيانات التى ارتكبها وكان يعرف بميوله اللادينية والشيوعية ورئيس حزب مؤتمر الشعب هو السيد / مجيب الرحمن الذى كان فى تلك الأيام مسجونا بتهمة العمالة للاستعمار الهندوسى[٢] . وكلا الحزبين دخلا فى الميدان يحملان راية الاشتراكية ويسردان نعرات القوميات الجاهلية . ولأن تمويلهما كان من قبل الدول الاستعمارية فقد استخدما أموالا طائلة لنفوذهما فى الشعب فبدأ الصراع بين الإسلاميين واليساريين فى كلا شطرى باكستان وذلك فضلا عن الصراع القائم بين الشعب والحكومة .

باكستان بلد أمة محمد ﷺ وليس بلد أمة ماركس أو ماو :

وجدير بالذكر أن الأستاذ المودودى فى تلك الأيام سافر إلى لندن لإجراء عملية جراحية فى المثانة وكان تحت ملاحظة الأطباء ولكن حينما بلغه خبر

---

(١) انظر سيد أسعد جيلانى : سيد مودودى ، تحين ، حوالى ، برهابا ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) انظر أحمد إدريس : أبو الأعلى المودودى - صفحات من حياته وجهاده ص ٩٤ - ٩٥ .

ذلك الصراع اضطر إلى العودة إلى باكستان وأعلن فور وصوله بلاهور فى يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٦٨ م « أننا مادمنا أحياء فلن يجرؤ أحد على تطبيق نظام آخر فى هذا البلد غير النظام الإسلامى لأن هذا البلد أمة محمد ﷺ وليس بلد أمة ماركس أو ماو ، وإذا اضطررنا للقتال فى سبيل ديننا فلن نجبن أو نقعد عن القتال ولو فى عشر جبهات وسنقاتل فى آن واحد كلا من الدكتاتورية والعلمانية اللادينية والشيوعية[١] .

المفاوضات :

وكان نتيجة للضغط من قبل حركة الديمقراطيين ان اضطر الدكتاتور أيوب خان إلى أن يدعو المعارضة للمفاوضات وفى ١٠ مارس ١٩٦٩ بدأت المفاوضات بين أيوب خان وبين المعارضة والأستاذ المودودى أوضح خلال تلك المفاوضات أن ما يجرى فى البلاد من الفوضى لم يكن إلا نتيجة عدم تطبيق النظرية التى قامت باكستان من أجلها[٢] ، ونتيجة لتلك المفاوضات وافقت الحكومة على منح البالغ حق الانتخاب وإقامة النظام البرلمانى .

الفوضى وسياسة النهب والسلب :

ولكن ذلك الاتفاق بين الحكومة والأحزاب السياسية لم يعجب قادة اليساريين كالسيد ذو الفقار على بوتو رئيس حزب الشعب والسيد/ عبدالحميد بهاشانى رئيس حزب الشعب القومى وذلك لأنهم اعتمدوا على سياسة الفوضى والنهب والسلب والتخريب ، وقبل يوم واحد من المفاوضات وصل السيد بهاشانى من داكا إلى لاهور وسأل أعضاء حزبه : « هل أحرقتم بيت المودودى ؟ فكان نتيجة ذلك الخطاب توجه فى اليوم التالى حوالى ثلاثمائة نفر إلى مكتب

---

(١) انظر المرجع السابق : ص ٩٤ - ٩٥ .

(٢) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى مودودى - ص ٣٨٧ .

الجماعة الإسلامية بلاهور فنهبوا المكتب وكسروا كل شيء قابل للكسر ثم أحرقوا الكتب وفيها المصحف الشريف والتفاسير والكتب الدينية الأخرى[1] .

الصراع بين الإسلاميين واليساريين واغتيال الشهيد عبد المالك :

وفى تلك الأوضاع قدم أيوب خان استقالته فى ٢٥ من مارس عام ١٩٦٩ م وسلم السلطة إلى يحيى خان رئيس أركان الجيش آنذاك . وهكذا وقعت البلاد تحت سيطرة الحكم العرفى مرة أخرى ولم تنقطع الفوضى بل استمرت وازادت مع مرور الأيام كما اشتد الصراع بين الإسلاميين واليساريين حتى أواسط أغسطس عام ١٩٦٩ م إذ قام الشيوعيون باغتيال الشهيد عبد المالك مسئول جمعية الطلبة الإسلامية بجامعة داكا بباكستان الشرقية . ولم تكن جريمته سوى أنه طالب الحكومة بتطبيق نظام التعليم الإسلامى بدلا من نظام التعليم العلمانى[2] .

فى جامعة القرويين بفاس « المغرب » :

وفى سبتمبر عام ١٩٦٩ م سافر الأستاذ المودودى إلى الرباط بالمغرب ليحضر مؤتمر التعليم الإسلامى الذى عقد بجامعة القرويين بفاس وبعدما ألقى محاضرته فى المؤتمر واجتمع مع القائمين بالمؤتمر وناقش الموضوع معهم وحضر الحفلات التى أقيمت من قبل الحركة الإسلامية بفاس .

إعلان عن موعد الانتخابات البرلمانية وقيام الأستاذ بجولة فى باكستان الشرقية :

وفى يناير عام ١٩٧٠ م أعلن يحيى خان عن موعد الانتخابات البرلمانية فقام الأستاذ بجولته فى باكستان الشرقية وفى ١٩ يناير ١٩٧٠ م انعقد مؤتمر الجماهير الكبير فى داكا عاصمة باكستان الشرقية فدخل الشيوعيون مخيم المؤتمر

---

(١) انظر الشودرى : عبد الرحمن عبد – سيد أبو الأعلى مودودى ص ٣٨٦ .

(٢) انظر مجلة « آئين » الأسبوعية : لاهور ، ١٩٦٩/٨/٢٩ م .

يهتفون ضد الإسلام والجماعة الإسلامية وفى أيديهم السكاكين والمسدسات والقنابل اليدوية وما إلى ذلك من الأدوات الفتاكة وكل ذلك تحت إشراف رجال الشرطة وبدأوا يضربون الحاضرين حتى أخرجوهم من المخيم وهكذا انتهى المؤتمر قبل بدئه فكانت النتيجة استشهاد اثنين من أعضاء الجماعة كما جرحوا أكثر من خمسمائة من أعضاء ومؤيدى الجماعة الإسلامية[١] .

وقد علق الأستاذ المودودى على ذلك الحادث فى خطابه فى داكا فى اليوم الثانى قائلا : « إذا كانت الأمور تسير على هذا المنوال فإن هؤلاء المتطرفين إذا نجحوا لن يعملوا من أجل وحدة باكستان وسلامتها بل من أجل تفتيتها وتجزئتها »[٢] وذلك ما أثبتته الأيام فيما بعد .

يوم شوكة الإسلام :

أعلن أحد قادة اليساريين السيد / بهاشانى أنه سيبدأ الحركة المباشرة للنظام الشيوعى فى أول يونيو عام ١٩٧٠ م فدعا الأستاذ المودودى الشعب لإقامة يوم « شوكة الإسلام » فى ٣١ من مايو عام ١٩٧٠ م أى قبل يوم واحد من موعد بهاشانى وكان هدف تلك المسيرات الكبرى إبراز القوة الشعبية لمقاومة الشيوعية والمطالبة بتطبيق النظام الإسلامى . وقدر الله أن وافقت أكثر الأحزاب السياسية على إقامة المسيرة فى ذلك اليوم وفى ٣١ مايو عام ١٩٧٠ م خرج الآلاف من الناس إلى شوارع المدن بباكستان الغربية وباكستان الشرقية فى مسيرات ضخمة يهتفون « مرحبا مرحبا ، مصطفى مصطفى » و« لا شرقية ولا غربية إسلامية إسلامية » ويحملون لافتات « لا إله إلا الله محمد رسول الله » و« جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » وفى مدينة لاهور كان الأستاذ المودودى يقود تلك المسيرة بنفسه ومعه بعض القادة ويقال إنها كانت أكبر مسيرة فى تاريخ لاهور فقال الأستاذ فى نهاية تلك المسيرة « أهنئكم على مسيرتكم التى لم تر باكستان مثلها والتى أثبتت للعالم أن شعب باكستان المسلم لا يقبل غير نظرية الإسلام ولا صيحة ولا صوت يعلو فى باكستان غير صيحة لا إله إلا الله »[٣] .

---

(١) انظر مجلة « آئين » الأسبوعية : عدد ١٩٦٩/٨/٢٩ .
(٢) انظر مجلة « ايشيا » الأسبوعية : لاهور ، عدد ١٩٧٠/٢/١ م .
(٣) انظر مجلة « آئين » الأسبوعية : ١٩٧٠/٦/٦ م .

وجدير بالذكر أنه لم يكن هناك أى حريق أو إطلاق نار أو ارتكاب عنف فى تلك المسيرات الكبرى . وهكذا قدر الله أن تفشل دعوة السيد / بهاشانى لإقامة المسيرة فى تأييد الشيوعية فى أول يونيو عام ١٩٧٠ الميلادى .

الأستاذ يحذر الشعب من خطورة التحدى :

وكان موعد الانتخابات للبرلمان المركزى فى ٧ من ديسمبر عام ١٩٧٠ م فبدأت الأحزاب السياسية حملاتها الانتخابية ولكن حالة الأستاذ الصحية لم تسمح له أن يخوض تلك المعركة ويحضر ويخطب فى المؤتمرات الجماهيرية فى أنحاء البلاد . ولكنه مع ذلك قام بجولات فى المدن الكبرى فى باكستان الغربية وألقى خطابات فى المؤتمرات الجماهرية وبين للناس بكل صراحة أن الإسلام والقومية الإسلامية هما أساسان أصليان لباكستان ، وإذا نجح الشيوعيون أو الذين يدعون إلى القوميات الجاهلية كالقومية البنغالية أو القومية البلوخية أو القومية السندية لن تكون نتيجتها إلا تقطيع البلاد[1] . ومع الأسف أن نفس النتيجة ظهرت فيما بعد لعدم عنايتهم بنصيحة الأستاذ المودودى .

لو اتحدت الأحزاب الإسلامية والجماعات الدينية :

وكان من سوء حظ مسلمى باكستان أن الأحزاب السياسية والجماعات الدينية التى اتحدت ضد النظام الدكتاتورى الأيوبى وتمكنت من إنقاذ البلاد منه والجماعات الدينية والسياسية التى اتحدت لإقامة يوم شوكة الإسلام وتمكنت من إثبات أن الشعب المسلم الباكستانى لا يقبل غير نظرية الإسلام بدأت فيها الخلافات المذهبية والسياسية ولم تتمكن من الاتحاد فى مرحلة الانتخابات وذلك

---

(١) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى مودودى - ص ٤١٠ - ٤١١ .

لأن قادة تلك الأحزاب لم يتمكنوا من إدراك خطورة التحدى الذى كان لهم بالمرصاد، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وقع بعض الادة فريسة لمؤامرة الشيوعيين والقوميين والقاديانيين الذين كانوا يخافون على مصيرهم لو اتحد الإسلاميون فخططوا المخططات والمؤامرات لإشعال نار الخلافات المذهبية والسياسية بين الجماعات الدينية والسياسية . ومع الأسف تمكنوا من تحقيق هدفهم الشنيع . وفى الوقت الذى اتحد فيه الشيوعيون والعلمانيون والقوميون والمتفرنجون والقاديانيون رغم خلافاتهم العديدة لم تتمكن الجماعات الدينية والأحزاب الإسلامية من تكوين الاتحاد أو الانضمام تحت راية واحدة تشملهم جميعا فكانت نتيجة ذلك أن نجح حزب الشعب للسيد / ذو الفقار على بوتو فى باكستان الغربية مع أن عدد الأصوات التى حصل عليها هذا الحزب لم يتجاوز ٣٧ ٪ ونجح حزب مؤتمر الشعب للشيخ / مجيب الرحمن فى باكستان الشرقية مع أن عدد الأصوات التى حصل عليها هذا الحزب أيضا لم يتجاوز عدد الأصوات التى حصل عليها الإسلاميون . ونتيجة لتركيز الأحزاب السياسية الشيوعية واللادينية والقاديانيين والعلمانيين والعلماء الرسميين والفرق المذهبية المتعصبة لمخالفة الجماعة الإسلامية لم تتمكن الجماعة إلا من الحصول على ٤ مقاعد فى البرلمان فحسب[١] .

حادث انفصال باكستان الشرقية :

ولا شك أن تلك النتائج كانت مؤلمة جدا ولكن الذى كان أكثر ألما من ذلك هو حادث انفصال باكستان الشرقية عن باكستان الغربية فى ديسمبر عام ١٩٧١ م[٢] وذلك نتيجة لمؤامرة الاستعمار الروسى والاستعمار الهندوسى بالاتفاق مع القوميين والشيوعيين الذين نجحوا فى تلك الانتخابات . وكما ذكرنا آنفا فقد تنبأ الأستاذ المودودىَ بذلك الحادث فى خطاباته ومحاضراته خلال حملته الانتخابية ، ولكن كان من سوء حظنا أن الأحزاب السياسية والجماعات الدينية الأخرى لم تعتن بذلك وفشلت فى الانتخابات ونجح القوميون والشيوعيون فحدث هذا الحادث المؤلم .

---

(١) انظر المرجع السابق : ص ٤١٢ .
(٢) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد : سيد أبو الأعلى مودودى – ص ٤١٢ .

استمرار عمل الدعوة :

ولكن مع ذلك الحادث المؤلم لم يزل الأستاذ المودودى يقود الحركة الإسلامية بالصمود والاستمرار فحينما أجريت الانتخابات لجمعيات الاتحادات الطلابية فى الجامعات بعد بضعة شهور نجحت فيها جمعية الطلبة الإسلامية نجاحا بارزا .

إكمال التفسير « تفهيم القرآن » :

وفى ٢٤ من ربيع الثانى عام ١٣٩٢ هـ الموافق ٧ يونيو عام ١٩٧٢ م تمكن الأستاذ المدودى من إكمال تفسيره « تفهيم القرآن » وذلك بعد أن استمر الأستاذ فى تأليفه ثلاثين عاما وأربعة أشهر[١] .

المرض والتنحى عن الإمارة :

وفى ٤ نوفمبر عام ١٩٧٢ م اضطر الأستاذ المودودى أن يتنحى عن إمارة الجماعة الإسلامية ، وذلك نتيجة لشدة مرضه من ناحية وتمنيه إكمال كتابه فى السيرة النبوية من ناحية أخرى وهكذا بعد ما تحمل الأستاذ المودودى مسئولية إمارة الجماعة الإسلامية لأكثر من ثلاثين سنة ، اختير الأستاذ طفيل محمد أميرا للجماعة الإسلامية ولكنه لم يزل مركزا حقيقيا للحركة الإسلامية ، إلى أن توفى إلى رحمة ربه عام ١٩٧٩ م .

حصول الأستاذ المودودى على جائزة الملك فيصل العالمية الأولى لخدمة الإسلام :

وجدير بالذكر أن جهاد الأستاذ المودودى فى مجال الدعوة وخدمة الإسلام لم يكن أثره مقصورا على شبه القارة الباكهندية فحسب بل قد توسعت دائرته - والحمد لله - إلى البلاد الإسلامية كلها وكان تقديرا لجهاده الطويل فى سبيل الدعوة وخدمة الإسلام أن قررت هيئة جائزة الملك فيصل العالمية أن تمنحه جائزة

---

(١) انظر الأستاذ المودودى : خاتمة تفهيم القرآن .

الملك فيصل العالمية الأولى لخدمة الإسلام والمسلمين[1] وذلك فى ضوء الترشيحات من قبل الحركات الإسلامية العالمية .

الجائزة لخدمة الإسلام وقفت لخدمة الإسلام :

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن هذه الجائزة عبارة عن مائتى ألف ريال سعودى وميدالية ذهبية ، قرر الأستاذ أن يمنحها لمجمع المعارف الإسلامية بمنصورة « لاهور » لتصرف فى مشاريعه الإسلامية وقال : « إن الجائزة التى أعطيت لى لأجل خدماتى للإسلام لا ينبغى صرفها إلا لخدمة الإسلام »[2] .

المرض والوفاة :

وبعد ما اشتد المرض قرر الأستاذ المودودى أن يسافر للعلاج فى إمريكا حيث كان ابنه الدكتور أحمد فاروق المودودى طبيبا فى مدينة « بفالو » وذلك فى مايو عام ١٩٧٩ م[3] ومكث هناك للعلاج إلى ٢٢ سبتمبر عام ١٩٧٩ م حيث توفى إلى رحمة الله[4] .

ثم انتقلت جثة الأستاذ المودودى من أمريكا إلى باكستان فى طائرة محجوزة خاصة ودفنت هناك فى فناء بيته بحى الأجهرة بمدينة « لاهور » فى ٢٦ سبتمبر عام ١٩٧٩ م[5] .

وجدير بالذكر أنه كان من أثر دعوته فى العالم الإسلامى أن اهتم المسلمون فى كل أنحاء العالم الإسلامى أن يصلوا عليه صلاة الغائب ، وفى المملكة العربية السعودية صدرت موافقة سامية لإتمام الصلاة عليه غائبا فى الحرمين الشريفين وفى سائر المساجد فى المملكة . وهكذا فى بعض البلاد العربية والإسلامية الأخرى .

---

(١) انظر قرار هيئة جائزة الملك فيصل العالمية الصادرة فى ٢ ربيع الثانى عام ١٣٩٩ هـ .
(٢) انظر الأستاذ خليل أحمد الحامدى : مجمع المعارف الإسلامية – ص ٧ .
(٣) انظر مجلة « اتش فشان » الأسبوعية : بلاهور ، عدد خاص فى ذكرى الأستاذ المودودى لشهر نوفمبر ١٩٧٩ م ص ٤٥ .
(٤) انظر جريدة « الجسارت » اليومية بكراتشى : عدد خاص فى ذكرى الأستاذ المودودى – ص ١٠ .
(٥) المرجع السابق : ص ١٦ .

الفصل الثالث

دعوة الأستاذ أبى الأعلى المودودى

المبحث الأول : أصول دعوة الأستاذ المودودى

المبحث الثانى : خصائص دعوة الأستاذ المودودى

المبحث الثالث : منهج دعوة الأستاذ المودودى

المبحث الرابع : مراحل دعوة الأستاذ المودودى

١ - دعوتنا للبشر كافة وللمسلمين خاصة ، أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً ولا يتخذوا إلهاً ولا رباً غيره .

٢ - ودعوتنا لكل من أظهر الرضا بالإسلام دينا أن يخلصوا دينهم لله ، ويزكوا أنفسهم من شوائب النفاق وأعمالهم من التناقض .

٣ - ودعوتنا لجميع أهل الأرض أن يحدثوا انقلاباً عاماً فى أصول الحكم الحاضر الذى استبدت به الطواغيت والفجرة الذين ملئوا الأرض فساداً ، وأن ينتزعوا هذه الإمامة الفكرية والعملية من أيديهم ، حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله وباليوم الآخر ويدينون دين الحق ولا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً .

الأستاذ أبو الأعلى المودودى

تذكرة دعاة الإسلام : ص ٥٠

المبحث الأول

أصول دعوة الأستاذ المودودى

الدعوة التى قام بها الأستاذ المودودى هى نفس الدعوة الجليلة التى جاء بها رسل الله عليهم السلام من أبى الأنبياء آدم (عليه السلام) إلى سيدنا محمد ﷺ وإذا قلنا إنه قام بإحيائها فحسب لكان صحيحا ، ومن المعلوم أن غاية هذه الدعوة هى إقامة دين الله كاملا فى جميع نواحى الحياة الفردية والاجتماعية وكذلك كانت أصول هذه الدعوة هى نفس الأصول التى قامت بها الدعوة لأول مرة وهى بإجمال كالآتى :

١ – الإيمان بالتوحيد ٢ – الإيمان بالرسالة

٣ – التزكية عن النفاق والتناقض ٤ – إقامة الإمامة الصالحة

وتفصيل هذه الأمور فيما يلى :

الأصل الأول : الإيمان بالتوحيد :

والإيمان بالتوحيد هو الأصل الأول لهذه الدعوة ، ومن مقتضياته الأولى أن لا يعتقد الإنسان فيما دون الله ربا ولا معبودا ويخلص « العبودية » بكل أنواعها لله تعالى فحسب وهذه كانت الغاية التى جاء رسل الله من سيدنا آدم عليه السلام إلى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ لتحقيقها فلذلك حينما قرر الأستاذ المودودى أن يقوم بإحياء الدعوة الإسلامية كان لابد من أن يجعلها الأصل الأول لدعوته فيقول : « دعوتنا للبشر كافة وللمسلمين خاصة أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئا ولا يتخذوا إلها غيره »[1] .

والمراد من العبودية هو أن يخص الإنسان عبادته ودعوته بكل أنواعها لله

---

(١) أبو الأعلى المودودى : تذكرة دعاة الإسلام – ص ٩ .

تعالى فحسب وذلك فى كل ناحية من نواحى الحياة حيث لا يخرج من دائرة طاعته ولو جزء قليل من حياته الفردية والاجتماعية ، هذا هو التصور الصحيح للعبودية الذى جاء به الإسلام . وأما تصور العبودية الذى يخصها بناحية من نواحى الحياة الفردية أو الجماعية ويترك الحياة الباقية خارجة من دائرتها فهذا ليس بالتصور الصحيح للعبودية بل فى الحقيقة هذا التصور للعبودية مسخ لفكرة الدين الإسلامى ، ولا يمكن القيام بالدعوة الإسلامية إلا بالقضاء التام على ذلك التصور للعبودية فلذلك ينتقد الأستاذ المودودى هذا التصور الناقص كما يلى : « والذى نراه ونجزم به ونعتقده وندعو الناس إليه أن العبودية التى دعت إليها رسل الله الكرام من آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ المراد بها أن يقرر العبد ويعتقد أنه ما من إله إلا الله الفرد الصمد، الحاكم بين عباده، السيد المطاع فى بريته، المشرع للدستور والقوانين والمالك لأمورهم المتصرف فى شئونهم ، المجازى على أعمالهم وأن يسلم نفسه لذلك الله العزيز المقتدر ، ويخلص دينه له ويذعن لعبوديته فى كل شأن من شئون حياته الفردية منها والجماعية الخلقية منها والسياسية والاقتصادية منها والاجتماعية ، وبهذا المعنى ورد قوله سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ﴾[1] الذى يأمر فيه عباده أن يدخلوا فى دين الله بمجموع حياتهم »[2] .

ولأن الدعوة إلى العبودية الكاملة هى الغاية الأصلية فقد اتخذت الجماعة الإسلامية كلمة شهادة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » عقيدة لها[3] فيتطلب الجزء الأول من هذه العقيدة :

١ – ألا يعتقد الإنسان فيما دون الله وليا له ووكيلا وقاضيا لحاجاته وكاشفا لمشكلاته ومجيبا لدعواته فغير الله لا يملك بتاتا سلطة من السلطات المطلقة .

٢ – ألا يعتقد فى غير الله أنه ينفعه أو يضره ، وألا يتقى أحدا غيره،

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٠٨ .

(٢) انظر الأستاذ المودودى . تذكرة دعاة الإسلام – ص ١٢ .

(٣) انظر دستور الجماعة الإسلامية بباكستان : المادة الثالثة .

ولا يخاف إلا إياه ولا يطمع إلا فيما عنده ولا يتوكل إلا عليه ، فالله وحده مصدر جميع السلطات .

٣ - ألا يدعو إلا الله ولا يتعوذ إلا منه ولا يستعين إلا به ولا يعتقد فى غيره أن له ضلعا ونفوذا فى التدابير الإلهية أو أن شفاعته تبدل قضاء الله وقدره . فالجميع فى مملكة الله سواء من الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء ليسوا إلا رعية ولا يملكون شيئا إلا بإذنه تعالى .

٤ - ألا يطأطىء رأسه أمام غير الله ولا يعبد إلا إياه ولا ينذر إلا له ، ولا يتعامل مع أحد غير الله كما كان يتعامل المشركون مع آلهتهم . فالله هو وحده الذى يستحق أن تؤدى له كل أنواع العبادة .

٥ - ألا يسلم بغير الله ملكا ، أو مالك الملك ، أو مصدر السلطة العليا الأشياء حتى نفسه وجوارحه ومواهبه الذهنية وقواه الجسدية ملك لله وكذلك لا يؤمن بغير الله شارعا ومقننا مستقلا بذاته ويرفض كل طاعة لا تتبع طاعة الله ولا تلتزم بأحكام الله ، فالله وحده هو مالك حقيقى لملكه وخالق حقيقى لمخلوقه وليس لغيره أبدا حق الملكية والحاكمية بصفة مطلقة .

ويستوجب بعد قبول هذه العقيدة :

١ - أن يتنازل الإنسان عن حريته وسيادته وأن يتخلى عن اتباع أهوائه وأن يكون عبدا منقادا مخلصا لله الذى آمن به إلها دون منازع .

٢ - ألا يزعم لنفسه ملكا حقيقيا لأى شىء بل يؤمن بأن كل ما عنده من الأشياء حتى نفسه وجوارحه ومواهبه الذهنية وقواه الجسدية ملك لله عز وجل ووديعة له عنده .

٣ - أن يعتبر نفسه مسئولا أمام الله ومحاسبا عنده ولا يغيبن عن باله ، ولا للحظة من البصر حين استخدامه قواه ومواهبه وعند سائر تصرفاته ومعاملاته أنه سوف يحاسب على كل شىء من ذلك .

٤ - وأن يجعل رضا الله مقياسا لما يحبه وسخط الله مقياسا لمالا يحبه .

٥ - وأن يجعل ابتغاء مرضاة الله والتقرب إليه غاية جهوده ومناط حياته .

٦ - وأن يتخذ هدى الله هو الهدى فى أخلاقه ومعاملاته وحياته الاجتماعية والمدنية والاقتصادية والسياسية حتى فى كل أمر من أمور الدنيا ، وأن يرفض كل طريق أو ضابطة يخالف شريعة الله(١) .

الأصل الثانى : الإيمان بالرسالة :

الإيمان بالرسالة هو الأصل الثانى لهذه الدعوة الجليلة فيقول الأستاذ المودودى : « والرسالة هى العقيدة الثانية فى الإسلام بعد التوحيد فكما أن التوحيد هو أصل الدين من ناحية الاعتقاد وكذلك أن الرسالة هى أصله من ناحية الاتباع »(٢) ، ويقول الأستاذ عن مقتضيات هذه العقيدة ومتطلباتها : « ومن النتيجة المحتومة لعقيدة الرسالة أن يتبع الإنسان ذلك الطريق الذى سلكه أنبياء الله ورسله لا فى العقائد والعبادات فحسب ولكن فى كل شأن من شئون الحياة العملية ، لأن نور العلم والبصيرة الذى قد أنعمه الله عليهم كانوا يعرفون به الفرق بين الطرق الصحيحة والباطلة على وجه اليقين ولأجله ما كانوا يتركون شيئا أو يتبعونه أو يأمرون به أو ينهون عنه إلا من عند الله »(٣) .

ولهذه الأهمية البالغة تعتبر عقيدة الرسالة الأصل الثانى للدعوة الإسلامية فيقول دستور الجماعة عن مقتضيات هذه العقيدة ومتطلباتها : « والمراد من الجزء الثانى من هذه العقيدة أن محمدا رسول الله ﷺ هو آخر الأنبياء وبواسطته أرسل الله رب العالمين ومالك هذا الكون الهداية الحقيقية والأحكام المعتمدة إلى الناس كافة وأمره ﷺ أن يكون بتطبيق هذه الهداية والأحكام المعتمدة فى حياته العملية مثالا يحتذى به وقدوة يقتدى بها » .

ومن مستلزمات الإيمان بهذا الجزء من العقيدة :

١ - أن يقبل الإنسان بدون تلكؤ كل ما ثبت عن محمد ﷺ من تعليم أو هدى .

---

(١) انظر دستور الجماعة الإسلامية بباكستان : المادة الثالثة .

(٢) انظر الأستاذ المودودى : الحضارة الإسلامية ، أسسها ومبادئها ، ص ١٦٧ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ١٧٥ .

٢ – وأن تكون له الكفاية بصدد الأخذ بشيء أو الكف عنه فى أن ذلك الأمر مما أمر به رسول الله ﷺ ولا تستند طاعته على أى دليل آخر سواه .

٣ – وألا يقبل أحدا سوى الرسول ﷺ هاديا ومرشدا مستقلا بالذات ولا تكون طاعته لأحد غيره إلا تابعة لكتاب الله وسنة رسوله ولا منفصلة عنهما .

٤ – وأن يتخذ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مصدرين للاحتجاج والاستناد فى كل شأن من شئون الحياة وكل رأى أو عقيدة أو طريق يوافق الكتاب والسنة يأخذ به ، وكل رأى أو عقيدة أو طريق يخالفهما يرفضه ويجب أن يرجع إليهما فى كل معضلة تتطلب الحل .

٥ – وأن ينزع من قلبه كل نوع من العصبيات سواء أكانت شخصية أو عائلية أو قبلية أو عنصرية أو قومية أو وطنية ولا يشغف بأحد حبا أو تقديرا يفوق حب وتقدير الحق الذى جاء به النبى ﷺ أو يدانيه .

٦ – وألا يتخذ بشرا سوى الرسول ﷺ مقياسا للحق و كذلك لا يرى أحداً فوق الانتقاد والسؤال عما يفعل ، وألاّ يقع فى العبودية الفكرية لأحد من الأشخاص سواه ﷺ بل يضع كل شخص على ذلك المقياس الكامل الذى وضعه الله سبحانه وتعالى ويضع كل شخص فى نفس المكانة التى هى له بموجب ذلك المقياس .

٧ – وألا يقبل لأحد جاء بعد النبى ﷺ مقاما يكون الإقرار به أو إنكاره حاسما لكون المرء مؤمنا أو كافرا[١] .

والحقيقة أن الإيمان بالرسول ﷺ وإطاعته واتباعه هو طريق وحيد للوصول إلى مرضاة الله لأنه لا يمكن التعرف على أحكامه إلا عن طريقه ﷺ ولا تعتبر أية طاعة لله إلا أن تكون عن هذا الطريق . وهذا ما يتبين من تفسير الأستاذ المودودى لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾[٢] .

---

(١) انظر دستور الجماعة الإسلامية بباكستان : البند الثالث . (٢) سورة النساء الآية ٥٩ .

يقول الأستاذ المودودى : « والأصل الثانى فى الإسلام هو إطاعة الرسول وهى ليست إطاعة مستقلة بل فى الحقيقة هذه هى طريقة وحيدة للوصول إلى طاعة الله ، والرسول مطاع لأنه الواسطة الوحيدة التى تصل إلينا منها التعليمات من الله ، فالطريق الوحيد الذى يمكننا أن نطيع به الله هو إطاعة الرسول ﷺ ولا تعتبر أية إطاعة ، إطاعة لله إلا أن تكون عن هذا الطريق وكذلك معصية الرسول ﷺ هى فى الحقيقة معصية الله وهذا ما يتضح من قوله ﷺ : « من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله »[1] ، وهذا ما يتبين من القرآن الكريم[2] .

والمراد من إطاعة الرسول ﷺ كما يفهمه الأستاذ المودودى رحمه الله « ليس إطاعته ﷺ فى دائرة معينة من دوائر الحياة الفردية أو الاجتماعية كما يفهم بعض الناس ، بل المراد الحقيقى منه هو إطاعته فى كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية ولا يجوز للمسلم الحقيقى كان فردا أو جماعة أو كان ممثلا فى الإدارة أو المحكمة أو حتى لو كان عضو مجلس النواب أو رئيس الدولة بأن يستخدم رأيه الحر فى تدبير شئون الحياة الفردية والاجتماعية بدون الاعتناء بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا يمكن لذى عقل أن يجمع بين الإسلام وبين الاستقلال الكامل عن إطاعة الله وإطاعة الرسول ، بل فى الحقيقة هذا هو الفرق الحقيقى بين المسلم الحقيقى والكافر والمنافق ، فيقول الأستاذ فى تفسيره لقوله سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ﴾[3] .

« ومن مقتضيات الإيمان الأساسية ومتطلباته بأن الذى يؤمن بالله ربا وبمحمد رسولا وهاديا لا يمكن له إذا كان صادقا فى إيمانه أن يقدم رأيه على مرضاة الله ورسوله ، أو أن يحكم فى المعاملات بدون أن يرجع إلى الله ورسوله » ثم يقول مستمرا فى تفسيره : « وجدير بالذكر أن هذا الحكم لا ينحصر على الأمور التى تتعلق بالحياة الفردية فحسب بل يكون بإطلاقه على الأمور التى تتعلق

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإمارة – باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية ، وتحريمها فى المعصية .

(٢) انظر تفهيم القرآن : حـ ١ ، ص ٣٦٣ .

(٣) سورة الحجرات : الآية ١ .

بالحياة الاجتماعية أيضا ، ولذلك هذا الحكم يعتبر أصل الأصول فى التشريع الإسلامى ولا يجوز لحكومة المسلمين ولا لمحكمتهم ولا لمجلس نوابهم أن يكونوا أحرارا فى تدبير أمورهم بدون الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ » . ثم يذكر حديث معاذ بن جبل المشهور[1] ويقول : « والحقيقة بأن تقديم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على الآراء الشخصية هو الفرق الحقيقى بين حكام المسلمين وقضاتهم غير المسلمين من الحكام والقضاة وهذا أمر يتفق عليه فى التشريع بأن المصدر الأساسى للقانون الإسلامى هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا قياس ولا اجتهاد ولا إجماع يقبل خلاف ذلك[2] .

فيثبت كما قلنا إنه لا يمكن لأى فرد أو قوم ينتسب إلى الإسلام ، ومع ذلك يختار طريقا للحياة بدون أى اعتناء بما جاء به الرسول ﷺ من عند الله ، ومن يرغب أن يعيش مسلما حقيقيا فعليه أن يجعل هواه تبعا لما جاء به الرسول ﷺ والذى لا يقدر على ذلك فهو ليس مسلما مهما يدعى بأنه مسلم بل هو فى الحقيقة منافق .

فيتحقق من كل ذلك أن الإيمان بالتوحيد والرسالة والعمل بمتطلباته هو أصل الأصول فى الدين ، فهذا هو السبب أن الأستاذ المودودى جعله حجر الزاوية لدعوته واتخذ كلمة الشهادة عقيدة لجماعته « الجماعة الإسلامية » .

الأصل الثالث : التزكية عن النفاق والتناقض :

من المعلوم بأن النفاق هو عدم الإخلاص فى الإيمان ، أى دعوى الإيمان بدين أو بنظام مع علاقة الإخلاص أو الرضا بنظام آخر ، وهو عدم مطابقة العمل مع القول أى يكون عمل الإنسان مناقضا لما يدعيه ، فلذلك من الواضح بأنه

---

(١) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن فقال : « كيف تصنع إن عرض لك قضاء قال : أقضى بما فى كتاب الله قال . فإن لم يكن فى كتاب الله قال : فبسنة رسول الله ﷺ قال : فإن لم يكن فى سنة رسول الله ﷺ قال . اجتهد رأيى » قال : فضرب رسول الله ﷺ صدرى ثم قال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضى رسول الله ﷺ » [مسند الإمام أحمد : مرويات معاذ بن جبل رضى الله عنه] .

(٢) تفهيم القرآن : جـ ٥ ، ص ٧٠ .

لا يمكن للإنسان أن يعمل بمتطلبات الإيمان بالتوحيد والرسالة ، إلا إذا تجرد إيمانه عن النفاق وعمله من التناقض فلذلك لا يمكن القيام بواجب الدعوة إلا بعد أن تخلو من كليهما . فلذلك جعل الأستاذ المودودى التزكية عنهما أصلا ثالثا لدعوته كما يقول : « ودعوتنا لكل من أظهر الرضا بالإسلام دينا أن يخلصوا دينهم لله ويزكوا أنفسهم من شوائب النفاق وأعمالهم من التناقض » ويجدر بنا أن نذكر هنا ما هو المراد من كلمتى « النفاق » و« التناقض » عند الأستاذ المودودى حيث يجعل التزكية عنهما إحدى النقاط الأساسية لدعوته فأما « النفاق » فهو أن يدعى الرجل الإيمان بنظام خاص ويتظاهر بالانتساب إليه والتمسك بأذياله ثم يعيش راضيا مطمئنا فى نظام للحياة مناقض للنظام الذى يؤمن به ولا يجتهد لقلب ذلك النظام المعارض لعقيدته واستبدال النظام الصالح به ، بل ربما يبذل جهوده ويستنفد قواه ومساعيه فى توطيد دعائم ذلك النظام الفاسد الجائر أو إقامة نظام باطل آخر يسد مسد ذلك النظام الجائر الذى يعيش فى كنفه هادئا مغتبطا فمثل هذا الطراز من الناس كمثل المنافق[1] .

وأما « التناقض » فهو « أن يكون عمل الرجل مناقضا لما يدعيه بلسانه ويظهره فى أقواله ، كما أنه من التناقض فى صميمه أن تختلف أعمال المرء باختلاف شئون الحياة ويناقض بعضها بعضا فليس من الإسلام فى شيء أن يتبع الرجل أوامر الله ويتمسك بأهداف الشريعة فى ناحية من نواحى حياته ويعصى أمر الله ويتعدى حدوده فى شعبها الأخرى »[2] .

فالحقيقة إذا فكرنا فى مقتضيات هذا التفسير لكلمتى « النفاق » و « التناقض » وجدناهما السببين الأصليين لجميع أمراض المسلمين ، الخلقية والاجتماعية كما أنهما السببان الحقيقيان لانتشار الأفكار الباطلة والحركات الهدامة مثل الشيوعية والاشتراكية والعلمانية والقومية الوطنية فيما بينهم وهكذا هذان هما السببان بأن المسلمين مع إيمانهم بالله ورسوله ﷺ ومع مداومتهم على الصلاة والصيام الزكاة حينما يدخلون فى معركة الحياة العملية ويبحثون عن الحلول لمشاكلهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لا يمنعهم أى مانع من قبول الحلول

---

(١) أبو الأعلى المودودى : تذكرة دعاة المسلمين - ص ١٣ - ١٤ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٦ .

المستوردة اللادينية كالشيوعية والاشتراكية والعلمانية والديمقراطية الرأسمالية وما إلى ذلك مع كونها مناقضة للإسلام ، فلهذا لابد لمن يقوم بواجب الدعوة الإسلامية أن يدعو التزكية الكاملة عن كليهما وإلا لا يمكن له أن يسير على طريق الدعوة ولو خطوة واحدة ، فكان لهذا أن جعل الأستاذ التزكية عنهما الأصل الثالث للدعوة .

الأصل الرابع : إقامة الإمامة الصالحة :

وإقامة الإمامة الصالحة هى الأصل الرابع لهذه الدعوة فيقول دستور الجماعة : « إن غاية الجماعة الإسلامية ومناط جميع جهودها هو : إقامة دين الله (أو إقامة الحكومة الإلهية أو إقامة النظام الإسلامى) واقعا وكسب مرضاة الله والنجاة فى الآخرة أصلا »(١) .

وهذا الهدف الجليل لا يتحقق إلا باستبدال إمامة الطواغيت والفجرة بإمامة المؤمنين الصالحين ، فلذلك قرر الأستاذ المودودى أن يجعله الأصل الرابع لدعوته . كما يقول : « ودعوتنا لجميع أهل الأرض أن يحدثوا انقلابا عاما فى أصول الحكم الحاضر الذى استبد به الطواغيت والفجرة الذين ملئوا الأرض فسادا . وأن تنتزع هذه الإمامة الفكرية والعملية من أيديهم حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر ويدينون دين الحق ولا يريدون فى الأرض علوا ولا فسادا »(٢) .

والحقيقة إن العمل بمقتضيات الإيمان بالتوحيد والرسالة والتزكية عن النفاق والتناقض لا يمكن كما يفهم الأستاذ المودودى « إلا بإحداث انقلاب عام فى نظام الحياة الحاضر الذى يدور قطبه حول رحى الكفر والإلحاد والفسوق والعصيان والذى يديره ويدبر أمره ويسير دفة شئونه رجال انحرفوا عن الله ورسوله واستنكفوا عن عبادته واستكبروا فى أرضه بغير الحق فمادامت أزمة أمور العالم بأيدى هؤلاء ومادامت العلوم والآداب والمعارف والصحف والتشريع والتنفيذ والشئون الدولية والمالية والمسائل التجارية والصناعية تتحرك دواليبها

---

(١) دستور الجماعة الإسلامية بباكستان : المادة الرابعة .

(٢) الأستاذ المودودى : تذكرة دعاة الإسلام – ص ٢٠ .

بحركاتهم وتتمشى عجلاتها حسب إرشادهم ورغباتهم لا يمكن للمسلم أن يعيش فى الدنيا مسلما ، متمسكا بمبادئه ، متبعا الشريعة إلا إذا كان منفذا لقوانينها فى حياته العملية »[1] ويقول مستمرا فى حديثه : « وكذلك ثبت لنا باليقين والبرهان والمشاهدة أنه لا أمل فى صلاح العالم ولا رجاء فى استقامة الأمور على موازين الرشاد والحق مادام أولئك الطغاة المنحرفون عن الله ورسوله يتصرفون فى شئون الملك ويدبرون أموره ويتصرفون على جليلها وصغيرها »[2] .

فيتبين من هذا أن النظام الإسلامى لا يمكن إقامته إلا إذا كانت الحكومة فى أيدى المؤمنين الصالحين . وهذا الهدف لا يمكن تحقيقه إلا بالقضاء التام على حكومة الفجرة والطواغيت واستبدال إمامتهم الفاسدة بالإمامة الصالحة وهذا ما يجعل إقامة الإمامة الصالحة أساسا من أسس الدعوة الإسلامية . وهذا ما يتبين من كثير من الآيات القرآنية ومنها قوله سبحانه : ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾[3] وقوله سبحانه : ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ﴾[4] وهذا ما يدل عليه أسوة النبى ﷺ خلال حياته المدنية .

---

(١) الأستاذ المودودى : تذكرة دعاة الإسلام – ص ٢١ .
(٢) المرجع السابق : ص ٢٢ .
(٣) سورة التوبة : الآية ٣٣ .
(٤) سورة يوسف : الآية ٤٠ .

المبحث الثانى

خصائص دعوة الأستاذ المودودى ومزاياها

تتميز دعوة الأستاذ المودودى بالمزايا الخاصة التى نشير إلى بعضها فى السطور التالية :

١ - الدعوة العالمية :

وأولى هذه المزايا وأهمها أن دعوة الأستاذ المودودى ، وإن نشأت فى شبه القارة الباكهندية لم تكن دائرتها مقصورة على حدود البلاد المعينة أو الملة المعينة بل كانت دعوته موجهة إلى كل شخص من النوع الإنسانى فى كل مكان وزمان ، لأن الإسلام هو دين عالمى والدعوة الإسلامية دعوة عالمية فلابد للداعية أن يقدم دعوته إلى كل شخص مسلما كان أو كافرا شرقيا كان أو غربيا ويقول الأستاذ المودودى : « لأن دعوتنا هى دعوة إسلامية فلكون الإسلام ديـن عالمى هى دعوة عالمية فلذلك دائرة هذه الدعوة ليست موجهة إلى ملة معينة ومشاكلها بل هى موجهة إلى كل إنسان . ومشاكل النوع الإنسانى كلها هى مشاكلنا ، ونحن نقدم حلها من الكتاب والسنة وهو حل فيه سعادة كل واحد منا فلذلك إذا قبلها المسلمون نأمل أن يقبلها (السعداء) من غير المسلمين أيضا »[١] .

٢ - العناية بإقامة الدين بكامله :

والثانية من هذه المزايا الاهتمام بإقامة الدين بكامله فى حين أن الحركات المعاصرة الأخرى كانت تتسع دائرة كل واحدة منها إلى جزء أو على الأكثر إلى

---

(١) تقرير عن الجماعة الإسلامية : الجزء الأول - ص ٨ .

بعض أجزاء الدين وهكذا لأن الدين تتسع دائرته إلى كل ناحية من نواحى الحياة الإنسانية فتهتم دعوة الأستاذ المودودى بكل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية ، وهذا فرق أساسى بين دعوة الأستاذ المودودى وبين الدعوات المعاصرة الأخرى كما يقول الأستاذ : « إن غاية الحركات الأخرى هى إقامة جزء معين من أجزاء الدين أو تحقيق هدف من أهدافه الدنيوية ولكن نحن نقوم بالدين الإسلامى بكامله وغاية دعوتنا فى ذلك هى إقامة الإسلام بكامله »(١) .

٣ – القضاء على أسطورة فصل الدين عن الدولة :

وثالثة هذه المزايا أن الجماعات والحركات الأخرى إذا كانت « دينيـة » مثلا فلا تهمها الأمور التى تتعلق بالنواحى الأخرى من الحياة الاجتماعية مثل الناحية السياسية والناحية الاقتصادية وغيرها من نواحى الحياة الاجتماعية بل يقال بأن هذه النواحى الأخرى من الحياة تتعلق بأهل الدنيا ولا يجدر بنا أن نلوث فيها وهكذا إذا كانت تلك الحركات « سياسية » أو « اجتماعية » فلا تهمها الناحية الدينية من الحياة ويقول أصحاب السياسة بأن هذه الناحيه من الحياة تتعلق بالعلماء والمشايخ فحسب ولا يجدر بنا أن ندخل فيها قط ، هكذا لا يجوز للعلماء والمشايخ أن يدخلوا فى حظيرتنا ويتكلموا عن السياسة والحكومة . هم فى واد ونحن فى واد آخر . والمعلوم أن هذا الفكر الخاطىء نتج عن أسطورة فصل الدين عن الدولة التى جاءت بها الحضارة الاستعمارية الغربية ولكن الجماعة الإسلامية لكونها حركة إسلامية شاملة تستهدف انقلابا كاملا فى جميع دوائر الحياة الاجتماعية اهتمـت بالقضاء على هذه الأسطورة ، فيقول الأستاذ المودودى : « هذه الجماعة ليست جماعة سياسية أو جماعة دينية أو جماعة إصلاحية بمفهومها العام ، بل هى جماعة أصولية بمفهومها الواسع وتتسع دائرة النظام الذى قامت به الجماعة إلى كل ناحية من نواحى الحياة الإنسانية »(٢) .

٤ – القضاء على ثنوية الحياة :

والرابع من هذه المزايا أن الجماعة الإسلامية تشمل فى صفوفها « المثقفون »

---

(١) انظر المرجع السابق : ص ٧ .

(٢) منهج الحركة الإسلامية فى المستقبل : ص ٤٠ .

بالثقافة الدينية القديمة ، و« المثقفون » بالثقافة العصرية الحديثة . وكلا العنصرين تحت راية الجماعة الإسلامية يبذلان جهودهما سويا لإقامة النظام الإسلامى الذى لا يمكن إقامته إلا بالتعاون الكامل بينهما . وهذا التعاون بين العنصرين لا يوجد إلا فى الجماعة الإسلامية وأما الجماعات المعاصرة الأخرى فنرى بأنها إذا كانت دينية لا تسمح للمثقفين الجدد أن يدخلوا فى صفوفها وهكذا إذا كانت سياسية أو اجتماعية لا يدخل فيها المثقفون بالثقافة الدينية القديمة إلا قليلا وكانت زعامة تلك الجماعات السياسية بأيدى المثقفين الجدد وكان أكثرهم من العلمانيين أو الشيوعيين ولكن الجماعة الإسلامية بحمد الله تمكنت من جمع كلا العنصرين تحت رايتها وهكذا تمكنت من القضاء على ثنوية الحياة وأسطورة فصل الدين عن الدولة التى هى من أشنع المفاسد التى جاءت بها الحضارة الغربية الحديثة[1] .

٥ – اشتراط التقوى للعضوية :

والخامسة من هذه المزايا أن المقياس الذى اختاره الأستاذ المودودى لعضوية جماعته كان مستنبطا من الكتاب والسنة وكانت التقوى والعلاقة بالله والمجاهدة فى سبيله والاهتمام بحسن السيرة والسلوك من متطلباته الأولى والذى يكون مقصرا فيها لا تقبل عضويته مهما تكن مكانته فى المجتمع والحقيقة أن الأستاذ المودودى كان أكثر اهتماما بصلاحية أعضاء الجماعة الإسلامية من اهتمامه بعددهم ، ويقول : « إنه ليس من المهم أن نكثر من رجال الدعوة ، وإنما المهم أن نستجمع أفرادا يصيرون مضرب المثل فى طهارة الذيل ونظافة التصرف ونسلمهم ما نشاء من الأمانات ثم نطمئن بأننا قد أدينا الأمانة إلى أهلها »[2] .

٦ – الاهتمام باستحكام النظام :

والسادسة من هذه الخصائص هو اهتمام الأستاذ المودودى بأن يكون نظام لدعوة محكما قويا لأنه كان يرى أن التساهل والضعف فى نظام الجماعة يؤدى إلى نهيار الدعوة وفشلها فقرر أن يكون شديدا فى تطبيق النظام بكل القوة

---

(١) انظر الأستاذ المودودى : جماعت إسلامى كى ٢٩ سال ص ٤٣ – ٤٤ .
(٢) الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ، دعوته ، جهاده ، ص ٤٣ .

ولم يسمح للإهمال والتخلخل فيه مهما كانت الأوضاع والحقيقة أن هذا الاهتمام هو سر حقيقى لقوة الجماعة الإسلامية كما أن كثيرا من المفاسد التى نراها فى الجماعات الأخرى نتيجة الإهمال فى هذه الناحية لا توجد فى الجماعة الإسلامية قط . فيقول الأستاذ المودودى : « من أسباب انهيار الدعوات أيضا تخلخل نظامها فقررنا أن يكون نظام دعوتنا فى غاية الشدة ولا نتحمل ولو شيئا يسيرا من التخلخل والضعف فيه نقبل أن ينفصل عنا أعز عزيز لدينا ولكن لا نقبل أن يدخل إلى نظامنا ولو أبسط جانب من الاسترخاء ، إن فئة قليلة فى عددها قوية فى نظامها مرصوصة فى صفها تغلب الحشد الهائل من غثاء السيل »[1] . وهذا ما أثبته تاريخ الجماعة الإسلامية .

٧ - نظام النقد والإصلاح :

والسابعة من المزايا اختيار الأستاذ المودودى نظاما محكما مستقلا للنقد والإصلاح داخل الجماعة ودائرة ذلك النظام تتسع من الأفراد إلى الجماعة ومن الأعضاء إلى الأمير سويا وأما النظام الذى اختارته الجماعة لإصلاح الفرد ، **فالجزء الأول** منه هو الاهتمام بالإصلاح عن طريق حساب النفس وطريقته أن كل واحد من الأعضاء لابد له أن يقدم إلى أمير الفرع فى المجالس الأسبوعية تقريرا مفصلا عن أعماله خلال الأسبوع وذلك من مداومته على الفرائض والواجبات إلى اهتمامه بأعمال الدعوة . **والجزء الثانى** منه هو نقد ذات البين وطريقته بأن كل واحد من الأعضاء يهتم بإصلاح أخيه وإذا خالجه شىء عن أخيه عليه أن يتحدث إليه فى الخلوة ويدعوه إلى إصلاح نفسه وإذا لم يتحقق الإصلاح فيعرض على أمير الفرع الذى يحاول الإصلاح وإذا لم يتمكن من النجاح يعرض الأمر على مجلس الشورى الذى يحاول بدوره الإصلاح وإذا لم يتمكن يتم فصله على هذا القياس، وأما النظام الذى اختير لإصلاح الجماعة **فهو أن** أمير الجماعة والمسئولين الآخرين يقدمون أنفسهم للنقد فى المؤتمرات السنوية وفى اجتماعات مجلس الشورى وأعضاء الجماعة وأعضاء مجلس الشورى ينتقدونهم وذلك النقد تتسع دائرته من سلوكهم الفردى إلى أعمالهم الجماعية ، والحقيقة أن هذا الاهتمام بالنقد والإصلاح لا يسمح للمفاسد

---

(١) المصدر السابق : ص ٤٣ .

الأخلاقية أن تنتشر فى الجماعة أو فى أعضائها . يقول الأستاذ المودودى عن هذا الاهتمام :
« فالنقد إذا روعيت فيه الحدود والآداب فإنه لا يعود علينا بالنفع فحسب بل هو ضرورى لا غنى عنه لإصلاح الحياة الاجتماعية وبدونه لا تستطيع أى جماعة من الجماعات المنظمة أن تبقى متمسكة بالحق سالكة طريق الصواب لمدة طويلة ويجب ألا يكون فى جماعتكم أحد يستثنى من النقد سواء كان هو أميركم أو مجلسكم للشورى أو جماعتكم بأجمعها . وإنى لأعتقد أن النقد بهذه الصفات لا مندوحة عنه للاستبقاء على صحة الجماعة . فإذا أغلق بابه فى حياتنا الجماعية – لا سمح الله – فلابد أن ينفتح على الفور باب الفساد والاضطراب الداخلى فيها »[١] .

٨ – تجنب الوقوع فى الخلافات بين المسلمين :

والسمة الثامنة لهذه الدعوة هى تجنب الوقوع فى الخلافات الفرعية بين المسلمين كانت فقهية أو عقائدية . فكانت الجماعات الدينية تقوم على أساس هذه الخلافات ، ومع الأسف فهذه الحالة لم تزل تستمر وتلك الجماعات لا يهمها الدين نفسه كما تهمها هذه الخلافات الفرعية الواهية . فلذا لم تكن مهمتها إلا بذل كل ما يمكن لانتشار تلك الخلافات مهما تكن أوضاع المسلمين والعلماء والمشايخ فى دروسهم وخطبهم بعضهم يكفرون البعض ويبذلون ما فى وسعهم لإشعال نار تلك الخلافات الفرعية حتى تقام المجادلات والمناظرات الخاصة بينهم لتحقيق ذلك الهدف الشنيع . ومن المؤلم أن المدارس والمساجد التى تقيمها تلك الجماعات لم تكن أبوابها مفتوحة للآخرين[٢] . ولكن الأستاذ المودودى حذر جماعته من الوقوع فى تلك الخلافات وقال : « على أعضاء الجماعة أن يتجنبوا الأمور التى تجعلهم فرقة من فرق المسلمين فلا يجعلون مساجد خاصة لصلاتهم ولا يقعون فى المناظرات والمجادلات مع المسلمين الآخرين »[٣] .

ولذلك نرى أن الجماعة الإسلامية تضم فى صفوفها الحنفية وأهل الحديث سويا ، وهكذا انضم إليها عدد غير قليل من الذين كانوا فى أول أمرهم من الديوبنديين أو البريلويين ، كما يسميان فى شبه القارة الهندية .

---

(١) الأستاذ المودودى . تذكرة دعاة الإسلام – ص ٩١ .
(٢) انظر تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند : ص ١٩٦ .
(٣) تقرير عن الجماعة الإسلامية : الجزء الأول ص ١٣ .

٩ – البعد عن العنف والتخريب :

والسمة التاسعة التى تمتاز بها دعوة الأستاذ المودودى هى بعدها عن العنف والتخريب وتجنبها استخدام طرق غير قانونية وسرية مهما تكن الأوضاع لأن استخدام طرق غير قانونية وسرية أو وسائل العنف والتخريب هى من سمات الحركات الهدامة كالشيوعية والاشتراكية ولا يجدر بالحركة الإسلامية قط ، وتاريخ الدعوة الإسلامية فى دورها المكى خير شاهد على ذلك . والحقيقة بأن استخدام تلك الطرق والوسائل يبعد الناس عن الدعوة وينفرهم منها لأنهم لا يجدون أى فرق بينها وبين الحركات الهدامة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن استخدام وسائل التخريب وطرق غير قانونية يتيح الفرصة للطواغيت أن يتمكنوا من تشويه صورة الحركة فى أعين الناس والقضاء عليها . فلذلك تتجنبها الجماعة تجنبا كاملا . فيقول دستور الجماعة : « لا يقوم كفاحها للوصول إلى غايتها على النشاط السرى على غرار الحركات السرية فى العالم بل إنها تعمل كل ما تعمل علنا وفى وضح النهار »[١] .

١٠ – موقف الجماعة الإسلامية من الجماعات الدينية الأخرى :

والعاشرة من هذه المزايا هو موقف الجماعة الإسلامية من الجماعات الدينية الأخرى . ونرى أن الجماعات الدينية الأخرى تظن كل واحدة منها بأن الحق كله معها والذى لم يدخل فيها حق عليه القول : « من شذ شذ فى النار » ولكن الأستاذ المودودى فى أول أمره حذر أعضاء الجماعة الإسلامية من الوقوع فى هذه الفكرة الخاطئة فى أول خطاب له بعد قيام الجماعة : « إن الذين يوفقهم الله بالقيام بأداء واجب الدعوة ولإقامة النظام الإسلامى ليس من الضرورى أن تكون لهم جماعة واحدة فحسب بل قد تكون هناك أكثر من جماعة واحدة فلا يجوز لأى واحدة منها أن تقوم بالدعوة بأنها وحدها هى جماعة إسلامية وأميرها وحده هو

---

(١) انظر المادة الخامسة (٤) من دستور الجماعة الإسلامية بباكستان .

أمير المؤمنين فلذلك لابد لمن يدخل فى جماعتنا أن يتجنب الغلو فيها فنحن لسنا فرقة من هذه الفرق . ونستعيذ بالله أن نكون سببا من أسباب الفساد والفتنة فى الأمة الإسلامية بدلا من أن تقوم بخدمة الدين »[1] .

---

(١) تقرير عن الجماعة الإسلامية : الجزء الأول ص ٩ .

المبحث الثالث

منهج دعوة الأستاذ المودودى

إن منهج الأستاذ المودودى فى الدعوة ، كأصول دعوته مأخوذ من الكتاب والسنة ، فيقول الأستاذ المودودى « والحقيقة أن منهجنا كدعوتنا ، إنما هو مأخوذ من القرآن الكريم وسيرة الأنبياء عليهم السلام »[١] .

والأجزاء التى يشملها هذا المنهج للدعوة كالآتى :

الجزء الأول : القدوة قبل الكلمة : فيتطلب هذا الجزء من المنهج من كل من يقبل هذه الدعوة أن يعمل بمقتضيات الإسلام ويدخل فى دين الله كافة لقوله سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ﴾[٢] ويبذل جهوده لتزكية حياته من كل ما يخالف مقتضيات الإسلام ومتطلباته فيقول الأستاذ المودودى :

« فالذين يقبلون دعوتنا ويظهرون استعدادهم لحمل أعبائها وتبليغ رسالتها معنا ، فإن أول ما نطالبهم به أن يدخلوا فى دين الله كافة ويصطبغوا بصبغته بجملة شئون حياتهم الفكرية والعملية ويجعلوا سلوكهم العام فى الحياة هو الدليل على إخلاصهم وتجردهم ، ويبذلون سعيهم لتزكية حياتهم وتطهيرها من كل شىء يخالف إيمانهم »[٣] .

فمن مقتضيات هذا الجزء من المنهج أن الداعية يبذل ما فى وسعه لتزكيته وتربيته وتكوين شخصيته على المنهج الإسلامى ويجتنب فى معيشته وسائل الحرام وفى معاملاته الخداع والتزوير ولا يهتم بلومة لائم فى سبيل الدعوة حتى تكون حياته العملية شاهدة على صدقه وإخلاصه لدعوته ولا يمكن للمرء أن يستمر فى

---

(١) انظر الأستاد المودودى : تذكرة دعاة الإسلام ص ٢٥ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٢٠٨ .
(٣) الأستاذ المودودى : تذكرة دعاة الإسلام – ص ٢٥ – ٢٦ .

عمل الدعوة إلا إذا اهتم بالعمل بمقتضيات الإسلام . فيقول الأستاذ المودودى :

« هذه هى المرحلة الأولى التى قد هيأتها لنا المشيئة الإلهية بنفسها لتربية الأفراد على ما يحتاج سلوك هذا الطريق من الصلاح والتقوى والإخلاص والأخلاق القوية الطاهرة . والذين يفشلون فى محن المرحلة الأولى يبتعدون عنا بأنفسهم دون أن نعمل شيئا فى فحصهم ونفكر فى فصلهم »[١] .

والحقيقة أن هذا الجزء من المنهج له أهمية بالغة فى العمل بمتطلبات الدعوة ولا يمكن العمل فى مجال الدعوة إلا بالتمسك بها فيقول الأستاذ المودودى :

« لا تنقص الأمة الإسلامية كلمات عن الإسلام متلألئة وأحاديث فى الخلق ممتعة وبحوث عن حكمة الدين تضحك على اللؤلؤ والمرجان وحكايات عن أبطال الإسلام تأخذ باللب والجنان ، وإنما تنقصها النماذج الحية للمثل العليا ، ينقصها رجال جسدوا فى حياتهم تلك الكلمات وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وتنقصها جماعات تصدق أعمالها دعاويها فلا ينطبق عليها قول الله عز وجل : ﴿ لم تقولون ما لا تفعلون ﴾[٢] »[٣] .

الجزء الثانى : القيام بعمل الدعوة ومقتضياته : ويتطلب الجزء الثانى لهذا المنهج أن يقوم الداعية فعلا بعمل الدعوة ويدعو الناس إلى الحق الذى شرح الله صدره له . وذلك لقوله سبحانه : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾[٤] فيقول الأستاذ المودودى :

« والأمر المهم الثانى الذى نلزمه أعضاءنا بعد قبولهم هذه الدعوة هو أن يُعَرِّفُوا الحق الذى شرح الله له صدورهم وهداهم إلى نوره إلى مَنْ حولهم من الناس ممن يرتبطون بهم بروابط القرابة أو الصداقة أو الجوار أو البيع أو الشراء ويدعوهم إلى الاستظلال بظله الوارف المريح »[٥] .

---

(١) الأستاذ المودودى : تذكرة دعاة الإسلام – ص ٢٧ .
(٢) سورة الصف : الآية ٢ .
(٣) الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ، دعوته وجهاده ص ٥٢ .
(٤) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .
(٥) الأستاذ المودودى : تذكرة دعاة الإسلام – ص ٢٩ .

ومن متطلبات الاهتمام بهذه المبادىء أن يعتنى الداعية بالأمور الآتية :

أولا : الاهتمام بالحكمة والموعظة الحسنة : والمراد من الاهتمام بالحكمة والموعظة الحسنة خلال العمل فى مجال الدعوة أن معاملة الداعية مع الناس تكون معاملة الطبيب مع المرضى وهو يصف المرض ويدرس طبيعة المريض ويختار له الدواء حسب المرض وطبيعة المريض وهو لا يكون كالطبيب الذى لا يعرف إلا استعمال إبرة واحدة ويطعمها كل من يراجعه ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى هو يكون كالطبيب الذى يحارب المرض ولا يحارب المريض . ويقول الأستاذ عن اهتمام جماعته بتنشئة هذه الأوصاف الحكيمة فى الداعية :

« وبهذا الصدد قد بذلنا أقصى ما كنا نملك من الجهد والتفكير لأن نرشد أعضاءنا والعاملين معنا إلى الطريق الذى قد دعا الله إليه سبحانه وتعالى فى القرآن حيث يقول : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾[1] أى أن يعرضوا الناس قبل كل شيء على مبادىء الدين الأساسية ثم يدعوهم إلى مطالبه ومقتضياته ولوازمه شيئا فشيئا وأن لا يجرعوا أحدا منهم غذاء يستعصى على قوة هضمه ، وأن لا يقابلوا الواقعين فى الغفلة والضلال الاعتقادى والعملى بالكراهة والاحتقار والازدراء ، بل عليهم أن يوجهوا فكرهم إلى علاجهم ومواساتهم وبذل النصيحة لهم بمثل ما يعامل به الطبيب مريضه »[2] .

ثانيا : الاهتمام بمبدأ الأهم فالمهم : والمراد منه الاهتمام بالأمور حسب أهميتها ومكانتها فى الدين ، ومن متطلبات هذا المبدأ : «ألا تقدم الفروع على الأصول وألا تقدم الأحكام الجزئية على الكليات والقواعد الشاملة وأن تعالج المفاسد الأساسية قبل تهذيب المفاسد الظاهرة وقطع الفروع الخارجية وشذبها قبل أن يعالجوا المفاسد الأساسية الثابتة من الداخل »[3] وانطلاقا من هذا المبدأ لا يقع أعضاء الجماعة الإسلامية وأنصارها فى الخلافات الفقهية ولا يهتمون بالفروعات خلال عملهم فى مجال الدعوة بل يركزون كل التركيز على الأصول والكليات ،

---

(١) سورة النحل : الآية ١٢٥ .

(٢) الأستاذ المودودى : تذكرة دعاة الإسلام ص ٣٢ .

(٣) المرجع السابق – ص ٣٢ .

كما كان انطلاقا من هذا المبدأ أن قررت الجماعة الإسلامية أن تجعل إقامة الحكومة الإسلامية هدفا أساسيا لجهودها فى مجال الدعوة . وذلك لأن أحكام الإسلام وتعليماته لا يمكن العمل بها إلا بإقامة الحكومة الإسلامية ، وكذلك المفاسد الاجتماعية لا يمكن القضاء عليها إلا إذا كانت السلطة بأيدى المؤمنين الصالحين ، و« ملخص القول أن فساد البشرية وانحراف المجتمعات وتسكع الحضارات يأتى كل ذلك من مصدر السلطة لا يخضع لوحى الله ، نعم ، وإذا صلح ذلك المصدر صلحت الحياة البشرية ، وإذا فسد ذلك المصدر فسدت الحياة حسب تعبير الإمام المودودى رحمه الله ... فدخول الإمام المودودى بجماعته فى المعارك الانتخابية واستخدامه كل الوسائل السياسية لإصلاح الحكم دون اللجوء إلى التخريب يرجع إلى نفس المنطلق »[1] .

ثالثا : الاهتمام بالصبر والصمود : ومن متطلبات العمل فى مجال الدعوة أن يهتم الداعية بالصبر والصمود ، ويتحمل بالصبر والثبات مايتأتى فى طريق الدعوة من الاستهزاء والسخرية والإيذاء والشدائد والحقيقة أن العمل فى مجال الدعوة لا يمكن إلا بالاهتمام بالصبر والثبات لقوله سبحانه : ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾[2] . فيقول الأستاذ المودودى : « ومما لا مجال فيه للريب أن أكبر ما يحتاج إليه الإنسان لسلوك هذا المنهج هو الجهد المستمر مع الصبر على الشدائد والثبات فى المصاعب ، إذ هو لا يرى فيه إلى مدة طويلة زرعا أخضر من النتائج المرضية الرائعة كما يراه متمثلا بين يديه يعجب نظره ويثلج صدره فى عشية أو ضحاها إذا ما قام بأعمال سطحية عاجلة ، وبذلك ينشأ فى الداعى من جهة قوة الإيمان والبصيرة النافذة ، والجد والوقار والمروءة وسمو الأخلاق والترفع عن سفاسف الأمور وهذا ما سيكون فى أشد الحاجة إليه فى مراحل الدعوة المقبلة التى لا يكون زاده فيها إلا الصبر والجد والحكمة والبصيرة . ومن جهة أخرى فإن الدعوة وإن كانت لا تتقدم بهذا الأسلوب بخطوات سريعة إلا أن كل خطوة من خطواتها فيه تكون فى غاية من الرسوخ والأستحكام »[3] .

---

(١) الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ، دعوته ، جهاده ، ص ٥١ .
(٢) سورة العصر : الآية ٣ .
(٣) الأستاد المودودى : تدكرة دعاة الإسلام – ص ٣٣ – ٣٤ .

والحقيقة أن الداعية لا يمكن له أن يستمر فى عمله ولا يمكن له أن يتمكن من تحقيق هدفه إلا إذا اهتم بمقتضيات هذه المبادىء ، وأسوة النبى ﷺ وأصحابه فى عمل الدعوة هى خير شاهد على هذا الاهتمام .

الجزء الثالث : الاهتمام بالاستحكام فى نظام الدعوة : وكذلك من متطلبات العمل فى مجال الدعوة أن يكون نظام الدعوة محكما وقويا حيث لا يدخل فيه التساهل والضعف ، وذلك لأن هذا ما يؤدى بالدعوة إلى الفشل والانهيار فيقول الأستاذ المودودى : « من أسباب انهيار الدعوات أيضا تخلخل نظامها ، فقررنا أن يكون نظام دعوتنا فى غاية الشدة والقسوة ، ولا نتحمل ولو شيئا يسيرا من الضعف والتخلخل نقبل أن ينفصل عنا أعز عزيز لدينا ولا نقبل أن يدخل إلى نظامنا ولو أبسط جانب من الاسترخاء ، إن فئة قليلة فى عددها قوية فى نظامها مرصوصة فى صفها تغلب الحشد الهائل من غثاء السيل ولذلك جعلنا من شروط العضوية أن يكون عضو الدعوة يلتزم بالفرائض ويجتنب الكبائر ويحلل ما أحله الله ويحرم ما حرمه الله . وهذه الشروط أقل ما يلزم به المسلم من عند الله ورسوله ، ومن لا يستطع الالتزام بذلك فليس منا »[1]

الجزء الرابع : الاهتمام بالتكوين والتربية : ومن متطلبات العمل فى مجال الدعوة هو الاهتمام بالتكوين والتربية ، وذلك لأن الداعية لا يمكن له أن يستمر فى عمل الدعوة إلا إذا كان قويا فى العقيدة وموثوقا فى سلوكه الفردى ، وهذا ما يحتاج إليه الاهتمام بالتكوين والتربية . فيقول الأستاذ المودودى :

« مما يدل عليه مشاهداتى أن الشىء الذى ضرب فى النهاية الحركات والدعوات هو انضمام رجال غير مستقيمى السيرة إليها ... وفى ضوء هذه المشاهدات والتجارب أرى أنه ليس من المهم أن نكثر من رجال الدعوة . وإنما المهم أن نستجمع أفرادا يصيرون مضرب المثل فى طهارة الذيل ونظافة التصرف ونسلمهم ما نشاء من الأمانات ثم نطمئن بأننا قد أدينا الأمانة إلى أهلها »[2] .

ويقول الأستاذ المودودى متكلما عن أهمية التربية فى الدعوة :

---

(١) الأستاذ خليل الحامدى . الإمام أبو الأعلى المودودى - حياته ، دعوته ، وجهاده ، ص ٤٣ .
(٢) المرجع السابق : ص ٤٣ .

« الذين ننظمهم فى سلك التنظيم الواحد نعنى بتربيتهم الفكرية والخلقية حتى تكون فكرتهم أكثر وضوحا وقلوبهم أكثر نزاهة وقوة وأجدر بالثقة والاعتماد ، ولا يخفى علينا منذ أول أمرنا أنه من المستحيل أن يقوم النظام الإسلامى بمجرد رسم الخطط على القرطاس والدعاوى الفارغة بل الذى يتوقف عليه قيامه ونفاذه هو : هل يستند هذا النظام إلى مواهب فكرية إنسانية وطباع فردية صالحة أم لا ؟ »(١) .

وجدير بالذكر أن الأسلوب الذى اختاره الأستاذ المودودى لإعداد الرجال للوصول إلى هذه الغاية لم يكن اللجوء إلى الكهوف والزوايا والحجرات أو ممارسة الأساليب الخاصة الشائعة عند شيوخ الطرق بل كان نفس الأسلوب الذى اختاره القائمون بعمل الدعوة فى كل زمان ، وهو الانشغال بعمل الدعوة فعلا والاهتمام المستمر بالتمسك بمتطلبات الدعوة فى الحياة العملية ، كما يقول الأستاذ المودودى : « لا نحتاج فى إعداد الرجال اللجوء إلى المغاور والكهوف ، ولا إلى اختيار أساليب معينة فى تزكية القلوب بل الطريق الصحيح للتربية أن ينهض الرجل للدعوة إلى دين الله، فإنه بمجرد أن يقوم بهذا الأمر يتسارع الناس إلى وضع أصابعهم على ما فيه من نقص وعيب متسائلين : كيف أن فضيلة الداعية ينصحنا بكذا وكذا ولكن عمله يخالف ما يقول هده هى التربية التى ينالها كل من يتولى مهمة الدعوة يوميا، فيكون مثله كمثل إناء تدلكه الأيدى الكثيرة إلى أن تصقله جيدا ولا تترك عليه شيئا من الأوساخ .. ولا أعرف أسلوبا آخر أكثر نفعا وأقوى تأثيرا لإعداد الرجال غير هذا الأسلوب ولا أرى كذلك أن هذا النمط من التربية يمكن الحصول عليها فى الزوايا والحجرات »(٢) .

الجزء الخامس : الاهتمام بإصلاح المجتمع : والمراد منه إصلاح المجتمع فى كل ناحية من نواحيه ، وتتسع دائرته إلى كل طبقة من طبقاته المختلفة ، والحقيقة أن الدعوة الإسلامية لا يمكن تحقيق أهدافها إلا بالعناية بإصلاح المجتمع ، والنظام الإسلامى لا يمكن إقامته حتى تليق الحالة الاجتماعية لإقامته ، فلذا لابد لمن يقوم

---

(١) الأستاذ المودودى : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم - ص ١٨٤ .

(٢) الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى - حياته ، دعوته ، وجهاده ، ص ٤٤ - ٤٥ .

بواجب الدعوة الإسلامية أن يهتم بإصلاح المجتمع بكل العناية والاهتمام فكان من هذا المنطلق أن قرر الأستاذ المودودى أن يهتم بإصلاح المجتمع بصفة خاصة ويجعله إحدى المبادىء الأساسية لبرنامج دعوته[1]، وفى هذا الصدد رأى الأستاذ أن يختار أسلوب التصنيف وذلك ليكلف الرجل المناسب للعمل فى مكانه المناسب ، فكان من هذا المنطلق أن قسم الأستاذ المودودى العاملين فى مجال الدعوة فى الدوائر المختلفة ، وذلك حسب مواهبهم الشخصية ودائرة عملهم فى المجتمع ... فمنهم من كلف للعمل مع طلاب الجامعات والكليات الحديثة ، ومنهم من بدأ عمله مع طلاب المعاهد الدينية ، ومنهم من اعتنى بالعمال فى المصانع ومنهم من بدأ عمله مع الفلاحين وأهل القرى ، ومنهم من بدأ يعمل مع الموظفين فى الدوائر الحكومية المختلفة ، ومنهم من بدأ يبذل جهوده للعمل مع أساتذة الجامعات والكليات الحديثة ، ومنهم من بدأ عمله مع العلماء والمشايخ ومنهم من دخل فى ميدان الشعر والأدب ومنهم من دخل فى مجال الصحافة ومنهم من بدأ يعمل مع رجال القانون والمحامين ومنهم من بدأ يشتغل مع الدكاترة والمهندسين وهؤلاء العاملين فى الدعوة فى دوائر المجتمع المختلفة كل واحد منهم يعمل للوصول إلى نفس الهدف فيقول الأستاذ المودودى : « فهؤلاء جميعا وإن كانوا بأعمالهم فى دوائرهم الخاصة ، ولكن قد وضعوا أمام أعينهم مقصدا وحيدا ومشروعا بعينه يريدون ويجتهدون ليوجهوا إليه جميع طبقات الأمة »[2] . فكان بفضل الله ثم بفضل هذا الأسلوب الحكيم أن تمكنت الجماعة من نشر دعوتها فى كل طبقة من طبقات المجتمع المختلفة ومن إنقاذهم من الشيوعية والاشتراكية والعلمانية وما إلى ذلك من الحركات الهدامة .

الجزء السادس : العناية بإصلاح الحكومة : من المعلوم أن الدعوة الإسلامية لا يمكن العمل بمتطلباتها إلا بإقامة النظام الإسلامى ، وهذا الهدف السامى لا يمكن تحقيقه إلا إذا كانت السلطة فى أيدى المؤمنين الصالحين الذين تكون غاية حكمهم الاهتمام بتنفيذ الحدود الشرعية والعمل بالتعليمات الإسلامية من ناحية ، والقضاء التام على المفاسد الاجتماعية والحركات الهدامة فى المجتمع الإسلامى من

---

(١) انظر للتفصيل الأستاذ المودودى : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم - ص ١٨٤ .
(٢) الأستاذ المودودى : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم - ص ١٨٥ .

الناحية الأخرى ، فإصلاح الحكومة إذن واجب دينى لا يمكن للداعية أن ينصرف عن أدائه مهما تكن الأوضاع فيقول الأستاذ المودودى متكلما عن أهمية إصلاح الحكومة : « فإن الفساد الذى يبث فى الناس آثاره معتمدا على قوى التعليم والقانون والإدارة وتوزيع الرزق لا يمكن أن يجدى شيئا فى قمعه ما يبذل من الجهود للإصلاح والبناء بالاعتماد على وسائل الوعظ والتلقين والدعوة والإرشاد فحسب ، فإن كنا نريد اليوم أن نبعد بنظام الحياة فى بلادنا عن طريق الضلال والفساد والفسق والعصيان ونسير به فى طريق الإسلام المستقيم ، فلابد لنا أن نبذل جهودنا بطريق مباشر فى إزاحة الفساد عن منصة النفوذ والسلطة وإحلال الصلاح مكانه »[1] .

وكان من هذا المنطلق أن قررت الجماعة الإسلامية أن تخوض معارك الانتخابات لكى تربى الرأى العام وتطهر طريقة الانتخاب من الغش والتزوير ، وبهذا تتمكن من الوصول إلى السلطة لإقامة الحكومة الإسلامية وتنفيذ الحدود الشرعية .

فيتبين مما أسلفنا أن منهج الأستاذ المودودى فى الدعوة كان مستنبطا من الكتاب والسنة وأسوة النبى ﷺ . هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى يتسع نطاق دائرته إلى كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية .

---

(١) الأستاذ المودودى : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم - ص ١٨٧ .

المبحث الرابع

المراحل التى مرت بها دعوة الأستاذ المودودى

كما أسلفنا أن الأستاذ المودودى بدأ عمله فى مجال الدعوة عام ١٩٢٩ م حينما أفرغ نفسه ليستعد لمهمة الدعوة السامية وظل يقود الحركة الإسلامية فى شبه القارة الهندية ، فكريا وعمليا ، لحوالى نصف قرن . ومرت الحركة خلال هذه المدة بعدة مراحل حسب مقتضيات الظروف والأوضاع ، ولا يمكن لنا أن نفهم هذه الدعوة فهما صحيحا إلا إذا فهمنا مراحلها المختلفة فنرى ضروريا أن ندرس هنا هذه المراحل دراسة إجمالية . فيمكن لنا أن نقسم هذه المراحل كالآتى :

١ – الاستعداد للدعوة .

٢ – بداية الدعوة .

٣ – التكوين والتربية .

٤ – الجهاد لإصلاح المجتمع وإقامة الحكومة الإسلامية .

وإليك موجز هذه المراحل :

المرحلة الأولى : استعداد المودودى لعمل الدعوة :

فى أواخر عام ١٩٢٨ م قرر الأستاذ المودودى أن يترك مجال الصحافة ويفرغ نفسه ليستعد لمهمة الدعوة الجليلة استعدادا كاملا وكان لهذا القرار أن ترك الأستاذ عمله كرئيس التحرير لجريدة « الجمعية » وغادر « دلهى » إلى « حيدر آباد الدكن » حيثما بدأ يقضى معظم أوقاته فى المطالعة استعدادا للقيام بواجب الدعوة . واستمر فى ذلك حتى نهاية عام ١٩٣٢ م فيقول الأستاذ عن ذلك الاستعداد : « أفرغت من عام ١٩٢٩م إلى عام ١٩٣٢م العديد من خزانات الكتب والمراجع فى ذهنى استعدادا للمهمة الجديدة ، مهمة الدعوة إلى الإسلام فى عصر ملىء بالأفكار والتيارات ، عصر يفرض على الداعية أن يتزود بزاد علمى شامل ،

وأن يحظى بعصا من البرهان يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه ويحقق بها مآرب أخرى »(١) . والحقيقة كان بفضل ذلك الاستعداد التام لعمل الدعوة أن تمكن الأستاذ المودودى من قيادة الحركة الإسلامية فى هذا العصر الملىء بالتيارات والتحديات . كما تمكن من مواجهة التحديات التى يواجهها الإسلام والمسلمون نتيجة لاستيلاء الاستعمار الأوربى الغاشم وحضارته الجاهلية على العالم الإسلامى .

المرحلة الثانية : بداية الدعوة والاهتمام بالنقد للجاهلية الحديثة :

وبعد استعداده لعمل الدعوة قرر الأستاذ المودودى عام ١٩٣٣ م أن يقوم بواجب الدعوة بتوليه إدارة مجلة « ترجمان القرآن » الشهرية التى كانت تصدر من حيدر آباد الدكن . ويشير الأستاذ إلى هذه المهمة الجديدة فى الافتتاحية للعدد الأول لهذه المجلة حيث يقول : « إن هذه المجلة تضع اليوم قدمها فى طريق محفوف بالمصاعب والمحن وتولى عبئها رجل يعترف لا اعتراف المجاملة بل اعتراف الحقيقة بأنه ضعيف فاقد القيمة صفر اليدين ، ولكنه رغم وعورة الطريق استعد لحمل هذا العبء على يقين واضح بأن الله الذى نور قلبه بالإسلام وخلق فى نفسه حب الدعوة إليه هو الذى سوف يؤازره بنصر من عنده ويمنحه الرسوخ فى العلم والصحة والفكر والسلامة فى القلب والطهارة فى النفس والسمو فى الروح(٢) .

وقرر الأستاذ أن يبدأ عمله فى هذا المجال بالنقد للنظريات اللادينية والفلسفات المادية التى جاءت بها الحضارة الحديثة تحت رعاية الاستعمار الأوربى الغاشم لإنقاذ المسلمين من عبوديتها الفكرية . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى بعرض مبادىء الإسلام الأساسية لكل دائرة من دوائر الحياة المختلفة ولإعادة ثقتهم فى الإسلام لقيادة البشرية فى هذا العصر وذلك بالأسلوب العصرى الجذاب مؤيدا بالبراهين العقلية القوية والأدلة من الكتاب والسنة . وهذا ما كان يشير إليه غلاف المجلة فى كل أعدادها بالعبارة التالية :

---

(١) الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى– حياته، دعوته، وجهاده ، ص ١٨–١٩.

(٢) المرجع السابق : ص ١٩ .

« إن هذه المجلة فريدة فى نوعها فى أنحاء شبة القارة الهندية وغايتها الوحيدة إعلاء كلمة الله والدعوة إلى الجهاد فى سبيل الله ومهمتها الأصلية هى نقد الأفكار الحديثة ومبادىء الحضارة والمدنية السائدة بمحك القرآن ، ثم عرض المبادىء التى جاء بها كتاب الله وسنة رسوله فى كل مجال من مجالات الفلسفة والعلم والسياسة والاقتصاد والمدنية والاجتماعية وتطبيق تلك المبادىء على ظروف العصر الحاضر وإن هذه المجلة تدعو الأمة المسلمة إلى حياة جديدة وخلاصة دعوتها : أيها الناس اجعلوا قلوبكم وأذهانكم مسلمة خاضعة لله ولرسوله ﷺ وتخلوا عن نظم الجاهلية واسلكوا صراط الله المستقيم وخذوا كتاب الله بالقوة لتكونوا سادة العالم وأئمة الحضارات »[1] .

وجملة القول أن تناول الأستاذ الجاهلية القديمة والجاهلية الحديثة بكل أنواعها وانتقدها بالبراهين والأدلة القوية كما أخذ النظريات اللادينية والفلسفات المادية التى جاءت بها الحضارة الجاهلية الحديثة وانتقدها بالأدلة والبراهين كما انتقد الدعوات والحركات التى أنشئت فى المجتمعات الإسلامية تحت رعاية الاستعمار ولتحقيق أهدافها كما انتقد القائمين بتفسير القرآن لتأييد ما جاءت به الحضارة الجاهلية الغربية وكذلك انتقد المنكرين للسنة النبوية . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى اهتم الأستاذ ببيان النواحى المختلفة لنظام الحياة الإسلامى ، وبين أن الإسلام دين كامل يشمل كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية ويحل مشكلات الحياة الإنسانية كلها ، وذلك بأسلوب يفهمه الإنسان العصرى ، وبالأدلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القاطعة[2] .

تمتد تلك المرحلة للدعوة من عام ١٩٣٣ م إلى عام ١٩٤١ م والكتب والبحوث التى أصدرها الأستاذ المودودى خلال تلك الفترة حول مقتضيات تلك المرحلة للدعوة هى كالآتى :

١ – الحضارة الإسلامية – أسسها ومبادئها .

٢ – مسألة الجبر والقدر ٣ – نحن والحضارة الغربية .

---

(١) الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ، دعوته وجهاده، ص ٢٠ .

(٢) انظر الأستاذ المودودى : جماعت إسلامى كامقصد ، تاريخ أور لائحة عمل ، ص ٢١ – ٢٢ .

٤ – الإسلام فى مواجهة التحديات ٥ – مبادىء إسلامية حول الدين والدولة .

٦ – حقوق الزوجين ٧ – حركة تحديد النسل .

٨ – مبادىء الإسلام ٩ – فى محكمة العقل – التوحيد والرسالة والآخرة .

١٠ – أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة .

١١ – الحجاب ١٢ – الخطب .

١٣ – نظرية الإسلام السياسية ١٤ – نظرة فاحصة على العبادات الإسلامية .

١٥ – تجديد الدين وإحيائه ١٦ – كيف تقام الحكومة الإسلامية .

١٧ – استفسار ذو بال ١٨ – المصطلحات الأربعة فى القرآن .

١٩ – الإسلام والجاهلية ٢٠ – منهج جديد للتعليم والتربية .

٢١ – معضلات الإنسان الاقتصادية وحلها فى الإسلام[١] .

وجدير بالذكر أن هذه الكتب لها دور هام فى إنقاذ المسلمين من العبودية الفكرية للحضارة الغربية ، وإعادة ثقتهم فى صلاحية الإسلام لقيادة البشرية فى هذا العصر . ويقول الأستاذ أحمد إدريس عن تلك المرحلة للدعوة : « والواقع أن الدارس للحركة التى أسسها الأستاذ المودودى يلاحظ أن (ترجمان القرآن) كانت المشعل الذى أضاء طريقها ، فبها ربى الأستاذ عقولا وبها نشر دعوته وأزال كتلا من التصورات الخاطئة ، وفتح قلوبا وغزا أفئدة ، نزل الأستاذ ميدان الجهاد وفى يده سلاح واحد اعتمد عليه فى تأسيس الجماعة الإسلامية التى تعتبر من أكبر وأنجح الحركات الإسلامية فى العالم كله ، وجعل مقالاته جيوشا تغزو العقول وتخضع القلوب ، وهو أمر فريد فى ذاته وترجمان القرآن التى أسس بها الأستاذ حركته هى بلا شك حجر الزاوية فى هذه الحركة[٢] .

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٦ – ٢٧ .
(٢) أحمد إدريس : أبو الأعلى المودودى – صفحات من حياته وجهاده ، ص ٣٨ .

ويقول الأستاذ مسعود الندوى : « وجملة القول إن بضع السنين الأولى من مجلة ترجمان القرآن ، كانت أعوام نشر الفكرة وبث مبادىء الدعوة كأن صاحبها مهد السبيل بذلك وهيأ الأسباب لما كان يريده من إقامة حركة دينية شاملة ، وكأن مساعيه فى تلك الأعوام كانت بمثابة نواة للحركة الإسلامية الخالصة »[1] .

وخلال تلك المرحلة للدعوة الإسلامية فإن الأستاذ المودودى اهتم ببيان موقف (الحركة الإسلامية) من كل من الأحزاب الآتية : من حزب المؤتمر الهندى وسياسته تجاه الإسلام والمسلمين ، ومن حركة القومية الهندية الوطنية ، ومن حزب رابطة المسلمين وسياساته ، كما أنه خلال حديثه حول هذه الموضوعات قد بين الفرق بين الإسلام وما ينسب إلى المسلمين ، وبين الجماعة الإسلامية ، وأحزاب المسلمين السياسية وذلك بالأدلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية وقد صدرت بحوثه حول هذه الموضوعات فيما بعد بصورة كتب مستقلة وهى : المسلمون والصراع السياسى الحاضر – ثلاثة أجزاء ، ومسألة القومية[2] . وخلال تلك المرحلة فقد هاجر الأستاذ إلى قرية « دار الإسلام » ليجعلها مستقر الدعوة وذلك تلبية لدعوة الدكتور محمد إقبال[3] .

المرحلة الثالثة : تأسيس الجماعة والاهتمام بالتكوين والتربية ونشر الدعوة :

تبدأ تلك المرحلة للدعوة الإسلامية من تأسيس الجماعة الإسلامية فى أغسطس عام ١٩٤١ الميلادى وتمتد إلى استقلال البلاد عام ١٩٤٧ م ، وتمتاز هذه الفترة للدعوة الإسلامية بالعناية بالتكوين والتربية والاهتمام بنشر الدعوة الإسلامية . واختارت الجماعة برنامجا خاصا لتربية أعضائها من النواحى الفكرية والعلمية والعملية . ويشمل هذا البرنامج دراسة القرآن والحديث والعلوم الدينية الأخرى ، فضلا عن دراسة العلوم الاجتماعية الحديثة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يركز هذا البرنامج على تربية عملية لأعضاء الجماعة الإسلامية من النواحى

---

(١) الأستاذ مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند – ص ٢٨١ .
(٢) انظر الأستاذ المودودى : جماعت إسلامى كامقصد تاريخ أور لائحة عمل ، ص ٣١ – ٣٢ .
(٣) انظر أحمد إدريس : أبو الأعلى المودودى – صفحات من حياته وجهاده ، ص ٤١ – ٤٢ .

الخلقية والدينية والسلوكية ، وذلك ليتمكنوا من أداء واجب الدعوة ومن مواجهة التحديات التى كانت لابد أن تواجههم فى طريق الدعوة .

وكان لذلك التركيز على التكوين والتربية للأعضاء أن قرر مجلس الشورى للجماعة الإسلامية نقل مقرها الرئيسى من مدينة « لاهور » إلى قرية « دار الإسلام » التى تحدثنا عنها آنفا وذلك لكونها بعيدة عن المدن وفى وسط الغابات . ويقول الأستاذ المودودى عن ذلك القرار لمجلس الشورى : « كنا نستهدف من وراء هذه الهجرة أن نجلس فى قرية هادئة لنقوم على تربية أعضاء الجماعة ومؤيديها تربية دينية وثقافية ومعنوية وتنظيمهم على أرسخ قواعد وأصمد خطوط ليتمكنوا من مواجهة الظروف التى سوف تنشأ فى المستقبل لو فشلت حركة إنشاء باكستان - لا سمح الله - وكذلك لمواجهة الظروف من نوع آخر إذا نجحت تلك الحركة وانقسمت شبه القارة إلى الهند وباكستان . لأنه من المحتمل بنسبة قوية بعد هذا التقسيم أن يدخل المسلمون فى الهند فى المتاعب والمشاكل التى لا نهاية لها ، فيكونون فى حاجة إلى من يواسيهم وينعشهم من جديد وينظم أمرهم على قاعدة صامدة تحافظ على كيانهم وتمنعهم من أن يتلاشوا فى المجتمع الوثنى العنيد ، وأن يدخل الإسلام فى باكستان فى محنة قاسية على أيدى قادة باكستان فتكون باكستان أحوج ما تكون إلى جماعة ترغم القيادة الباكستانية على إنجاز وعودها لتطبيق الإسلام من ناحية، ومن ناحية أخرى تسهر على إعداد الشعب الباكستانى شعبا مسلما واعيا لا يقبل سوى الإسلام بديلا »[1] .

وتمتاز تلك المرحلة للدعوة بالمزايا العديدة يذكر منها بعض زملاء الأستاذ المودودى فيقول الأستاذ مسعود الندوى : « وجملة القول إن الجماعة فى السنين الأولى من حياتها عنيت بوجه خاص بنشر الدعوة وتعميم كلمتها فى الديار الهندية وأداء الشهادة القولية على أتم طريق وأحسنه وذلك فى مختلف اللغات الهندية الرائجة فى أقطارها المترامية الأطراف ، إلا أن معظم كتبها ومؤلفاتها باللغة الأردية ، لغة مسلمى الهند عامة ، وكذلك اهتمت الجماعة اهتماما بالغا بأداء الشهادة العملية بأن يظهر أعضاؤها فى أخلاقهم ومعاملتهم وسائر أعمالهم بمظهر

---

(١) الأستاذ خليل الحامدى: الإمام أبو الأعلى المودودى - حياته، دعوته وجهاده، ص٣٩-٤٠.

وضيء وقور يكون حجة قاطعة للإسلام على أهل هذا العصر بأنهم إذا شوهدوا فى متاجرهم وأسواقهم وعوملوا فى معاملتهم أو امتحنوا فى أنديتهم ومدارسهم يتجلى لمن يشاهدهم ويعاملهم ويحسهم أن الدين الذى ينجب ويكون مثل هؤلاء الرجال الصادقين فى معاملتهم والصالحين فى شئونهم لابد أن يكون دينا إلهيا ربانيا صالحا للمجتمع والعمران فى كل عصر ومن أجل ذلك بالغت الجماعة فى الاهتمام بتربية أعضائها وتنشئتهم على الآداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة واختارت لذلك طرقا ومناهج نافعة ومثمرة »[1] .

ويقول الأستاذ خليل الحامدى : « شرعت الجماعة الإسلامية فى مهمتها بتعميم الدعوة ونشر فكرة الإسلام ففى جانب كان الأستاذ المودودى لا يزال ينشر آراءه وأفكاره فى مجلة (ترجمان القرآن) ويلقى المحاضرات فى مواضيع إسلامية أمام طلاب الجامعات وأساتذتها كما ظهر فى الجماعة نخبة من المؤلفين وقفوا حياتهم ومواهبهم لاستجلاء محاسن الإسلام بأسلوب عصرى متين . وفى الجانب الآخر عنيت الجماعة بتربية أعضائها على الأخلاق الإسلامية وحثهم على أداء شهادة الحق قولا وعملا أى الشهادة التى أنيطت بها الأمة المسلمة فى قول الله عز وجل : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾[2] . وكان جل اعتمادها فى هذه المرحلة على أمور ثلاثة :

١ – الدعوة : من واجب كل عضو أن يزود نفسه بما يقدر عليه من العلم والدراسة ويعرض الدعوة ومطالبها وتفاصيلها على كل من يتصل به من أقربائه وأصدقائه وغيرهم من المسلمين ويلزم نفسه بالصدق والأمانة وقول الحق والكسب الحلال .

٢ – المحافظة على نظام الجماعة .

٣ – ممارسة النقد فى داخل الجماعة وخارجها[3] .

---

(١) الأستاذ مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند – ص ٢٨٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

(٣) الأستاذ خليل الحامدى : نظرة عابرة على الجماعة الإسلامية بباكستان (٩ – ١٠) .

وكان بفضل ذلك الاهتمام بالتكوين والتربية لأعضاء الجماعة أن تمكنت الجماعة من مواصلة جهادها فى الظروف القاسية التى واجهتها فيما بعد .

والكتب والبحوث التى صدرت حول مقتضيات تلك المرحلة للدعوة الإسلامية هى كالآتى :

١ – الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية .

٢ – الدعوة الإسلامية ومتطلباتها .

٣ – دعوة الجماعة الإسلامية .

٤ – شهادة الحق .

٥ – الصلاح والفساد .

٦ – الدين القيم .

٧ – الطريق إلى السلام .

٨ – نظرية الإسلام الخلقية .

٩ – الدعوة الإسلامية ومنهجها .

١٠ – عقوبة المرتد فى الإسلام .

١١ – بداية تأليف تفهيم القرآن .

١٢ – رسائل ومسائل (الأجزاء الابتدائية) .

١٣ – الدعوة الإسلامية ومستقبلها فى الهند .

١٤ – تقرير عن الجماعة الإسلامية (من الجزء الأول إلى الجزء الخامس)[1] .

ولا تزال هذه الكتب تعتبر حجر زاوية للبرنامج التربوى للجماعة الإسلامية حتى اليوم .

المرحلة الرابعة : الجهاد لإصلاح المجتمع وإقامة الحكومة الإسلامية :

تبدأ هذه المرحلة للحركة الإسلامية بعد استقلال البلاد عام ١٩٤٧ م

---

(١) الأستاد المودودى : جماعت إسلامى كامقصد ، تاريخ اور لائحة عمل ، ص ٣٩ – ٥٤

ولا تزال مستمرة حتى اليوم ، قد انقسمت شبه القارة بعد الاستقلال إلى دولتين مستقلتين : الهند وباكستان . ومع هذا التقسيم لشبه القارة الهندية انقسمت الجماعة الإسلامية إلى :

١ – الجماعة الإسلامية بالهند .

٢ – الجماعة الإسلامية بباكستان .

٣ – الجماعة الإسلامية بولاية جامو وكشمير المحتلة(١) .

ولأن الأوضاع فى كل من تلك البلاد كانت تختلف فيما بينها ، فاختارت كل من تلك الجماعات برنامجا للعمل حسب أوضاع بلادها ، فأما الجماعة الإسلامية بالهند والجماعة الإسلامية بولاية جامو وكشمير المحتلة فاختارتا نفس البرنامج للعمل فى مجال الدعوة الذى اختارته الجماعة الإسلامية قبل تقسيم البلاد . وأما الجماعة الإسلامية بباكستان اختارت لها البرنامج الجديد حسب أوضاع دولة أنشئت لإقامة الحكومة الإسلامية ، فنحن نشير هنا إلى بعض المزايا لمنهج الحركة الإسلامية فى كل من تلك البلاد فى تلك المرحلة للدعوة .

وأما الجماعة الإسلامية بالهند ، فكما ذكرنا آنفا لم تزل تسير على نفس الخط الذى اختارته الجماعة قبل تقسيم البلاد ، فيقول الأستاذ مسعود الندوى : « لا تزال الجماعة الإسلامية فى الهند قائمة على مبدئها ثابتة على خطتها تدعو الناس على اختلاف أديانهم ومشاربهم إلى عبادة الله وإقامة نظام الحق ، شأن المجاهدين الصادقين . الذين يقومون بواجباتهم فى كل حال ولا يكترثون للأخطار والاضطهادات مهما كانت شديدة وقاسية ومنهاجهم فى كل ذلك هو منهاج النبى ﷺ فى حياته المكية ، يتبعون معالمه الكريمة »(٢) .

وكان بفضل جهود الجماعة الإسلامية بالهند فى مجال الدعوة الإسلامية أن صدرت ترجمة القرآن الكريم فى أكثر من سبع عشرة لغة من لغات الهند المحلية وكذلك نقلت ونشرت كثير من الكتب الإسلامية القيمة فى لغات الهند المختلفة ،

---

(١) الأستاذ المودودى : جماعت إسلامى كى ٢٩ سال ص ٥٢ .

(٢) الأستاذ مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند – ص ٢٩٩ .

كما صدرت المجلات والجرائد الإسلامية فى هذه اللغات . والحقيقة أن الجماعة الإسلامية بالهند كان لها دور بارز فى المحافظة على شخصية مسلمى الهند وحضارتهم[١] .

وأما الجماعة الإسلامية بولاية جامو وكشمير المحتلة ، ولأنها واجهت نفس الأوضاع القاسية التى واجهتها الجماعة الإسلامية بالهند ، فاختارت لها نفس البرنامج للعمل الذى اختارته الجماعة الإسلامية بالهند ، وكانت لجهودها نفس النتائج التى كانت لجهود الجماعة الإسلامية بالهند .

وأما الجماعة الإسلامية بباكستان فتمتاز تلك المرحلة من تاريخها بجهادها المتصل لتطبيق النظام الإسلامى فى هذه الدولة الجديدة والبرنامج الذى اختارته الجماعة الإسلامية خلال هذه المرحلة ، يشمل أربعة أجزاء وهى :

١ - الجزء الأول : هو تطهير الأفكار وتعهدها بالغرس والتنمية ليحدث الانقلاب فى الأفكار ومجرى الحياة بتغييرها .

٢ - الجزء الثانى : هو السعى فى استخلاص الأفراد الصالحين وجمعهم فى نظام واحد وتربيتهم وذلك بالعمل فى مجال الدعوة .

٣ - الجزء الثالث : هو السعى فى الإصلاح الاجتماعى وهو يشمل إصلاح كل طبقة فى المجتمع حسب أحوالها وتتسع دائرته على قدر ما تتوفر الوسائل .

٤ - الجزء الرابع : هو إصلاح الحكم والإدارة ، وذلك لأن هدف إقامة الدين لا يمكن تحقيقه إلا إذا كانت السلطة فى أيدى المؤمنين الصالحين[٢] .

ولتحقيق هذه الأهداف فقد قررت الجماعة الإسلامية أن تخوض فى المجال السياسى مع عملها فى مجال الدعوة ومازالت الجماعة تسير على هذا المنوال[٣] .

---

(١) انظر تقريرا عن أنشطة الجماعة الإسلامية بالهند الذى قدمه الأمين العام للجماعة الإسلامية بالهند فى المؤتمر العام للجماعة فى سبتمبر عام ١٩٨٠ . مجلة « أردود ائجست » الشهرية لشهر مارس ١٩٨٢ م .

(٢) انظر الأستاذ المودودى : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم - ص ١٨٢ - ١٨٩ .

(٣) الأستاذ خليل الحامدى : نظرة عابرة على الجماعة الإسلامية بباكستان ، ص ١٢ .

وجدير بالذكر أن الأساليب والوسائل التى اختارتها الجماعة الإسلامية خلال هذه المرحلة للدعوة تتسع إلى كل جزء من أجزاء هذا البرنامج . ونحن تحدثنا عن بعض النواحى لجهاد الجماعة لإقامة الحكومة الإسلامية خلال حديثنا عن حياة الأستاذ المودودى ، ولهذا لا حاجة لذكرها مرة ثانية ، فيتبين مما ذكرنا هناك أن الجماعة الإسلامية كان لجهادها المستمر فى إقامة الحكومة الإسلامية على منهاج الخلافة الراشدة دورا هاما فى الكفاح الطويل لقيام الدستور الإسلامى بباكستان «وذلك لأن الدستور بمثابة الأساس ، فإذا وضع الأساس على غير الإسلام لابد أن يرتفع كل البناء على الطراز غير الإسلامى ، وخذ لذلك مثلا من تركيا فإن علمانية الدستور التركى عرقلت النهضة الإسلامية ولا تزال تعرقلها، وكلما حاول مسلمو تركيا تغيير أوضاعهم المنحرفة عن الإسلام ، استعانت الفئات اللادينية بعلمانية الدستور وأبطلت كل مشروع يتبنى تكريس الحياة الإسلامية فيها »[1] .

وأما الأساليب والوسائل الأخرى التى اختارتها الجماعة الإسلامية فى هذه المرحلة للدعوة فنحن نذكر بعضها فيما يلى :

أولا : إصدار الكتب والبحوث لبيان أهمية إقامة الحكومة الإسلامية وشرح الجوانب المختلفة للحياة الإسلامية :

أصدرت الجماعة عديدا من الكتب والبحوث لبيان أهمية إقامة الحكومة الإسلامية ولشرح الجوانب المختلفة فى النظام الإسلامى . ومن أهم الكتب التى صدرت حول مقتضيات هذه المرحلة كالآتى :

١ – نظام الحياة فى الإسلام .

٢ – القانون الإسلامى وطريق تنفيذه فى باكستان .

٣ – حقوق أهل الذمة فى الدولة الإسلامية .

٤ – تدوين الدستور الإسلامى .

٥ – الصفات اللازمة للعاملين فى مجال الدعوة .

٦ – الربا   ٧ – المقترحات الدستورية .

٨ – أسس الدستور الإسلامى فى القرآن .

٩ – الجماعة الإسلامية ، هدفها ، تاريخها ، وبرنامجها .

١٠ – المسألة القاديانية ١١ – الحركة الإسلامية ومنهجها فى المستقبل .

١٢ – العدالة الاجتماعية فى الإسلام . ١٣ – حقوق الإنسان الأساسية .

١٤ – مكانة السنة فى التشريع ١٥ – المطالبة بالنظام الإسلامى .

١٦ – الخلافة والملك ١٧ – الدولة الإسلامية .

١٨ – السيرة النبوية ١٩ – واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم .

٢٠ – قضية كشمير المسلمة .

ثانيا : إصدار الجرائد والمجلات :

والوسيلة الثانية التى اختارتها الجماعة الإسلامية لنشر دعوتها هى الجرائد والمجلات منها الجرائد اليومية كجريدة « تسنيم » اليومية وجريدة « كوهستان » اليومية ، وجريدة « جسارت » اليومية ومنها المجلات الأسبوعية كمجلة « آسيا » الأسبوعية ومجلة « آئين » الأسبوعية ومجلة « نور » للأطفال ومنها مجلات شهرية كمجلة « ترجمان القرآن » الشهرية ومجلة « بتول » الشهرية للسيدات ومجلة « الحسنات » الشهرية للسيدات ومجلة « الرسالة » The message باللغة الإنجليزية ، وفضلا عن ذلك هناك عدد من الجرائد والمجلات يصدرها بعض أعضاء الجماعة أو أنصارها شخصيا .

ثالثا : الدروس والمحاضرات :

والوسيلة الثالثة التى اختارتها الجماعة لنشر الدعوة وتعميمها هى تنظيم اللقاءات والندوات والمؤتمرات الأسبوعية والشهرية والسنوية التى تلقى فيها الدروس والمحاضرات عن القرآن والسنة والسيرة وجوانب النظام الإسلامى المختلفة وما إلى ذلك ، وكان عدد المراكز لدروس القرآن فى أنحاء البلاد عام ١٩٨٢ م أكثر من ٢٤٦٥ مركزا[١] وذلك عدا المساجد التى يخطب فيها رجال الجماعة والتى كان عددها ٥١٧ ٦مسجدا عام ١٩٧٨[٢] .

---

(١) انظر دستور الجماعة الإسلامية بباكستان : توطئة – ص ك .

(٢) انظر الأستاذ خليل الحامدى : نظرة عابرة على الجماعة الإسلامية بباكستان – ص ٤٤ – ٤٨ .

رابعا : إنشاء دور المطالعة والمكتبات :

والوسيلة الرابعة التى اختارتها الجماعة لنشر دعوتها خلال هذه المرحلة هى إنشاء دور المطالعة والمكتبات فى أنحاء البلاد تضم كل دار ومكتبة عددا كبيرا من الكتب والجرائد والمجلات الإسلامية يقرؤها الرواد فى قاعات مخصصة للمطالعة ويستعيرونها حسب النظام . وكان عدد هذه الدور للمطالعة والمكتبات فى أنحاء البلاد ٢٢٢٧ فى عام ١٩٧٨(١) .

خامسا : إنشاء المدارس والمعاهد :

ويعتبر إنشاء المدارس والمعاهد الدينية الوسيلة الخامسة التى اختارتها الجماعة لنشر دعوتها ، وهذه المعاهد تضم مناهجها العلوم الاجتماعية العصرية فضلا عن المواد الدينية كالتفسير والحديث والرجال والفقه والتاريخ الإسلامى واللغة العربية والنحو والبلاغة والعناية الخاصة بالتكوين والتربية ليتخرج منها الدعاة . وكان عدد هذه المعاهد والمدارس الدينية فى عام ١٩٨٢ م ٤٨٦ معهدا(٢) .

فى مجال الخدمات الخيرية :

وهكذا اهتمت الجماعة فى هذه المرحلة للدعوة بالخدمات الخيرية لتشمل إقامة المستشفيات والمستوصفات يوزع منها العلاج على الفقراء والمساكين ، ومساعدة الأيتام والأرامل والفقراء والطلاب الفقراء فى الكليات والجامعات والعناية بالمنكوبين فى الحوادث أو اللاجئين من الهند وكشمير وأفغانستان . وكان عدد المستشفيات والعيادات تحت رعاية الجماعة (٨٠) وحدة عام ١٩٨٢ م . وللجماعة خدمات جليلة فى إغاثة المنكوبين واللاجئين وقد بدأت الجماعة أنشطتها فى هذا المجال من القيام فى خدمة اللاجئين من الهند عام ١٩٤٧ م ، ثم قامت بخدمة اللاجئين من كشمير المحتلة عام ١٩٦٥ م ثم اهتمت

---

(١) انظر الأستاذ خليل الحامدى : نظرة عابرة على الجماعة الإسلامية بباكستان – ص ٤٤ – ٤٨ .

(٢) انظر دستور الجماعة الإسلامية بباكستان : توطئه – ص ك .

بإغاثة المنكوبين من الفيضانات عام ١٩٧٣ م وبإغاثة المنكوبين من الزلازل عام ١٩٧٤ م[١] . ولكن أبرز خدمات الجماعة فى هذا المجال وأهمها هى خدماتها تجاه الجهاد فى أفغانستان فقامت الجماعة بما فى وسعها لخدمة اللاجئين من أفغانستان فاهتمت بتوفير الحاجات الأساسية للمهاجرين بصفة عامة وللمجاهدين بصفة خاصة ، وبإنشاء المدارس والمعاهد الدينية لأولاد المجاهدين والمهاجرين . وهناك (٢٦٦) مدرسة ابتدائية وخمسة معاهد دينية للتعليم العالى تشتغل فى مخيمات المهاجرين تحت رعاية الجماعة الإسلامية ، وأنشأت الجماعة (١٣٣) مسجدا فى هذه المخيمات كما اهتمت الجماعة بإنشاء (٤) مستشفيات وعددا من المستوصفات لعلاج المجاهدين والمهاجرين وقامت بإصدار عدد من الكتب القيمة فى لغاتهم الخاصة كما تعتنى الجماعة بعقد مؤتمرات الجهاد لتحقيق هذا الهدف القيم[٢] . وفضلا عن هذه الخدمات تجاه المهاجرين والمجاهدين الأفغان أنشأت الجماعة وكالة خاصة بأنباء الجهاد الإسلامى بأفغانستان باسم « وكالة الأنباء الأفغانية[٣] .

الاهتمام بالمجالات الأخرى المختلفة :

واهتمت الحركة الإسلامية فى هذه المرحلة بعدة مجالات أخرى نذكر منها على سبيل المثال الآتى :

الاهتمام بالجيل الجديد :

اهتمت الحركة الإسلامية فى هذه المرحلة بصفة خاصة بالجيل الجديد ، وفى عام ١٩٤٨ م أنشئت جمعية الطلبة الإسلامية بباكستان للعمل فى هذا المجال . فكان لجهودها الجليلة أن المدارس والمعاهد والكليات والجامعات التى أنشئت لتعميم الثقافة الإنجليزية اللادينية بدأ يتخرج فيها الشباب المثقفون الذين جعلوا

---

(١) انظر الأستاذ خليل الحامدى : نظرة عابرة على الجماعة الإسلامية بباكستان – ص ٤٦ – ٤٧ .

(٢) انظر الأستاذ طفيل محمد : أمير الجماعة الإسلامية بباكستان – تقرير عن خدمات الجماعة الإسلامية نحو مهاجرى الأفغان لعام ١٩٨٢ الميلادى .

(٣) انظر الأستاذ طفيل محمد : أمير الجماعة الإسلامية بباكستان – مشروع خدمة الجهاد الإسلامى الأفغانى فى مجال الإعلام .

الإسلام غاية حياتهم وجدير بالذكر أنه ليس هناك معهد أو كلية أو جامعة فى باكستان إلا وقد تمكنت الجمعية من إنشاء فرع لها. وأكثر من ٨٠٪ من هذه الكليات والمعاهد والجامعات تسيطر عليها جمعية الطلبة الإسلامية سيطرة كاملة . فلله الحمد . وجدير بالذكر أن جمعية الطلبة الإسلامية تقوم بإصدار مجلة « همقدم » الشهرية . ولها دار خاصة للطباعة والنشر .

وأما فى محيط الطالبات ، فقد أنشئت جمعية الطالبات المسلمات للعمل فيها ، وهذه الجمعية دورها مع الطالبات لا يقل عن دور جمعية الطلبة الإسلامية مع الطلاب .

وكذلك أنشئت جمعية الطلبة العربية للعمل فى المدارس والمعاهد الدينية ليتخرج فيها العلماء والخطباء والكتاب يجعلون العمل فى مجال الدعوة غاية جهدهم وحياتهم وتقوم الجمعية بإصدار مجلة « المصباح » الشهرية[١] .

الاهتمام بالمدرسين والأساتذة :

وأما مجال التعليم والتربية فتشتغل فيه « منظمة الأساتذة » وهى تتسع دائرتها من المدارس الابتدائية والثانوية إلى الكليات والجامعات وتركز هذه الجمعية جهودها لنشر الدعوة فى أوساط الأساتذة والمعلمين من ناحية وتمارس ضغطها على السلطات لأجل تنفيذ منهج إسلامى للتعليم والتربية من ناحية أخرى ، وجملة القول تعمل (منظمة الأساتذة) للانقلاب الإسلامى الكامل فى مجال التعليم[٢] .

الاهتمام بالعمال :

وهكذا اعتنت الحركة الإسلامية فى هذه المرحلة بصفة خاصة بالعمال الذين يشتغلون فى المصانع والشركات فكانوا فيما قبل فى شباك مؤامرة الشيوعيين والاشتراكيين فركزت الحركة الإسلامية على هذا المجال وتأسيس (الاتحاد الوطنى للعمال) يضم الاتحادات العمالية تحت رعاية الحركة الإسلامية فتمكنت الحركة الإسلامية من إنقاذ أكثر العمال المسلمين من شباك مؤامرة الشيوعيين وكان بفضل

---

(١) أخبرنى بهذا الأخ بشير أحمد حان رئيس جمعية الطلبة الإسلامية السابق .
(٢) أخبرنى بهذا الأخ نصير الدين همايون الأمين العام للمنظمة .

هذه الجهود أن أكثر من ٢٥٠ اتحاد عمالى فى أكثر قطاعات العمال فى المؤسسات الكبيرة كوزارة الكهرباء والماء ووزارة البرق والبريد وسكة الحديد الباكستانية ومصانع الحديد الباكستانية تنتمى إلى الحركة الإسلامية وعدد العمال المنتمين لهذه الاتحادات العمالية يزيد عن خمسمائة ألف[1] .

الاهتمام بالفلاحين :

يمثل الفلاحون نسبة ٨٠ ٪ من سكان الباكستان وأكثرهم لا يعرفون القراءة والكتابة . فأنشئت (مؤسسة الفلاحين) للعمل معهم وتعمل هذه المؤسسة لتوعية الفلاحين من الناحية الدينية[2] .

الاهتمام بالاتحاد بين العلماء والمشايخ :

ويعتبر النزاع الطائفى بين العلماء والمشايخ أحد عوامل فشل الأحزاب الإسلامية والجماعات الدينية فى الانتخابات . فأنشئت (جمعية اتحاد العلماء) لتوحيد كلمة العلماء والمشايخ وبالتالى توحيد صفوف عامة المسلمين ولها دور بارز فى هذا المجال ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى اهتمت الجمعية بقيام مجمع العلماء الذى ينظم دورات تدريبية لتربية الأئمة والخطباء[3] .

عمل الدعوة فى مجال السيدات :

ويشتغل فى مجال السيدات القسم النسائى للجماعة الإسلامية ، ودوره فى هذا المجال لا يقل عن دور الرجال فى مجالهم . ويضم برنامج هذا القسم للجماعة اللقاءات الأسبوعية والمؤتمرات الشهرية والسنوية ، وإلقاء الدروس والمحاضرات والعناية الخاصة ببيان دور المرأة فى الإسلام . ويصدر هذا القسم مجلة « بتول » الشهرية ومجلة « الحسنات » الشهرية للسيدات ومجلة « النور » للأطفال .

---

(١) أخبرنى عن هذا الأخ محمد شفيع ملك رئيس الاتحاد الوطنى للعمال .
(٢) الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ، دعوته ، وجهاده ، ص ٤٨ .
(٣) أخبرنى عن هذا الشيخ كلزار أحمد المظاهرى الأمين العام للجمعية .

وكذلك هناك منظمات أخرى تعمل فى مجال الصحافة ومع رجال القانون والمحاماة والأطباء والمهندسين وموظفى الحكومة كلها تعمل لتحقيق نفس الهدف وهى نشر الدعوة وإقامة الحكومة الإسلامية .

مدى تأثير الدعوة الإسلامية فى المجتمع بلغة الأرقام :

بعد أن ذكرنا موجزا عن أنشطة الجماعة الإسلامية فى المجالات المختلفة وتحدثنا عن أسلوبها لعمل الدعوة فى دوائر الحياة المختلفة نأتى هنا بفكرة عامة عن مدى تأثير الدعوة الإسلامية فى المجتمع المسلم الباكستانى وذلك بلغة الأرقام كما كانت فى أواخر عام ١٩٨٢ الميلادى :

١ - عدد أعضاء الجماعة ٤٥٦٦ عضوا . وذلك مع أن عضوية الجماعة لا تتحصل إلا بعد أن يستمر المرء مؤيدا لها وناصرا عدة سنوات ويثبت أنه كفؤ لتحمل عبء العضوية .

٢ - عدد أنصار الجماعة (مسجلين) ٤٥٦٢٧ شخصا وذلك فضلا عن مئات الألوف من الأنصار والمؤيدين الذين لم تسجل أسماؤهم .

٣ - الفروع المكونة من الأعضاء ٥٢٩ فرعا .

٤ - الفروع المكونة من الأنصار والمؤيدين ٤١٧٥ فرعا[١] .

ذلك فضلا عن ما ذكرناه عن مدى تأثير الدعوة الإسلامية فى الدوائر المختلفة للمجتمع مثل الطلاب والأساتذة والعمال والفلاحين وما إلى ذلك من طبقات المجتمع المختلفة .

---

(١) انظر دستور الجماعة الإسلامية بباكستان : توطئة - ص ك .

١) مدى تأثير دعوة الجماعة الإسلامية على المستوى العالمى

ولا يتم الحديث عن هذه المرحلة للدعوة إلا إذا تحدثنا عن أنشطة الجماعة الإسلامية على المستوى العالمى ولولا ضيق المجال لتكلمنا فى هذا الموضوع بالتفصيل ولكننا سنكتفى بالإشارة إلى الأمور التالية :

العلاقات مع الحركات الإسلامية العالمية :

وتمتاز هذه المرحلة للجماعة الإسلامية بباكستان ببداية علاقاتها الوثيقة مع الحركات الإسلامية العالمية الأخرى وذلك لأن هذه الحركات كلها تنطلق من نفس المنطلق وهو (الكتاب والسنة) وتهدف إلى نفس الهدف وهو إقامة الحكومة الإسلامية ، وأهم هذه الحركات الإسلامية العالمية هى :

١ – حركة الإخوان المسلمين بالعالم العربى .

٢ – حزب الملى السلامة بتركيا .

٣ – مجلس الشورى لمسلمى أندونيسيا .

٤ – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

٥ – حزب الاستقلال بالمغرب .

٦ – الاتحاد الإسلامى لمجاهدى أفغانستان .

وعدد من الحركات الإسلامية الأخرى فى العالم الإسلامى .

إصدار الكتب فى اللغات العالمية الأخرى :

والأمر الثانى الذى اهتمت به الجماعة الإسلامية فى هذه المرحلة للحركة الإسلامية هو نقل كتب الجماعة الإسلامية باللغات العالمية الأخرى ، فكان لتحقيق هذا الهدف أن اهتمت الجماعة بقيام عدد من المؤسسات أهمها كالآتى :

دار العروبة للدعوة الإسلامية :

وقد أقيمت هذه الدار لنقل كتب الجماعة الإسلامية إلى اللغة العربية ولترجمة كتب الإخوان المسلمين من اللغة العربية إلى اللغة الأردية . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تعمل هذه الدار كالواسطة بين الجماعة الإسلامية والإخوان المسلمين والحركات الإسلامية الأخرى فى العالم العربى ، فتمكنت هذه الدار من نقل الكثير من الكتب للأستاذ المودودى من اللغة الأردية إلى اللغة العربية كما تمكنت من ترجمة كثير من الكتب للإمام الشهيد حسن البنا والشهيد سيد قطب والأستاذ محمد قطب وغيرهم من قادة الحركة الإسلامية فى العالم العربى من اللغة العربية إلى اللغة الأردية[1] .

مجمع المعارف الإسلامية :

يعتنى مجمع المعارف الإسلامية بإخراج البحوث وتربية الباحثين وتغذية الحركة بما يلزم من الغذاء الفكرى والزاد العلمى[2] هذا من ناحية ، وناحية أخرى من غايات المجمع وأهدافه أن يهتم بصفة خاصة بالأمور الآتية :

١ – إحياء التراث الإسلامى العظيم ونقله إلى اللغة الأردية واللغات الحية الأخرى بأسلوب عصرى متين .

٢ – نقل الأفكار والبحوث التى ينتجها المفكرون المسلمون المعاصرون باللغة الأردية واللغات الأخرى ونقل وترويج كتب الأستاذ المودودى حول الدعوة ومقتضياتها أو حول جوانب النظام الإسلامى المختلفة إلى اللغات العالمية المختلفة .

٣ – دراسة المشكلات التى أوجدتها الحضارة العصرية ثم وضع الحلول لها فى ضوء الإسلام بتوجيه من المفكرين المسلمين .

٤ – إعداد دراسات حول ما يمر به العالم الإسلامى من ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية .

---

(١) أخبرنى عن هذا الأستاذ خليل الحامدى : المدير العام لدار العروبة للدعوة الإسلامية .

٥ – بذل المحاولات فى توحيد المذاهب الفقهية الإسلامية على أساس كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

٦ – إنشاء العلاقات مع الأكاديميات والجامعات والمؤسسات العلمية فى البلاد العربية والإسلامية لإيجاد أوجه التعاون فيما يتعلق بترويج الأفكار الإسلامية وإحياء التراث الإسلامى ولتنسيق المشاريع فى مجال الدعوة[١] .

وكما أسلفنا أن الأستاذ المودودى قد منح للمجمع الجائزة التى أعطيت له من قبل هيئة جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٣٩٩ هـ لخدماته فى مجال الدعوة .

وجدير بالذكر أن مجمع المعارف الإسلامية له فرع فى كراتشى أيضا وقد صدر من مجمع المعارف الإسلامية حتى الآن أكثر من أربعين كتابا قيما تشتمل على المواضيع الإسلامية المختلفة[٢] .

المؤسسة الإسلامية ببريطانيا :

وقد تأسست هذه المؤسسة لنقل وترويج كتب الأستاذ المودودى ، ومفكرى الإسلام المعاصرين إلى اللغة الإنجليزية ولغات أوربا المختلفة الأخرى وللرد على ما يكتبه المستشرقون ضد الإسلام والنبى ﷺ ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لدراسة مخططات مبشرى الاستعمارية ومؤامراتهم فى العالم الإسلامى ، ولتخطيط مخططات إيجابية لمواجهة هذه المؤامرات .وقد تمكنت المؤسسة من إصدار عدد غير قليل من كتب الأستاذ المودودى ومفكرى الإسلام المعاصرين باللغة الإنجليزية ولغات أوربا الأخرى . كما تمكنت من دراسة أنشطة المبشرين ومخططاتهم فى العالم الإسلامى ولاسيما فى أندونيسيا ، وأفريقيا ، والشرق الأوسط وبنغلاديش وباكستان والبلاد الإسلامية الأخرى وقد صدرت تقارير عن هذه الدراسة باللغة الإنجليزية واللغة العربية . هذا وللمؤسسة دور هام فى نشر

---

(١) انظر للتفصيل الأستاذ خليل الحامدى : التعريف عن مجمع المعارف الإسلامية – بلاهور ص ٩ – ١٢ .

(٢) انظر المرجع السابق : ص ٦ – ٧ .

الدعوة الإسلامية فى المسلمين المقيمين فى إنجلترا وبلاد أوربا الأخرى وفى المحافظة على شخصيتهم الإسلامية فى مركز الحضارة الجاهلية الحديثة[١] .

وجدير بالذكر أن للمؤسسة فرع فى نيروبى (الأفريقية الشرقية) ويعمل هذا الفرع على نفس المنهج لمواجهة مخططات ومؤامرات المبشرين المسيحيين والقاديانيين فى القارة الأفريقية . وقد أنشأت المؤسسة عشرات من المدارس الابتدائية والثانوية لتعليم أولاد المسلمين المقيمين هناك وذلك لكى لا يقع المسلمون فى مؤامرات المبشرين المسيحيين والقاديانيين فى المجال التعليمى[٢] .

الاهتمام بترويج الكتب الإسلامية فى اللغات العالمية الأخرى :

وخلال هذه المرحلة للدعوة تمكنت الجماعة الإسلامية من نقل وإصدار عدد غير قليل من كتب الأستاذ المودودى وقادة الحركات الإسلامية المعاصرة فى أكثر من أربعين لغة عالمية أهمها اللغة العربية والإنجليزية والفرنسية ، والإيطالية ، والألمانية ، والأسبانية ، والفارسية ، والبشتوية ، والروسية ، واليابانية ، والكورية ، والماليزية ، والأندونسيسة ، واللغة التركية ، واللغات العالمية الأخرى .

ويتبين مما أسلفنا أن الدعوة الإسلامية فى هذه المرحلة لم تزل تسير على نفس السياسة التى اتخذت لها فى البداية والبرنامج الذى اختارته الجماعة فى بداية هذه المرحلة كان مطابقا مع غايتها كل المطابقة ، وحققت فى هذا السبيل ما حققت من المآرب والغايات بما يسر الله لها من الوسائل المعنوية والمادية .

---

(١) أخبرنى عن هذا الأستاذ خورشيد أحمد ، رئيس المؤسسة الإسلامية والأستاذ خرم جاه مراد المدير العام لها .

(٢) أخبرنى عن هذا الأستاذ محمد احتر رأو ، المدير العام للفرع .

الفصل الرابع

تأليفات الأستاذ أبي الأعلى المودودي

كتابات الأستاذ الكبير أبي الأعلى المودودى تعتبر من المنارات للفكر الإسلامى المعاصر ، وأدت دوراً كبيراً فى تقديم حقائق الإسلام للمسلم المعاصر بطريقة مبسطة مبلورة يسهل فهمها واستيعابها .

الأستاذ محمد قطب فى مقابلته مع مندوب مجلة « اردود ائجست » الشهرية

* * *

كانت كتاباته وبحوثه موجهة إلى معرفة طبيعة هذه الحضارة الغربية وفلسفتها للحياة ، وتحليلها تحليلاً علمياً قلما يوجد له نظير فى الزمن القريب ، وقد عرض الإسلام ونظام حياته ، وأوضاع حضارته وحكمه ، وصياغته للمجتمع والحياة ، وقيادته للركب البشرى والمسيرة الإنسانية فى أسلوب علمى رصين وفى لغة عصرية تتفق مع نفسية الجيل المثقف ومستوى العصر العلمى ، ويملأ الفراغ الذى كان يوجد فى الأدب الإسلامى المعاصر من زمن طويل ، ويقضى حاجة فى نفس الشباب الطموح إلى مجد الإسلام والمسلمين وقيام دوله ومجتمعاته الشريفة المعتزة بنفسها ودينها ورسالتها ومقومات حياتها فى الأقطار الإسلامية أولاً وفى العالم بالتالى[1].

الشيخ أبو الحسن على الندوى

(١) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٤٥٩ والتاريخ ١ محرم ١٤٠٠ هـ.

مؤلفات الأستاذ المودودى

لم يكن الأستاذ المودودى مؤلفا عاديا كغيره من المؤلفين الذين يؤلفون الكتب لكى يخدموا العلم والأدب ، وهكذا يضيفون فى ذخيرة الكتب ولكن مع ذلك لا يزيدون أى شىء يذكر فى ذخيرة العلم . وهو لم يكن من المؤلفين الذين يتخذون من التأليف والتصنيف حرفة لهم يتكسبون منها ، بل كان من المؤلفين الكبار الذين يدخلون فى ميدان التأليف والتصنيف لتحقيق الهدف الذى يتخذونه لحياتهم وللوصول إلى الغاية التى يعيشون لأجلها فلذلك تختلف مكانة مؤلفات هؤلاء المؤلفين مع اختلاف الأهداف التى يتخذونها لحياتهم . ومن المعلوم أن الأستاذ المودودى اتخذ نشر الدعوة الإسلامية وإقامة النظام الإسلامى هدفا لحياته وذلك فى عصر ملىء بالأفكار والنظريات التى جاءت بها الحضارة الجاهلية الحديثة . ولذلك فهو لم يكتب كتابا ولم يصدر بحثا إلا وكان يتعلق بذلك الهدف القيم كما يقول الأستاذ المودودى نفسه : « لم أقصد إصدار بحوث علمية فى المواضيع الإسلامية فحسب بل استهدفت من ذلك أن يؤمن الإنسان العصرى بالإسلام بالشعور والقناعة لا بالقشور والعاطفة ثم يندفع تلقائيا إلى إقامته وتغليبه ، ويستميت فى سبيل تنكيس كلمة الباطل ورفع كلمة الحق وفى سبيل استئصال إمامة الكفر ونصب إمامة الإسلام »[1] .

فنرى أن الكتب والكتيبات التى أصدرها الأستاذ المودودى والتى يصل عددها إلى ١٢٨ كتابا[2] مع أنها متنوعة فى موضوعاتها ، هناك رابط يربط بينها وذلك الرابط هو وحدة الغاية فكل تلك الكتب مربوطة بها ، وهناك كتب انتقد الأستاذ المودودى فيها الجاهلية القديمة والجاهلية الحديثة التى جاءت بها

---

(١) الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ، دعوته وجهاده ، ص ٢٥ .

(٢) انظر جريدة « جسارت » اليومية : كراتشى ، عدد خاص فى ذكرى الأستاذ المودودى ، ص ١٧ ، ١٨ .

الحضارة العربية الحديثة وآثارها الفكرية والدينية ومضارها الاجتماعية والحضارية فى المجتمعات الإسلامية كما أن هناك كتبا انتقد فيها الأستاذ الجمود الفكرى عند علماء المسلمين كما انتقد الأوهام والخرافات التى اتخذت سبيلها فى عامة المسلمين وهناك كتب قدم الأستاذ فيها الدعوة الإسلامية وبين متطلباتها ومقتضياتها كما أن هناك كتبا شرح الأستاذ فيها نظام الحياة فى الإسلام وما هى متطلباته وما هى عقيدته ، وما هى عباداته ، وما هى أسس حضارته ، وما هى تعليماته فى الاقتصاد والسياسية والاجتماع ، ولكن مع ذلك التنوع الكبير فى الموضوعات كانت هذه الكتب مربوطة بذلك الرابط أى رابط وحدة الغاية .

ويجدر بنا أن نذكر هنا بعضا من المزايا التى تمتاز بها تلك الكتب .

أولها : أن الأستاذ المودودى كان يأتى بالأدلة من الكتاب والسنة والبراهين العلمية والعقلية فى تأييد كل ما يقول ، فلذلك نجد كتبه تؤثر فى الأذهان تأثيرا كبيرا .

ثانيها : أن الأدلة العلمية والعقلية التى يأتى بها الأستاذ المودودى فى كتبه تتعلق بالأشياء الحسية التى يلمسها كل واحد منا فى حياته اليومية ، وهذا ما يمكنه من فهمها بسهولة .

ثالثها : أن الله قد وهبه الإخلاص الذى جعل أسلوبه مؤثرا جذابا للغاية يؤثر فى الأذهان والقلوب سويا ، فلا يمكن أن يقرأ الإنسان كتبه ولا يتأثر بها ، فكانت نتيجة ذلك أن مئات الآلاف من الناس الذين قرؤا كتبه قد تأثروا بها وأصبحوا أنصارا لدعوته .

رابعها : أن كتب الأستاذ المودودى مع كونها علمية ، لا توجد فيها الاصطلاحات العلمية التى لا يفهمها إلا أصحاب العلم ، وذلك لأن دعوته كانت للمسلمين كافة خاصتهم وعامتهم فكان لابد ألا تفوق عن فهمهم .

خامسها : أن الأستاذ المودودى لم يتناول موضوعا من الموضوعات المتنوعة التى تتسع إليها دائرة كتبه ، إلا وقد قرأ فيه كل ما كتب قديما وحديثا ، ثم كتب فيه ، وجاء بالأدلة من كل ما قرأ من القديم والحديث فى تأييد موقفه وهذا ما يجعل كتبه تمتاز بالجامعية التى لا توجد عند المؤلفين إلا قليلا .

سادسها : أن الأستاذ المودودى كان يعتنى بصفة خاصة أن تكون كتبه صغيرة الحجم حتى تسهل قراءتها كما يسهل انتشارها ، فنرى أن معظم مؤلفاته قد صدرت فى صورة كتيبات صغيرة إلا أنها تحمل معان كبيرة فهو كمن تمكن من جمع الأنهار فى كوب .

سابعها : أن الأستاذ المودودى قد وهبه الله إمعان النظر فى الكتاب والسنة فضلا عن البصيرة العميقة فى شئون الحياة الفردية والحياة الاجتماعية المختلفة فلذا حينما كان يكتب كتابا أو يصدر بحثا كان يلاحظها كلها بالاهتمام فلذلك كانت كتبه تفوق كتب الإخصائيين الذين لا يعرفون شيئا خارجا عن دائرة تخصصهم .

ومن المعلوم أن اللغة التى كتب الأستاذ المودودى بها كتبه كانت اللغة الأردية ، ولكن أكثر تلك الكتب قد نقلت إلى اللغات الأخرى مثل اللغة الإنجليزية والعربية والبنغالية والهندية والفرنسية ، وكثير من اللغات العالمية الأخرى ، وبعضها كمبادىء الإسلام قد نقلت إلى أكثر من ٣٠ لغة ، وهذا خير شاهد على القبول العام الذى نالته كتب الأستاذ المودودى فى العالم أجمع .

والآن نتعرف على أهم هذه الكتب :

تفهيم القرآن

تفهيم القرآن هو تفسير القرآن الكريم الذى ألفه الداعية المفسر الأستاذ أبو الأعلى المودودى رحمه الله ، ويتكون هذا التفسير من ستة أجزاء وهذا التفسير يعتبر من أهم مؤلفات الأستاذ المودودى رحمه الله حيث قضى فى اكماله أكثر من ثلاثين سنة ، وقد بدأ الأستاذ المودودى تأليفه فى فبراير عام ١٩٤٢ الميلادى أى بعد ستة أشهر من تأسيس الجماعة الإسلامية وأكمله فى عام ١٩٧٢ الميلادى لمّا تنحى عن إمارة الجماعة لكبر سنه بعد أن تحمل هذه المسئولية الكبرى لأكثر من ثلاثين سنة ، وتعتبر هذه المدة طويلة وغير عادية لتأليف تفسير ولكنه استغرق كل هذه المدة لاكمال هذا التفسير لأنه لم يؤلفه جالساً على الأريكة فى مكتبه ولا معتكفاً فى زاوية من الزوايا ، بل ألفه وهو يقود الحركة الاسلامية التى

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم لقيادتها ، ومن المعلوم أن قيادة الحركة الإسلامية مسئولية ذات أهمية كبرى ، فنحن نراه خلال هذه المدة الطويلة يتحمل عبء هذه المسئولية الكبرى مع اهتمامه بتأليف « تفهيم القرآن » ، فكان رحمه الله يهتم بتربية العاملين فى مجال الدعوة فكرياً وعلمياً وعمليا من ناحية ويقوم بمواجهة التحديات المعادية فكرياً وعلمياً وعملياً من ناحية ثانية ، وهكذا كان يجاهد لإقامة النظام الإسلامى من جانب ويعتنى بإصدار الكتب القيمة حول الدعوة ومقتضياتها من جانب آخر ، فنحن نجده أحيانا يواجه الحكومات العلمانية الدكتاتورية كما نرى حينا آخر زج به فى السجون لا لجريمة إلا لمطالبته بإقامة الحكم الإسلامى ، ولكن مع مواصلة جهاده فى هذه المجالات المختلفة لا يفوته أن يهتم ويستمر بتأليف « تفهيم القرآن » ، وكان لهذا الجهاد العظيم الطويل فى مجال الدعوة أن اكتشفت له المفاهيم القرآنية التى لا يمكن أن تكتشف إلا إذا تحمل الإنسان عبء الدعوة التى نزل القرآن الكريم بها ودخل فى معركة الجهاد لإقامة الحكم الإسلامى . وبهذا نستطيع أن نقول أن « تفهيم القرآن » يمتاز بالمزايا التى لها أهمية بالغة للعاملين فى مجال الدعوة فى الأقطار الإسلامية والعالمية المختلفة . وإننى وقد فصلت الكلام حول هذه المزايا لتفسير الأستاذ المودودى فى كتابى « الأستاذ أبو الأعلى المودودى ومنهجه فى التفسير » لهذا أكتفى هنا بالإشارة إلى بعضها بإيجاز .

إن لحمة دعوة الأستاذ المودودى رحمه الله وسداها هى القرآن الكريم ، فيقول الأستاذ المودودى مبيناً العلاقة بين دعوته وبين القرآن الكريم :

« حينما بدأت تأليف كتاب « الجهاد فى الإسلام » بدأت دراسة القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والسيرة النبوية بإمعان النظر والدقة . فكان خلال هذه الدراسة أن اتضح لى أن القرآن الكريم هو كتاب بدأت الحركة الإسلامية ببداية نزوله . فلابد لنا أن نبدأ بالحركة التى قد بدأت بنزول هذا الكتاب العظيم . وإننى لم أزل افكر فى هذا الموضوع حتى وفقنى الله أن أقوم بتأسيس الحركة الإسلامية فى أغسطس عام ١٩٤١ الميلادى وأن أبدأ تأليف « تفهيم القرآن » فى فبراير عام ١٩٤٢ الميلادى ، فلله الحمد » .

ثم يقول الأستاذ المودودى مستمرا فى حديثه :

« حينما وفقنى الله أن أقوم بتأسيس الحركة الإسلامية ، اتضح لى أنه مهما أبذل جهودى فى مجال الدعوة بلسانى وقلمى لا يمكن لى أن أتمكن من تحقيق هذا الهدف السامى إلا إذا جعلت القرآن وسيلة له ، وذلك لأن هذا الكتاب العظيم قد أنزله الله لتحقيق هذا الهدف ذاته ، فلا يمكن للناس أن يفهموا الدعوة الإسلامية إلا إذا تمكنوا من فهم القرآن الكريم ، فكان لابد لى أن أقوم بتفسير القرآن وتفهيمه ليتمكن الناس من فهم الدعوة الإسلامية فهما صحيحاً[1] .

فيتبين مما أسلفنا العلاقة الوثيقة الموجود بين دعوة الأستاذ المودودى وبين تفسيره ، فقيام الأستاذ المودودى بإنشاء الحركة الإسلامية كان من متطلبات القرآن الكريم الأساسية وقيامه بتأليف تفسيره للقرآن الكريم كان من مقتضيات الحركة الإسلامية ، لهذا قرر الأستاذ المودودى أن يقوم بالعمل فى مجال الدعوة حينما تبين له خلال دراسته للقرآن الكريم بأن القرآن هو كتاب أنزله الله لقيادة الحركة الإسلامية ولا يمكن العمل بمقتضياته إلا بإنشاء هذه الحركة ، فعقد العزم على أن يؤلف تفسيره للقرآن حينما بدا له من خلال عمله فى مجال الدعوة بأنه لا يمكن له الاستمرار بهذا العمل إلا إذا جعل القرآن الكريم وسيلة له .

فكان لهذه العلاقة بين دعوة الأستاذ المودودى وبين تفسيره للقرآن الكريم أنه تمكن من إبراز الجوانب التفسيرية التى قد شوهت من أجل سيطرة الحضارة الغربية الجاهلية فكرياً وعملياً ، ومنها أن الإسلام دين ودولة ولا يمكن العمل به إلا بإقامة الحكم الإسلامى ، ومنها أن الإسلام دين كامل يشمل كل ناحية من نواحى الحياة الفردية منها والاجتماعية ولا يمكن العمل به فى دائرة خاصة للحياة الفردية أو الاجتماعية دون الدوائر الأخرى ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى اعتنى الأستاذ خلال تفسيره للقرآن الكريم بمواجهة التحديات التى جاءت بها الحضارة الجاهلية الحديثة وثقافتها اللادينية وفلسفاتها المادية كما اعتنى بالرد على أباطيل المستشرقين والمبشرين والمتفرنجين بالإضافة إلى اعتنائه بالقضاء على ما جاءت به الحركات الهدامة المعادية للإسلام من تأويلات باطلة وأفكار زائفة ، وجديدا بالذكر أن الأستاذ المودودى يعتنى بهذه النواحى التفسيرية مع اهتمامه

---

(١) مجلة آيئن الأسبوعية ؛ عدد خاص فى ذكرى إكمال (تفهيم القرآن) - كلمة الأستاذ المودودى فى حفل خاص انعقد بمناسبة إكمال (تفهيم القرآن) فى يوليو عام ١٩٧٢ الميلادى ص ١١٥ .

البالغ بأصول التفسير التى يتفق عليها الأئمة المفسرون قديماً وحديثا ، وهذا ما يزيد به تفسيره مكانة وأهمية ويجعله مرجعاً ذا أهمية بالغة للعاملين فى مجال الدعوة والمجاهدين فى سبيل الله خاصة ، وللعلماء والمشايخ والكتاب الإسلاميين عامة .

وإننى لا أبالغ حين أقول إن هذا التفسير تمكن بفضله مئات الألوف من المسلمين المثقفين من تخليص أذهانهم من العبودية الفكرية للحضارة الجاهلية الحديثة كما أن له دوراً هاماً فى إعادة ثقتهم بصلاحية الإسلام بقيادة الركب البشرى فى هذا العصر ، وأنا واحد من هؤلاء الملايين ، ولولا تعرفى على تفسير الأستاذ المودودى وتأليفاته القيمة لأصبحت لقمة سائغة لأى مضلل من أئمة الضلالة .

وأما ترجمة « تفهيم القرآن » ، باللغة العربية فلم يصدر حتى الآن ، فنرجوا من القائمين على أموره العناية بأصدار ترجمة هذا التفسير القيم باللغة العربية .

مبادىء الإسلام

هذا الكتاب الذى صدر لأول مرة فى عام ١٩٣٧[١] قد نال القبول العام فى العالم إلى حد أنه قد نقل حتى الآن إلى أكثر من ٣٠ لغة[٢] من اللغات العالمية وقد نشرت الملايين من نسخه فى اللغات العالمية المختلفة ووزعت فى البلاد الإسلامية والعالمية المختلفة ولا تزال ترجمته فى اللغات الأخرى المختلفة مستمرة حتى الآن .

ويشمل هذا الكتاب المعلومات الابتدائية عن الإسلام فى أسلوب سهل وجذاب لكى يتمكن عامة المسلمين من فهم ما هو الإسلام وما هى متطلباته ويبلغ تأثيره إلى حد أنه حينما يبدأ القارىء قراءته لا يقدر أن يتوقف إلا أن يكمله وجدير بالذكر أن هذا الكتاب يحطم فكرة اتخاذ الدين طقوسا فحسب ، بل يؤدى الفكرة بأن الإسلام هو دين كامل ويجعل القارىء يقوم لإقامته ، فصدق الشيخ المفتى عتيق الرحمن رئيس المجلس الاستشارى بالهند ورئيس ندوة المصنفين بدلهى حيث

---

(١) انظر مبادىء الإسلام ، مقدمة الناشر للطبعة الثامنة والثلاثين ، ص ٧ .

(٢) انظر الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى — حياته ، دعوته وجهاده ، ص ٢٥ .

قال إنه لا يعرف كتابا آخر نال ما ناله كتاب « مبادىء الإسلام » من فهم صحيح للاسلام[1] .

ومن أهم اللغات العالمية التى نقل إليها هذا الكتاب هى اللغة العربية ، والإنكليزية ، والبنغالية ، والفارسية ، والهندية ، والتركية ، والأندونيسية ، والسواحلية ، والفرنسية ، والهاوسة ، والألمانية ، والأسبانية ، واليابانية ، والسندية ، والبشتوية ، والماليبارية ، والهولندية ، والبرتغالية ، والكورية ، والروسية ، والكجراتية ، والتاملية ، والماليزية ، وغيرها من اللغات العالمية المختلفة ، وقد نال هذا الكتاب رواجا عظيما فى البلاد الغربية وعدد غير قليل من غير المسلمين ، قد هداهم الله إلى الإسلام بقراءته[2] ، ومئات الآلاف من المسلمين قد عادت ثقتهم فى الإسلام به ، فلله الحمد .

نحن والحضارة الغربية

يشمل هذا الكتاب الكلمات الافتتاحية والمقالات التى نشرها الأستاذ المودودى فى مجلته الشهيرة « ترجمان القرآن » من عام ١٣٥٢ إلى عام ١٣٥٧ هـ الموافق عام ١٩٣٢ م إلى عام ١٩٣٨ م والتى نشرت فيما بعد فى عام ١٣٥٨ هـ / عام ١٩٣٩ م بصورة كتاب أسماه الأستاذ المودودى « التنقيحات » باللغة الأردية والذى نقل فيما بعد إلى اللغة العربية باسم « نحن والحضارة الغربية » . والموضوع الذى تناوله الأستاذ فى المقالات التى يضمها هذا الكتاب هو مواجهة الحضارة الغربية ومؤثراتها فى العالم الإسلامى وهذا هو الرابط الذى يربط بينها ويجعلها كتابا مستقلا ، وموقف الأستاذ المودودى من الصراع الذى بدأ بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية بعد استيلاء الاستعمار الغاشم على العالم الإسلامى لم يكن موقف الخضوع والعبودية الفكرية الذى اتخذه المثقفون الجدد ولا كان موقف الرفض والاعتزال الذى اتخذه أكثر العلماء والمشايخ ، بل كما يتبين من محتويات الكتاب كان موقف الإيمان والثقة ، موقف الشجاعة والجرأة ، وذلك لبصيرته بالكتاب والسنة مع معرفته العميقة بالنظريات والفلسفات اللادينية التى جاءت بها الحضارة الاستعمارية الحديثة ، فلذلك

---

(١) جريدة « جسارت » اليومية : عدد خاص بذكرى الأستاذ المودودى ، ص ٦٥ .

(٢) انظر الأستاذ خليل الحامدى · الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ، دعوته وجهاده ، ص ٢٦ .

تمكن من نقد الجاهلية الحديثة التى تقوم عليها أسس الحضارة الغربية وعلومها ، وكذلك انتقد مؤثرات الحضارة الغربية ومضارها فى المجتمعات الإسلامية ، كما انتقد موقف الخضوع والعبودية الفكرية ودعوات التجدد والتحرر فى الإسلام مع نقده موقف الرفض والجمود الذى اتخذه العلماء والمشايخ ، هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى تمكن الأستاذ من عرض الإسلام ومتطلباته بأسلوب عصرى جذاب وكل ذلك بالبراهين العقلية والعلمية والأدلة من القرآن والسنة والحقيقة أنه كان لهذا الكتاب دور هام فى إعادة ثقة المثقفين الجدد فى صلاحية الإسلام ، لا فى شبه القارة الباكهندية فحسب ، بل فى العالم الإسلامى كله ، ويجدر بنا أن ننقل فقرات من هذا الكتاب ، وذلك من مقالة بعنوان « شرعة الأبطال لا شرعة الضعاف » ، لكى نرى الأسلوب الجذاب الذى اختاره الأستاذ المودودى فى هذا الكتاب .

« إن الشريعة الربانية لم تتنزل للأقزام الخانعين ، ولا لعبدة الأهواء وهواة الدنيا ، ولا للذين مثلهم كمثل الريشة فى مهب الرياح أو كالغثاء الجارى مع تيار الماء ولا للحربائيين الذين يتلونون بكل لون من ألوان الظروف ، وإنما أنزلت لأولئك الليوث الأبطال الذين يملكون بشجاعتهم تغيير مهب الرياح وتحويل مجرى المياه إلى ما يريدون ويحبون صبغة الله على سائر الأصباغ والألوان ، وقد عزموا أن يصبغوا بها جميع العالم »[1] .

الخطب

هذا الكتاب الذى صدر فى عام ١٣٥٩ هـ الموافق عام ١٩٤٠ م[2] لأول مرة يشمل المحاضرات التى ألقاها الأستاذ المودودى فى جامع دار الإسلام فى ولاية بنجاب فى عام ١٣٥٧ هـ الموافق ١٩٣٨ م كخطب الجمعة[3] ، وذلك بعد ما انتقل الأستاذ المودودى هناك مهاجرا من حيدر آباد الدكن على دعوة المفكر الإسلامى الكبير ، الدكتور محمد إقبال ، وتشمل هذه المحاضرات القيمة الموضوعات الآتية : حقيقة الإيمان ، حقيقة الإسلام ، حقيقة الصلاة ، حقيقة

---

(١) نحن والحضارة الغربية : ص ٢٧٧ .

(٢) مقدمة الخطب : ص ٢٢ (٣) المرجع السابق : ص ٢٢ .

الزكاة ، حقيقة الصوم ، حقيقة الحج وحقيقة الجهاد . وكان مخاطبو الأستاذ فى تلك المحاضرات مسلمى القرى الذين لم يكن مستوى علمهم وفهمهم عاليا فاهتم الأستاذ المودودى بأن تكون لغتها وأسلوبها سهلا جدا حتى يتمكن هؤلاء المسلمون من فهمها ، فوفقه الله لتحقيق ذلك الهدف ، ومن مزايا تلك المحاضرات أن الأستاذ يدعم ما يدعو إليه بالأدلة من القرآن والسنة وبالبراهين العقلية والعلمية وجدير بالذكر أن هذه الأدلة ، مع كونها علمية وعقلية ، يأتى بها الأستاذ من الأشياء التى يراها كل وحد منا فى حياته اليومية ، وهذا ما يجعلها سهلة الفهم ، وكذلك أسلوبها ، مع كونه داعيا وعلميا ، لم يزل سهلا وجذابا ومؤثرا .

والحقيقة إن القارىء حينما يبدأ قراءته لا يقدر أن يتوقف إلا إذا أكمله ، ويشعر خلال قراءته بأن الحجاب الذى كان بينه وبين الإسلام قد رفع وقد عرف ما هو الإسلام الحقيقى الذى جاء به سيدنا محمد ﷺ وهذا ما يجعله يقوم للعمل الإسلامى ، ومن مئات الآلاف من الأمثلة لذلك يكفى أن نذكر هنا ما يحكى الشيخ غلام نبى نائب أمير الجماعة الإسلامية بولاية جامو وكشمير : « إننى بعدما تخرجت فى دار العلوم ديوبند (الهند) وعدت إلى كشمير ، صادفنى ذات مرة أن واحدا من أصدقائى جاءنى بكتيب يحمل اسم « حقيقة الإيمان » واقترح على أن أقرأه ، ولم يعجبنى هذا قط ، فكيف يجدر بعالم كبير مثلى أنا أن يقرأ كتيبا صغيرا مثل هذا الكتيب ، ولكننى لم أقدر أن أرفض رغبة الصديق ، وبدأت قراءته ولم أقدر أن أتوقف حتى انتهيت منه ، وشعرت بأننى مع إكمال دراستى فى العلوم الدينية لم أفهم حقيقة الإيمان وحقيقة الإسلام إلا بعدما قرأت ذلك الكتيب »[1] .

الجهاد فى الإسلام

هذا الكتاب الذى صدر لأول مرة فى عام ١٩٢٧ م يعتبر أول كتاب ألفه الأستاذ المودودى ، ولكن بعدما صدر الكتاب « مصدر قوة المسلم » فقد تحولت الأولية إليه ، ولكن أوليته فى الإصدار لم تزل باقية وألف الأستاذ المودودى

---

(١) أخبرنى عن هذا الشيخ سعد الدين أمير الجماعة الإسلامية السابق بولاية جامو وكشمير المحتلة .

(١) انظر الأستاذ المودودى : « جماعت إسلامى كى ٢٩ سال » ص ١٥ .

هذا الكتاب خلال عام ١٩٢٦ حينما كان عمره ٢٣ سنة فحسب ، وكان سبب تأليف هذا الكتاب أنه فى عام ١٩٢٦ قام واحد من المسلمين بقتل شردهانند رئيس حركة التهنيد (أى جعل المسلمين هندوسا) الذى أصدر كتابا طعن فيه سيدنا محمد ﷺ فقامت حركة عنيفة تهاجم الإسلام والمسلمين ، وبدأ الهندوس يطعنون فى الإسلام قائلين بأنه دين العنف والإرهاب ، وانتشر فى العالم بحد السيف ، وخلال تلك الأيام قال الشيخ محمد على الجوهر رئيس حركة الخلافة بالهند فى إحدى محاضراته فى الجامع بدلهى « ليت شخصا من المسلمين يقوم ويفند الافتراءات التى يوجهها الهندوس إلى الإسلام»، فعزم الأستاذ المودودى وهو شاب لم يتجاوز عمره ٢٣ عاما أن يواجه ذلك التحدى إن شاء الله(١) . فبدأ يطالع أمهات الكتب فى ذلك الموضوع كما بدأ يقرأ تاريخ الحروب فى الأديان الأخرى وفى الحضارة الغربية الحديثة ، وبدأ يكتب حلقات متتالية فى جريدته « الجمعية » ، وصدرت تلك الحلقات فيما بعد بصورة كتاب سماه الأستاذ « الجهاد فى الإسلام » ومن أهم مزايا هذا الكتاب هى :

أولا : نرى أنه نتيجة للعبودية الفكرية التى وقع فيها المسلمون خاصتهم وعامتهم بعد استيلاء الاستعمار الأوربى على معظم العالم الإسلامى قد أصبح موقفهم تجاه اعتراضات المستشرقين ضد الإسلام ولاسيما فى باب الجهاد ، موقف الخضوع والاعتذار ولكن الأستاذ المودودى فى تأليفه هذا تمكن من مواجهة هذه العقلية ، وقدم الصورة الحقيقية لفلسفة الجهاد الإسلامى ، وكان موقفه فى ذلك موقف المؤمن الواثق ، موقف الشجاعة والجرأة ، وأيد موقفه هذا بالبراهين العلمية والعقلية وبالأدلة من القرآن والسنة .

ثانيا : لم يكتف الأستاذ المودودى بتقديم فلسفة الجهاد الإسلامى بصورته الصحيحة فحسب بل اهتم أن يقارن بين فلسفة الجهاد الإسلامى وفلسفة الحروب فى الأديان الأخرى ، بين الجهاد الإسلامى والحروب الاستعمارية واستغلالها للشعوب الضعيفة، وهكذا تمكن من الإثبات بالشواهد التاريخية أن الجهاد الإسلامى يهدف إلى إنقاذ النوع الإنسانى من الظلم والجور والطغيان وذلك بإقامة الإمامة الصالحة حيث الحرب فى الأديان الأخرى والحضارة الغربية الحديثة ، ليس هدفها إلا قتل الأبرياء والسلب والنهب واستيلاء القوى على الضعيف .

ثالثا : خلال حديثه فى موضوع الجهاد اهتم الأستاذ المودودى أن يتناول موضوعا هاما آخر وهو بيــان الغاية التى أخرجت الأمة الإسلامية من أجلها ؟ وبين بالبراهين والأدلة من الكتاب والسنة بأن غايتها الأصلية هى استئصال إمامة الكفر والطغيان وإقامة الإمامة الصالحة محلها .

رابعا : أسلوب الأستاذ المودودى فى هذا الكتاب ، مع كونه أول تأليفه المستقل هو أسلوب علمى جذاب مؤثر والقارىء بعدما يبدأ قراءته لا يمكن له أن يتوقف قبل أن يكمله .

والحقيقة إن الإنسان يأخذه العجب والحيرة حينما يرى شابا لم يتجاوز عمره ٢٣ سنة يؤلف كتابا مثل هذا الكتاب وبهذا الأسلوب الجذاب الذى قال الدكتور محمد إقبال فيه : « لم يمر أمام نظرى مثل هذا الكتاب العلمى الجامع الذى كتب عن هذا الموضوع باللغة الأردية »[١] . فلذلك كان دائما ينصح الشباب المسلمين باقتناء هذا الكتاب[٢] ، ويجدر بنا أن نذكر هنا مثالا عن تأثير الكتاب على القارىء فيذكر لنا الصحفى والكاتب الشهير السيد / آغاشورش الكاشميرى بأنه كان شيوعيا ولكن بعد ما قرأ كتاب « الجهاد الإسلامى » مصادفة وذلك حينما كان فى السجن فى عام ١٩٤٥ م قد أنقذه الله من الشيوعية[٣] .

ونختم حديثنا عن هذا الكتاب بما قال الأستاذ المودودى نفسه : « إن كتاب الجهاد فى الإسلام نفعنى أكثر من أى شخص آخر ، دخلت فى تأليفه وكنت على الحمية القومية وخرجت وأنا على حمية الإسلام ، عرفت طريقة إحيائه »[٤] .

المصطلحات الأربعة فى القرآن

صدر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٣٦٠ هـ الموافق عام ١٩٤١ م أى نفس العام الذى تأسست فيه الجماعة الإسلامية وهو من أهم الكتب التى ألفها الأستاذ

---

(١) انظر الأستاذ أسعد جيلانى : أبو الأعلى المودودى – فكره ودعوته ، ص ٣٩٩ .

(٢) انظر الأستاذ خليل الحامدى : الإمام أبو الأعلى المودودى – حياته ، دعوته وجهاده ، ص ١٦ .

(٣) انظر الأستاد محمد يوسف : « مولانا مودودى اپنى اورد وسرن كى نظرمين » ص ٥٢٨ ، ٥٣٩ .

(٤) الأستاد خليل الحامدى – الإمام أبو الأعلى المودودى ، حياته ، دعوته وجهاده ص . ١٠ .

المودودى . ويشمل تفسير المصطلحات الأربعة الأساسية للقرآن وهى (الإله ، والرب ، والعبادة ، والدين) كما يفهمها الأستاذ المودودى من القرآن والسنة واللغة . والحقيقة إن هذه المصطلحات هى مفاتيح القرآن لأن كل ما جاء به القرآن يدور حول هذه المصطلحات الأربعة أى أن الله وحده هو الإله والرب ، فإياه ينبغى أن يعبد الإنسان ، وله وحده ينبغى أن يخلص الدين ، وإذا كانت هذه هى الحقيقة فيمكننا أن نقول إن الفهم الصحيح للقرآن ينحصر على الفهم الصحيح لهذه المصطلحات الأربعة ، فلذلك لابد لمن يقوم لإحياء الدعوة الإسلامية أن يعتنى بالتفسير كالداعية الإسلامى الكبير كان لابد له أن يهتم بذلك فجاء بالتفسير الصحيح لها وبين أن كلمة الإله ليس المراد منها المعبود بمفهومه العام فحسب بل يشمل مفهومها المالك والملك والحاكم والشارع أيضا ، وهكذا كلمة الرب ليس المراد منها المربى فحسب بل يشمل مفهومها كل تلك المعانى التى تشملها كلمة الإله ، وكلمة العبادة ليس المراد منها أداء الطقوس فحسب ، بل فى الحقيقة تتسع دائرتها إلى كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية ، وكذلك كلمة الدين ليس المراد بها المعاملة الشخصية بين الإنسان والإله كما يفهم بعض الناس بل يشمل مفهومها كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية والحقيقية التى لابد أن نشير إليها أن هذه المعانى لتلك المصطلحات الأربعة الأساسية لم تكن جديدة بل كما بين الأستاذ المودودى بالأدلة من القرآن والسنة وبالشواهد من الأدب الجاهلى بأنها كانت معروفة لدى أهل اللغة العربية فى القرون الأولى ولكن مع الأسف نسى المسلمون أو تناسوا هذه المعانى فى القرون الأخيرة ، فكانت النتيجة أن المفهوم الصحيح للإسلام قد اختفى من العيون ، فالأستاذ المودودى حينما قرر أن يقوم لإحياء الدعوة الإسلامية كان لابد له أن يعتنى بإحياء المفهوم الصحيح لهذه المصطلحات الأربعة الأساسية التى ينحصر فيها إحياء التصور الصحيح للإسلام .

وجدير بالذكر أن بعضا من العلماء والمشايخ لهم بعض الملاحظات على هذا التفسير لتلك المصطلحات الأربعة الأساسية ، ولكن الحقيقة بأن الأدلة التى جاء بها هؤلاء العلماء لا تساوى ولا تنال من الأدلة التى جاء بها الأستاذ المودودى ، فأدلة الأستاذ المودودى لا تزال متفوقة حتى اليوم .

تجديد الدين وإحيائه

يشمل هذا الكتاب المقال الهام الذى كتبه الأستاذ المودودى لمجلة « الفرقان » الشهرية التى تصدر من بريلى (الهند) وذلك بعددها الخاص فى ذكرى الإمام ولى الله الدهلوى فى عام ١٩٤٠ م ، ثم صدر هذا المقال بصورة كتاب فى عام ١٣٦٠ هـ الموافق ١٩٤٠ م وهذا المقال مع أن موضوعه كان يدور حول قضايا التجديد التى قام بها الإمام ولى الله الدهلوى ، ولكن الأستاذ المودودى خلال حديثه عن الإمام ولى الله الدهلوى تناول موضوعا هاما آخر أيضا ، وهو بيان حقيقة عمل التجديد ومقتضياته كما اهتم ببيان تاريخ عمل التجديد ، وبين أنه كلما تمكنت الجاهلية من إيجاد طريق داخل النظام الإسلامى فلابد من ظهور شخصية أو شخصيات تهتم بإجلاء وجه الإسلام بكل الاهتمام ، وتستمر فى الجهاد للوصول إلى الغاية ، مهما تكن الأوضاع ، حتى تتمكن من تصفية ما تكاثف عليه من بدع وخرافات وتكلم خلال ذلك بالإيجاز عن عمل التجديد الذى قام به بعض المجددين الكبار كالخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ، والأئمة الأربعة والإمام الغزالى والإمام ابن تيمية ، والإمام أحمد السرهندى ، والإمام ولى الله الدهلوى ، والإمامين الشهيدين أى الإمام أحمد البريلوى والإمام إسماعيل ، وبين بالإيجاز ما هو دور كل واحد منهم فى القضاء على الجاهلية التى تمكنت من الدخول فى النظام الإسلامى فى عصره ، كما ذكر ملاحظاته على بعض الأفكار لبعض هؤلاء الأئمة الكبار كالإمام الغزالى والإمام أحمد السرهندى والإمام ولى الله الدهلوى والإمامين الشهيدين ، وفى بداية هذا الكتاب بين الأستاذ المودودى ما هو الفرق بين الإسلام والجاهلية بأنواعها المختلفة ، كما يشتمل آخر الكتاب الضميمة التى فيها ردود الأسئلة الموجهة إليه فيما بعد فى هذا الموضوع .

مكانة السنة فى التشريع

من المعلوم أن حركة إنكار حجية السنة النبوية فى التفسير والتشريع هى من الحركات الهدامة المعادية للإسلام التى أنشئت إثر غزو الاستعمار الحضارى على العالم الإسلامى للتوفيق بين الإسلام والحضارة الغربية الجاهلية وانتشرت هذه الحركة فى شبه القارة الباكهندية تحت رعاية الاستعمار الغاشم . وكذلك كانت فترة حكام باكستان العلمانيين فترة خصبة لانتشار دعوة هذه الفئة الضالة ولاسيما فى عهد الرئيس أيوب خان حصلت لهم السلطة التنفيذية فى شئون الدولة ، فتأسست خلال هذه الفترة إدارة التحقيقات الإسلامية بإسلام آباد ، ليتمكن منكرو السنة من نشر أفكارهم على حساب الدولة . و بدأ كتابهم الهجوم العنيف على مكانة السنة النبوية فى التفسير والتشريع .. وكذلك كان لتشجيع الحكومة لمجلة منكرى السنة الرسمية « طلوع إسلام »[1] أن حصل لها نفوذ كبير فى الدوائر الحكومية العسكرية والمدنية ... وهنا قرر الأستاذ المودودى أن يعتنى بالقضاء على هذه الحركة الهدامة ، فقام بتأليف كتابه الشهير « مكانة السنة فى التشريع » وفضح فيه الوجه الحقيقى لهذه الفئة الضالة وجاء بالأدلة من القرآن الكريم والبراهين العقلية القوية على أن القرآن لا يمكن العمل بمقتضياته وتعليماته إلا عن طريق السنة النبوية . وكذلك بين كون السنة النبوية مصدرا ثانيا للتفسير والتشريع ردا على اعتراضات منكرى السنة على مكانتها فى الدين ، وجدير بالذكر أن هذا الكتاب يشمل جزأين، الجزء الأول ردود الأستاذ المودودى على الخطابات التى وجهت إليه من قبل أحد أعضاء إدارة « طلوع إسلام » البارزين الدكتور عبد الودود ، والجزء الثانى يشمل مناقشة الأستاذ المودوى لما كتبه أحد قضاة المحكمة العليا بلاهور السيد القاضى محمد شفيع هجوما على مكانة السنة فى

---

(١) مجلة « طلوع إسلام » الشهرية (تعتبر محلة رسمية لفئة منكرى السنة وكان يصدرها الشودرى غلام أحمد برويز) أكبر دعاة إنكار السنة فى باكستان فى هذه الأيام ، وكانت هذه المجلة تصدر من « دلهى » فى أول أمرها ثم نقل مركزها إلى كراتشى عام ١٩٤٧ الميلادى ثم فى عام ١٩٥٨ نقل مركزها إلى لاهور .

التشريع فى حكمه فى إحدى القضايا ، والحقيقة أن الكتاب « مكانة السنة فى التشريع » له دور هام فى القضاء على سيطرة فئة منكرى السنة فى المجتمع الباكستانى ، فيقول الطالب / خادم حسين إلهى بخش فى رسالته للماجستير « فرقة أهل القرآن بباكستان وموقف الإسلام منها » عن دور هذا الكتاب فى الدفاع عن السنة النبوية فى باكستان :

« وأصبحت مدينة لاهور ، مدينة إقبال - مقرا دائما لدعوة « طلوع إسلام » عام ١٩٥٨ م لكن القوى الإلهية كانت له بالمرصاد ، إذ جعل مولانا المودودى لاهور نفسها مقرا للجماعة الإسلامية وسلط أضواء مستفيضة على دعوة برويز وحذر الناس من اتباعه وعواقبه الوخيمة التى تنتظر متبعيه يوم القيامة ، فلولا وجود مولانا المودودى فى لاهور لكان « لطلوع إسلام » وصاحبه شأن غير ما هو عليه الآن »[1] .

فيمكننا من هذا أن نقدر مكانة هذا الكتاب القيم ونقدر دوره فى الدفاع عن السنة النبوية ، وقد صدر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩٦٣ م من قبل « الناشرين الإسلاميين » بلاهور ، وأما ترجمته باللغة العربية فلم تصدر حتى الآن .

---

(١) خادم حسين إلهى بخش : فرقة أهل القرآن بباكستان وموقف الإسلام منها ، ص ٣٧ .

الحجاب

لقد أسلفنا فى هذه الرسالة أن حياة مسلمى الهند الاجتماعية كان لأهميتها البالغة أن ركز عليها الاستعمار وعملاؤه بصفة خاصة ، فقد ظهرت الدعوات والحركات تحت رعاية الاستعمار المباشرة أو غير المباشرة فى البلاد الإسلامية المختلفة وكانت هذه الحركات والدعوات تهدف إلى أن تسير المرأة المسلمة على نفس المنهج الذى كانت تسير عليه المرأة الغربية وتترك الحجاب الشرعى وتختار الخلاعة والسفور وتخرج من البيت سافرة الوجه بل شبه عارية وتشارك الرجال فى أنشطة الحياة الاجتماعية وذلك من التوظيف فى الدوائر الحكومية المدنية والعسكرية إلى المشاركة فى المباريات القومية والدولية ومهرجانات الشباب والشابات المختلطة ، ومن خدمة الركاب فى الطائرات إلى تمريض المرضى فى المستشفيات ومن استقبال النزلاء فى الفنادق والمقاهى إلى المشاركة فى حفلات الرقص والموسيقى المختلطة ، وكل ذلك باسم حقوق المرأة وتحريرها من سيطرة الرجال . فكان من الطبيعى أن يترك ذلك الاختلاط بين الرجال والنساء فى دوائر الحياة المختلفة آثاره الطبيعية فكثرت الفواحش والمنكرات فى المجتمعات الإسلامية المختلفة ، وزاد الطين بلة إذ قام بعض من « علماء السوء » بإصدار الفتوى أن حجاب المرأة المسلمة ليس له أى أساس فى الشريعة الإسلامية ، وهذا ما اضطر الأستاذ المودودى إلى أن يقوم لمواجهة ذلك التحدى بتأليف كتابه الشهير « الحجاب » والكتاب يشمل عدة مباحث . المبحث الأول يتعرض فيه الأستاذ بالسياق التاريخى لهذه المسألة من الحضارة اليونانية إلى الحضارة الأوربية الحديثة ويبين بالبراهين القوية أن اختلاط النساء بالرجال ومشاركتهن فى أنشطة الحياة الاجتماعية يؤدى إلى انهيار المجتمع ، ثم يتكلم الأستاذ عن الأسباب التى جعلت المسلمين يقعون فريسة لغزو الاستعمار الحضارى ، ثم يذكر الخلفية التى اضطرت بها المرأة فى المجتمعات الغربية إلى الخروج من البيت والمشاركة فى أنشطة الحياة الاجتماعية . ويذكر الأستاذ المؤثرات التى جاء بها خروج المرأة من البيت ومشاركتها فى أنشطة الحياة الاجتماعية فى المجتمع الغربى المعاصر ثم يبين بالتفصيل

النتائج التى سيأتى بها سفور المرأة فى المجتمع الإسلامى ويحذر الأمة الإسلامية منها ، ثم يذكر متطلبات المدنية الصالحة ومقتضياتها ، ثم يتكلم عن المبادىء الأساسية لحياة مسلمى الهند الاجتماعية ثم يذكر أحكام حجاب المرأة المسلمة مستدلا من الكتاب والسنة ، وبهذا يختم الأستاذ هذا الكتاب القيم الذى صدر لأول مرة عام ١٩٣٩ الميلادى ثم صدرت ترجمته باللغة العربية عام ١٩٥٦ م .

الدولة الإسلامية

كما أسلفنا فإن إقامة الحكومة الإسلامية هى من أهم أهداف الحركة الإسلامية . والإسلام لا يمكن العمل بمتطلباته ومقتضياته إلا بإقامة الحكومة الإسلامية ولكن كان لمؤثرات غارة الاستعمار السياسية والحضارية أن نسى المسلمون أو تناسوا أهميتها البالغة فى الدين فأخفت عنهم أوجه النظام الإسلامى فكان من الطبيعى أن يعتنى بها الأستاذ بصفة خاصة ويبين أهميتها فى الدين ويوضح بالتفصيل أوجه النظام الإسلامى المختلفة ، والكتاب « الدولة الإسلامية » يشمل مختارات مما كتبه الأستاذ المودودى فى هذا الموضوع فى المناسبات المختلفة من بداية الدعوة إلى عام ١٩٦٢ م حيث قام البروفسور خورشيد أحمد[١] أحد تلاميذ الأستاذ البارزين بتدوين هذا الكتاب ونشره فى صورته الحالية والكتاب يشمل أربعة أجزاء : الجزء الأول ، يشمل خمسة أبواب والباب الأول يبين فيه الأستاذ بالأدلة من الكتاب والسنة أن الإسلام دين ودولة وأن الإسلام لا يمكن العمل به إلا بإقامة الحكومة الإسلامية . والباب الثانى ، يشمل محاضرة الأستاذ المودودى الشهيرة « نظرية الإسلام السياسية » التى يقول

---

(١) هو البروفسور خورشيد أحمد بن محمد نذير القريشى قد تأثر بدعوة الأستاذ المودودى وهو طالب فانضم إلى جمعية الطلبة الإسلامية بباكستان وانتخب رئيسا لها فى عام ١٩٥٣ وحصل على شهادة الماجستير فى الاقتصاد من جامعة كراتش عام ١٩٥٥ م وعين أستاذا فيها وفى الوقت ذاته انضم إلى الجماعة الإسلامية وانتخب عضوا لمجلس الشورى للجماعة وأمينا عاما لمجمع المعارف الإسلامية التابع للجماعة ثم فى عام ١٩٦٨ م ترك عمله فى الجامعة وقام بتأسيس المؤسسة الإسلامية بلستر (إنجلترا) تحت رعاية الجماعة الإسلامية . ثم فى عام ١٩٧٨ م عين وزيرا للتخطيط فى حكومة الجنرال ضياء الحق ثم استقال من الوزارة حينما قررت الجماعة الإسلامية الانسحاب من الحكومة . ثم قام بتأسيس معهد الدراسات الاستراتيجية بإسلام أباد ومازال رئيسا للمعهد حتى اليوم .

فيها الكاتب الإسلامي الكبير الدكتور محمد المبارك : « ولعلها من أجود ما كتب فى الموضوع مع سعة فى الاطلاع وفى أفق التفكير وسلامة فى الاتجاه ودقة فى تمييز نظام الإسلام من غيره »[1] والباب الثالث ، يتكلم فيه الأستاذ عن فلسفة القرآن السياسية . والباب الرابع ، يتحدث عن المراد من كون الإنسان خليفة الله على الأرض ، والباب الخامس ، يشمل ما كتبه الأستاذ نقدا لنظرية القومية الوطنية الجاهلية . وأما الجزء الثانى فيشمل ستة أبواب : الباب الأول يتحدث عن المصادر الأساسية للدستور الإسلامى والباب الثانى يتكلم فيه الأستاذ عن المبادىء الأساسية للدولة الإسلامية والباب الثالث يتحدث فيه الأستاذ عن مبادىء الدستور الإسلامى الأساسية . والباب الرابع يتحدث عن الحكومة الإسلامية النموذجية وهى الحكومة فى عهد النبوة والخلافة الراشدة ، والباب الخامس يتكلم فيه الأستاذ عن مقتضيات التشريع والاجتهاد . والباب السادس يشمل بعض المباحث الدستورية الهامة . وأما الجزء الثالث فيشمل أربعة أبواب ، الباب الأول يتحدث عن حقوق الإنسان الأساسية فى الإسلام ، والباب الثانى يتكلم فيه الأستاذ عن حقوق أهل الذمة ، وأما الباب الثالث يتكلم عن العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، والباب الرابع يتحدث فيه الأستاذ عن أهم مبادىء الدولة الإسلامية الأساسية . وأما الجزء الرابع فيشمل محاضرة الأستاذ المودودى الشهيرة « كيف تقام الحكومة الإسلامية » . وهكذا أصبح هذا الكتاب موسوعة قيمة لما يتعلق بالدولة الإسلامية ، وصدر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩٦٢ الميلادى ونقله إلى اللغة العربية الأستاذ أحمد إدريس وقامت مكتبة المختار الإسلامى بمصر بنشر هذه الترجمة وتوزيعها .

---

(١) الدكتور محمد المبارك : الحكم والدولة ، ص ٨ .

قائمة بمؤلفات الأستاذ المودودى حسب التصنيف الموضوعى

وبعد أن تكلمنا عن بعض أهم مؤلفات الأستاذ المودودى يجدر بنا أن نأتى هنا بقائمة مؤلفاته حسب التصنيف الموضوعى مع الإشارة إلى بعض المزايا لكل صنف . وإليك بيان ذلك :

الكتاب والسنة

من المعلوم أن الكتاب والسنة هما المصدران الأساسيان للدعوة الإسلامية ولا يمكن القيام بعمل الدعوة الإسلامية إلا بالاهتداء بهما . ولذا كان من مقتضيات القيام بعمل الدعوة أن يعتنى الأستاذ بصفة خاصة بفهمهما ويقدم الحلول لمشاكل الحياة الفردية والاجتماعية فى ضوئهما ويرد على الاعتراضات التى يأتى بها المستشرقون وتلامذتهم على القرآن والسنة من النواحى المختلفة ولاسيما الاعتراضات الواردة على العلاقة بين الكتاب والسنة ومكانة السنة فى التشريع والكتب التى ألفها الأستاذ حول هذا الموضوع هى كالآتى :

١ – تفهيم القرآن (ستة مجلدات) وهو تفسيره للقرآن الكريم الذى تكلمنا عنه بالتفصيل .

٢ – ترجمة القرآن باللغة الأردية وهى تشمل ترجمة الأستاذ المودودى للقرآن الكريم مع موجز الهوامش التى كتبها الأستاذ المودودى لتفسيره « تفهيم القرآن » وصدرت هذه الترجمة عام ١٩٧١ م .

٣ – مبادىء أساسية لفهم القرآن : هذا الكتاب يشمل مقدمة تفسيره للقرآن الكريم « تفهيم القرآن » ثم صدر بصورة كتاب مستقل وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى عام ١٩٦٨ الميلادى .

٤ – القرآن والحديث : هذا الكتاب يشمل ما كتبه الأستاذ المودودى دفاعا عن السنة النبوية ومبينا العلاقة بين القرآن والسنة من بداية دعوته إلى عام ١٩٥٣ الميلادى . وصدر من لاهور عام ١٩٥٣ م .

٥ – فضائل القرآن : كتاب نشر عام ١٩٧٧ الميلادى .

٦ – المصطلحات الأربعة فى القرآن : هذا الكتاب تحدثنا عنه بالتفصيل.

٧ – كتاب الصوم : كتاب يشمل دروس الأستاذ المودودى من كتاب الصوم لمشكواة المصابيح وقد اهتم بتدوينه وإصداره الأستاذ حفيظ الرحمن الحسن عام ١٩٧٣ الميلادى .

٨ – مكانة السنة فى التشريع : هذا الكتاب أسلفنا ذكره بالتفصيل .

٩ – تفهيم الحديث : موسوعة كبيرة فى الأحاديث النبوية الشريفة تشمل الأحاديث الشريفة التى أوردها الأستاذ المودودى فى تفهيم القرآن وتأليفاته الأخرى واهتم بتدوينها وإصدارها مجمع المعارف الإسلامية بلاهور .

السيرة النبوية

إن السيرة النبوية هى سيرة مؤسس الحركة الإسلامية وقائدها ولا يمكن فهمها فهما صحيحا إلا بدراسة السيرة النبوية دراسة شاملة ولا يمكن العمل فى مجال الدعوة إلا بالاهتداء بها . فكان من هذا المنطلق أن قرر الأستاذ المودودى القيام بدراسة السيرة النبوية دراسة شاملة قبل بداية الحركة الإسلامية ثم قام بتأليف الكتب فى السيرة النبوية بأسلوب يهتدى بها العاملون فى مجال الدعوة والكتب التى ألفها الأستاذ المودودى حول هذا الموضوع كالآتى :

١ – سيرة سيد العالم : هذا الكتاب موسوعة كبيرة يشمل كل ما كتبه الأستاذ المودودى فى السيرة النبوية وصدر منه القسم الأول والثانى حتى عام ١٩٧٢ م والقسم الأول يشمل المبادىء الأساسية للموضوع . والقسم الثانى يتناول العهد المكى ، وأما القسم الثالث الذى يشمل العهد المدنى وهو الآن تحت الطبع ، وأما ترجمته باللغة العربية فلم تصدر حتى الآن .

٢ – النبوة المحمدية فى محكمة العقل : وهو كتاب صغير جاء الأستاذ فيه بالبراهين العقلية القوية على النبوة المحمدية ليقنع الجيل المثقف الجديد وهذا الكتاب صدر باللغة الأردية عام ١٩٣٧ الميلادية ثم صدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى عام ١٩٧٨ الميلادى .

٣ – رسالة السيرة النبوية : كتيب صغير صدر عام ١٩٧٦ الميلادى .

٤ – سيرة الرسول ﷺ : كتيب صغير صدر عام ١٩٧٠ الميلادى .

٥ – سيرة خاتم المرسلين : كتيب صغير صدر عام ١٩٧٦ الميلادى .

٦ – السيرة الطاهرة : كتيب صغير صدر عام ١٩٧٨ الميلادى .

٧ – القرآن والرسول : كتيب صدر فى عام ١٩٥٤ الميلادى .

٨ – سيد العالم : كتيب صغير يشمل حديث الأستاذ المودودى من الإذاعة عام ١٩٤١ الميلادى .

العقائد والإلهيات ومبادىء الإسلام الأساسية

إن العقائد والإلهيات والمبادىء الأساسية الأخرى مكانتها فى الدين كمكانة القلب فى الجسد ، ولكن كان لظهور الانحطاط الفكرى والعلمى فى المسلمين من ناحية ، ولوقوعهم فى العبودية الفكرية للحضارة الغربية الجاهلية من الناحية الأخرى ، أن ثقتهم فى العقائد الإسلامية الأساسية أصبح طقسا فارغا من الروح الحقيقى ، كما تأثر أكثرهم من الشبهات التى جاء بها المستشرقون والمبشرون فى العقائد والإلهيات الإسلامية فلهذا كان من متطلبات القيام بعمل الدعوة أن يعتنى الأستاذ ببيان هذه العقائد الأساسية بأسلوب جذاب مدلل يقتنع به الجيل المثقف الجديد فقام بعديد من التأليفات القيمة حول ذلك الموضوع ومن مزايا هذه الكتب أن يأتى فيها الأستاذ بالأدلة من الكتاب والسنة علاوة على البراهين العقلية القوية وذلك بأسلوب سهل جذاب ، وكان بفضل الله ثم بفضل هذا الأسلوب السهل الجذاب أن تمكن الأستاذ من إزالة الشبهات عن أذهان الشباب المثقف وإعادة ثقتهم فى العقائد الإسلامية الأساسية كما كان بفضل هذا الأسلوب المبرهن الحكيم أن عددا غير قليل من غير المسلمين هداهم الله إلى نور الإسلام ومنهم الدكتور ضياء الرحمن الأعظمى الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الذى كان هندوسيا وهداه الله لنعمة الإسلام بقراءة الكتاب « الدين القيم » والكتب التى ألفها الأستاذ المودودى حول هذا الموضوع كالآتى :

١ – مبادىء الإسلام : هذا الكتاب قد فصلنا القول فيه فى هذه الرسالة .

٢ – الخطب : هذا الكتاب أيضا فصلنا القول فيه فى هذه الرسالة .

٣ – نظرة فاحصة على العبادات الإسلامية : هذا الكتاب ألفه الأستاذ فى عام ١٩٣٩ الميلادى .

٤ – حطب الحرم الشريف : كتاب يضم الخطب التى ألقاها الأستاذ المودودى فى الحرم المكى الشريف خلال موسم الحج عام ١٩٦٣ الميلادى .

٥ – الإسلام والجاهلية : كتيب صغير يشمل محاضرة الأستاذ المودودى التى ألقاها فى الكلية الإسلامية ببشاور عام ١٩٤١ الميلادى .

٦ – طريق السلام : هذا الكتاب يشمل محاضرة الأستاذ التى ألقاها عام ١٩٤٠ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى عام ١٩٧٦ الميلادى .

٧ – الحضارة الإسلامية – أسسها ومبادؤها : هذا الكتاب ألفه الأستاذ المودودى عام ١٩٣٣ وصدرت ترجمته باللغة العربية فيما بعد من قبل دار الخلافة للطباعة والنشر .

٨ – الدين القيم : كتاب هام يشمل محاضرة الأستاذ المودودى التى ألقاها فى الجامعة الملية بدلهى عام ١٩٤٣ الميلادى ، وصدرت ترجمته باللغة العربية من قبل مؤسسة الرسالة ببيروت .

٩ – البعث بعد الموت : كتيب صعير يشمل حديث الأستاذ المودودى من الإذاعة عام ١٩٤١ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى عام ١٩٧٨ الميلادى وهده الترجمة يضمها كتاب « فى محكمة العقل » .

١٠ – مسألة الجبر والاختيار : هذا الكتاب ألفه الأستاذ المودودى عام ١٩٣٣ الميلادى ردا على اعتراضات أحد قادة حركة جحود حجية السنة النبوية الشودرى غلام أحمد برويز على هذه العقيدة الأساسية .

١١ – فى محكمة العقل : هذا الكتاب يشمل مختارات مما كتبه الأستاذ المودودى فى التوحيد والرسالة والبعث ومسألة الجبر والأختيار ، وقام بتدوينه وترجمته باللغة العربية الأستاذ خليل الحامدى عام ١٩٧٨ الميلادى .

الدعوة الإسلامية ومتطلباتها

من المعلوم أن الأستاذ المودودى لم يكن مؤلفا عاديا بل كان مؤلفا داعيا فلذا من الطبيعى أن عددا غير قليل من تأليفاته يدور حول موضوع الدعوة ، ومنها الكتب التى ألفها الأستاذ المودودى مبينا مبادىء الدعوة الإسلامية وأسسها ومنها الكتب التى تتحدث عن خصائص الدعوة الإسلامية ومزاياها . ومنها الكتب التى ألفها الأستاذ المودودى لبيان منهج الدعوة الإسلامية وبرنامجها . كما أن منها الكتب التى يتكلم فيها الأستاذ عن الصفات اللازمة للدعاة وكذا منها الكتب المستقلة التى ألفها الأستاذ حول هذا الموضوع ، ومنها الكتب التى تضم المحاضرات التى ألقاها الأستاذ فى مؤتمرات الجماعة الإسلامية السنوية توجيها للعاملين فى مجال الدعوة ومنها ما كتبه الأستاذ ردا على الأسئلة حول الدعوة ومتطلباتها . وإليك بيان تأليفات الأستاذ المودودى حول هذا الموضوع :

١ – الدعوة الإسلامية ومتطلباتها : كتاب يشمل المحاضرة التى ألقاها الأستاذ المودودى فى المؤتمر السنوى للجماعة الإسلامية عام ١٩٤٥ م وترجمته باللغة بالعربية للأستاذ خليل الحامدى يتضمنها كتاب تذكرة دعاة الإسلام.

٢ – الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية : كتاب يشمل محاضرة الأستاذ المودودى التى ألقاها فى مؤتمر الجماعة الإسلامية عام ١٩٤٥ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية من قبل الاتحاد العام لطلاب مصر .

٣ – الجهاد فى الإسلام : هذا الكتاب فصلنا القول فيه فى بداية الفصل .

٤ – الجهاد فى سبيل الله : كتاب يشمل محاضرة الأستاذ المودودى التى ألقاها عام ١٩٣٩ م . وقد صدرت ترجمة الكتاب باللغة العربية .

٥ – تجديد الدين وإحيائه : هذا الكتاب تحدثنا عنه بالتفصيل .

٦ – شهادة الحق: هذا الكتاب يشمل محاضرة الأستاذ التى ألقاها فى مؤتمر الجماعة الإسلامية عام ١٩٤٦ م فقد صدرت ترجمته باللغة العربية من قبل مؤسسة الرسالة ببيروت .

٧ – الصفات اللازمة للعاملين فى مجال الدعوة الإسلامية : كتاب يشمل محاضرة الأستاذ المودودى التى ألقاها فى المؤتمر العام للجماعة الإسلامية عام ١٩٥١ م وترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى يتضمنها كتاب « تذكرة دعاة الإسلام » .

٨ – الشروط اللازمة لنجاح الحركة الإسلامية : كتاب يشمل توجيهات الأستاذ المودودى للعاملين فى مجال الدعوة وصدر فى عام ١٩٦٧ الميلادى .

٩ – واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم: كتاب يشمل محاضرة الأستاذ التى ألقاها فى المؤتمر العام للجماعة الإسلامية عام ١٩٥١ م فقد صدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ عاصم الحداد من قبل مؤسسة الرسالة ببيروت .

١٠ – الجماعة الإسلامية – هدفها ، تاريخها وبرنامجها : كتاب ألفه الأستاذ المودودى عام ١٩٥١ الميلادى .

١١ – دعوة الجماعة الإسلامية : كتاب يشمل المحاضرة التى ألقاها الأستاذ المودودى فى مؤتمر الجماعة الإسلامية عام ١٩٤٧ الميلادى .

١٢ – دور المرأة المسلمة فى الحركة الإسلامية : كتاب يشمل محاضرة الأستاذ المودودى التى ألقاها فى مؤتمر السيدات الذى انعقد تحت رعاية الجماعة الإسلامية بلاهور عام ١٩٤٨ الميلادى .

١٣ – مصدر قوة المسلم : كتاب ألفه الأستاذ المودودى عام ١٩٢٥ الميلادى حين كان عمره ٢٢ عاما وصدر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩٦٩ الميلادى .

١٤ – ما هى الدعوة الإسلامية : كتيب صغير يشمل دعوة الجماعة الإسلامية .

١٥ – مستقبل الحركة الإسلامية فى الهند : كتاب يشمل المحاضرة التى ألقاها الأستاذ المودودى فى مؤتمر الجماعة الإسلامية عام ١٩٤٧ م ، قبل تقسيم البلاد إلى دولتين مستقلتين : الهند وباكستان .

١٦ – الدعوة الإسلامية ومنهجها : كتاب يشمل محاضرة الأستاذ المودودى التى ألقاها فى مؤتمر الجماعة الإسلامية عام ١٩٤٥ الميلادى .

١٧ – منهج الحركة الإسلامية للمستقبل : كتاب يشمل المحاضرة الطويلة التى ألقاها الأستاذ المودودى فى المؤتمر العام للجماعة عام ١٩٥٦ الميلادى .

١٨ – الجماعة الإسلامية خلال ٢٩ عاما : كتاب يشمل محاضرة الأستاذ المودودى التى ألقاها عام ١٩٧٠ الميلادى فى ذكرى تأسيس الجماعة الإسلامية .

١٩ – تذكرة دعاة الإسلام : كتاب يشمل مختارات مما كتبه الأستاذ حول الدعوة الإسلامية ومتطلباتها فى المناسبات المختلفة ، وقام باختيارها وترجمتها باللغة العربية الأستاذ خليل الحامدى .

٢٠ – العلم والعمل : كتاب يشمل مختارات مما كتبه الأستاذ المودودى حول الدعوة ومتطلباتها فى المناسبات المختلفة وقام باختيارها الأستاذ عاصم النعمانى .

٢١ – هلموا نقوم بتغيير هذا العالم : كتيب صغير يشمل مختارات مما كتبه الأستاذ حول الدعوة ومتطلباتها واهتم بتدوينه وإصداره باللغة الإنجليزية الأستاذ كوكب الصديقى .

٢٢ – الحركة الإسلامية – دعوتها وتاريخها : كتاب يشمل مختارات مما كتبه الأستاذ المودودى حول الدعوة ومتطلباتها وقام باختيارها البروفسور خورشيد أحمد .

٢٣ – تقرير عن الجماعة الإسلامية (ستة مجلدات) : موسوعة كبيرة تشمل تقارير عن أنشطة الجماعة الإسلامية من تأسيسها فى عام ١٩٤١ إلى عام ١٩٥١ م .

الحكومة الإسلامية وما يتعلق بها

إن الإسلام دين كامل يشمل كل دائرة من دوائر الحياة المختلفة ولا يمكن العمل به إلا إذا أقيمت الحكومة الإسلامية ، فإقامة الحكومة الإسلامية إذن تعتبر من أهم أهداف الحركة الإسلامية وهذا ما يدل عليه عمل النبى ﷺ وخلفائه الراشدين ولكن كان لانحطاط المسلمين الفكرى والسياسى من ناحية ، وانفصال الدين عن الشئون الحكومية من الناحية الثانية وخضوع المسلمين للنظم السياسية الغربية اللادينية من الناحية الثالثة أن نسى المسلمون أو تناسوا أهمية إقامة الحكومة الإسلامية ، فكان من متطلبات القيام بعمل الدعوة أن يعتنى الأستاذ بصفة خاصة بالجهاد لإقامة الحكم الإسلامى ويبين بكل الوضوح أهمية إقامة الحكومة الإسلامية مع بيان منهجها ويوضح بكل الصراحة نظرية الإسلام السياسية مع بيان الفروق بينها وبين النظم السياسية العلمانية الحديثة . وهذا ما نراه فى تأليفاته القيمة فى هذا الموضوع . وجدير بالذكر أن تأليفاته فى ذلك الموضوع تمتاز بأسلوبها الجذاب المبرهن الذى يتأثر به القلب والذهن معا . فلذا هذه الكتب كان لها دور كبير فى إنقاذ الجيل المثقف الجديد من العبودية الفكرية للنظم السياسية الغربية وإقناعهم بأهمية إقامة الحكومة الإسلامية وإعادة ثقتهم فى نظام الإسلام السياسى والكتب التى ألفها الأستاذ فى هذا الموضوع كالآتى :

١ – كيف تقام الحكومة الإسلامية : كتاب يشمل المحاضرة التى ألقاها الأستاذ المودودى فى جامعة على كره الإسلامية عام ١٩٣٩ الميلادى فصدرت ترجمته باللغة العربية من قبل دار العروبة للدعوة الإسلامية عام ١٩٤٦ باسم (منهاج الانقلاب الإسلامى) .

٢ – نظرية الإسلام السياسية : كتاب يشمل محاضرة الأستاذ المودودى التى ألقاها فى لاهور عام ١٩٣٩ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية من قبل دار العروبة للدعوة الإسلامية التابعة للجماعة الإسلامية عام ١٩٤٦ م .

٣ – استفتاء ذو بال : كتيب هام كتبه الأستاذ المودودى عام ١٩٤٠ الميلادى

ردا على أحد الأسئلة مبينا فيه أهمية الحكم بما أنزل الله .

٤ - الشريعة الإسلامية وطرق تنفيذها فى باكستان : كتاب يشمل المحاضرة التى ألقاها الأستاذ المودودى فى كلية الحقوق بلاهور عام ١٩٤٨ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ عاصم الحداد باسم « القانون الإسلامى وطرق تنفيذه فى باكستان » .

٥ - أسس الدستور الإسلامى فى القرآن : هذا الكتاب ألفه الأستاذ عام ١٩٥٢ م مواجهة للتحدى الذى طرحه المحامى الشهير السيد / بروهى أن القرآن الكريم لا توجد فيه أسس الدستور الإسلامى قط .

٦ - تدوين الدستور الإسلامى : كتاب يشمل محاضرة للأستاذ المودودى التى ألقاها لمواجهة نفس التحدى من قبل السيد / بروهى عام ١٩٥٢ م وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ عاصم الحداد عام ١٩٥٣ م .

٧ - عقوبة المرتد فى الشريعة الإسلامية : كتاب ألفه الأستاذ المودودى عام ١٩٤٣ م .

٨ - حقوق أهل الذمة فى الدولة الإسلامية : كتاب ألفه الأستاذ المودودى عام ١٩٤٨ م وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ عاصم الحداد عام ١٩٦٠ الميلادى .

٩ - المقترحات الدستورية : كتاب يشمل المقترحات الدستورية التى قدمها الأستاذ المودودى لتدوين الدستور الإسلامى لدولة باكستان الإسلامية ، عام ١٩٥٢ م .

١٠ - حقوق الإنسان الأساسية : كتاب يشمل المحاضرة التى ألقاها الأستاذ المودودى فى لاهور عام ١٩٦٣ الميلادى .

١١ - حول تطبيق الشريعة الإسلامية فى باكستان : كتاب يشمل الحوار بين الأستاذ المودودى ومندوب إذاعة جمهورية باكستان الإسلامية حول تطبيق الشريعة الإسلامية في باكستان فى عام ١٩٧٨ م .

١٢ - نظام الحياة فى الإسلام : كتاب يشمل محاضرات الأستاذ المودودى من

إذاعة باكستان فى عام ١٩٤٨ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية من قبل مؤسسة الرسالة .

١٣ – الخلافة والملك : كتاب ألفه الأستاذ المودودى مبينا الفرق بين الخلافة الراشدة والملك ، وقد صدر ذلك الكتاب لأول مرة عام ١٩٦٦ الميلادى ثم صدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ أحمد إدريس من قبل المختار الإسلامى بالقاهرة عام ١٩٧٨ الميلادى .

١٤ – الإسلام و الديمقراطية العلمانية : كتاب يشمل محاضرة الأستاذ المودودى التى ألقاها فى مؤتمر الجماعة الإسلامية عام ١٩٤٧ الميلادى .

١٥ – المطالبة بإقامة النظام الإسلامى : كتاب يشمل المحاضرة التى ألقاها الأستاذ المودودى عام ١٩٤٨ م خلال جهاده لإقامة النظام الإسلامى .

١٦ – نظام الحياة للإسلام ومبادئه الأساسية : كتاب يشمل العديد من المحاضرات التى ألقاها الأستاذ المودودى حول هذا الموضوع فى المناسبات المختلفة .

١٧ – الدولة الإسلامية : هذا الكتاب أسلفنا ذكره بالتفصيل .

١٨ – حقوق الإنسان الأساسية فى الإسلام : كتاب يشمل مختارات مما كتبه الأستاذ المودودى فى هذا الموصوع فى المناسبات المختلفة، وهدا الكتاب قام بتدوينه وإصداره باللغة الإنجليزية السيد / إيم – إيم – شريف .

١٩ – مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة : كتاب يشمل مختارات مما كتبه الأستاذ فى الموضوع فى المناسبات المختلفة . وهذا الكتاب قام بتدوينه وإصداره باللغة العربية الأستاذ خليل الحامدى .

٢٠ – نظرية الإسلام وهديه فى السياسة والقانون والدستور : كتاب يشمل مختارات مما كتبه الأستاذ المودودى فى السياسية والشريعة والدستور ، واهتم بتدوينه وإصداره باللغة العربية الأستاذ عاصم الحداد سنة ١٩٦٠ الميلادى .

الاقتصاد والمعيشة

من المعلوم أن الفلسفات الاقتصادية الحديثة كان لانتشارها أثر كبير في المسلمين المثقفين حيث أنهم فقدوا ثقتهم في صلاحية نظام الاقتصاد الإسلامي لحل المعضلات الاقتصادية المعاصرة بل في الحقيقة لم يدرك هؤلاء الناس ما هو نظام الاقتصاد الإسلامي ولم يعرفوا عنه إلا اسمه فاعتمدوا حل الاعتماد على النظم الاقتصادية الجاهلية في حل معضلاتهم الاقتصادية ورأوا أن نهضة المسلمين الاقتصادية مرتبطة باختيار هذه النظم الاقتصادية الجاهلية . فبدأ البعض يشتغلون في الحرف المحرمة حتى بلغ الأمر أن قام بعض من « علماء السوء » بإصدار الفتوى بجواز الربا . وزاد الطين بلة إذ أقيمت الحكومات الديمقراطية الليبرالية في البلاد الإسلامية فقاموا بتنفيذ النظام الاقتصادي الشيوعي أو النظام الاقتصادي الاشتراكي أو النظام الاقتصادي الرأسمالي . فاهتم الأستاذ المودودي بهذا الموضوع بصفة خاصة وقام بتأليف عديد من الكتب القيمة فيه ، ومنها الكتب التي انتقد فيها الأستاذ المودودي النظم الاقتصادية المعاصرة نقدا علميا مدعما بالبراهين العقلية القوية، ومنها الكتب التي بين فيها الأستاذ أوجه نظام الاقتصاد الإسلامي المختلفة ومنها الكتب التي انتقد فيها الأستاذ الربا والحرف المحرمة الأخرى وكل ذلك بأسلوب عصري جذاب ليقتنع به الجيل الجديد في صلاحية نظام الاقتصاد الإسلامي لحل المعضلات الاقتصادية العصرية وأهم هذه الكتب ما يلي :

١ - معضلات الإنسان الاقتصادية وحلها في الإسلام : كتاب يشمل محاضرة الأستاذ المودودي التي ألقاها في جامعة على كره الإسلامية عام ١٩٤١ الميلادي ، فقد صدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ مسعود الندوي من قبل دار العروبة للدعوة الإسلامية .

٢ - أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة : كتاب هام ألفه الأستاذ المودودي عام ١٩٣٧ الميلادي. وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ عاصم الحداد من قبل الدار السعودية للنشر .

٣ - الربا : كتاب هام ألفه الأستاذ المودودي عام ١٩٤٩ م وصدرت ترجمته

باللغة العربية للأستاذ عاصم الحداد من قبل مؤسسة الرسالة ببيروت ودار الأنصار بالقاهرة .

٤ – مسألة ملكية الأرض فى الإسلام : كتاب ألفه الأستاذ المودودى عام ١٩٣٤ م ولكنه صدر لأول مرة عام ١٩٥٠ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى من قبل دار القلم بالكويت .

٥ – مبادىء الاقتصاد فى القرآن : كتاب ألفه الأستاذ المودودى عام ١٩٦٩ م .

٦ – مبادىء أساسية للاقتصاد الإسلامى : كتاب يشمل محاضرة الأستاذ المودودى التى ألقاها فى جامعة بنجاب عام ١٩٦٥ م .

٧ – الرأسمالية والشيوعية : كتاب نشر عام ١٩٥٣ الميلادى .

٨ – الإسلام والعدالة الاجتماعية : كتاب يشمل محاضرة الأستاذ المودودى التى ألقاها فى المؤتمر الإسلامى بمكة المكرمة عام ١٩٦٢ م وصدرت ترجمته باللغة العربية من قبل مكتبة دار البيان بالكويت .

٩ – نظام الاقتصاد الإسلامى : كتاب هام يشمل مختارات مما كتبه الأستاذ المودودى فى المسائل الاقتصادية فى المناسبات المختلفة ، وهذا الكتاب قام بتدوينه البروفسير خورشيد أحمد عام ١٩٦٩ م .

الأخلاق والتزكية

كما ذكرنا خلال حديثنا عن مؤثرات الحضارة الغربية الحديثة أن انتشار الفلسفات المادية الجاهلية فى المجتمعات الإسلامية انتهى إلى تغيير القيم الأخلاقية المادية ، وهذا التغيير كان له تأثير بالغ فى حياة مسلمى الهند الفردية والاجتماعية وذلك لأن القيم الأخلاقية الإسلامية تهدف إلى كسب مرضاة الله ، أما القيم الأخلاقية المادية فتهدف إلى حصول النفع المادى بصرف النظر عن كون الفعل صحيحا أو غير صحيح وجائزا أو غير جائز ، وهذا ما يغير حياة الإنسان الفردية والاجتماعية كلها فكان لهذه الأهمية للقيم الأخلاقية أن اهتم الأستاذ المودودى بتأليف الكتب الآتية :

١ – نظرية الإسلام الأخلاقية : كتاب ألفه الأستاذ المودودى عام ١٩٤٤ الميلادى ونشر عام ١٩٥٥ الميلادى .

٢ – الصلاح والفساد : كتاب يشمل محاضرة الأستاذ المودودى التى ألقاها فى المؤتمر العام للجماعة الإسلامية عام ١٩٤٧ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى عام ١٩٧٦ الميلادى .

٣ – الإسلام والعناية بتزكية النفس : كتاب هام نشر باهتمام الجماعة الإسلامية بالهند عام ١٩٦٧ م .

الحياة الاجتماعية

لقد ذكرنا آنفا أن دائرة الحياة الاجتماعية كانت أكثر تأثرا من غزو الاستعمار الحضارى ، وذلك لتركيز الاستعمار عليها بصفة خاصة ، فقد أنشئت الحركات والدعوات الخاصة لإخراج المرأة المسلمة من البيت واختلاطها مع الرجال للمشاركة فى أنشطة الحياة الاجتماعية وذلك باسم تحرير المرأة، فكان لهذه الدعوات والحركات أن بدأت المرأة المسلمة ولاسيما فى البيوتات الارستقراطية تسير على خطوات المرأة الأوربية ، وبدأ ظهور نفس المفاسد فى المجتمع الإسلامى التى ظهرت فى المجتمعات الغربية ، ومنها بداية السفور والخلاعة ، ومنها شيوع الاختلاط بين النساء والرجال ومنها مشاركة المرأة فى أنشطة الحياة الاجتماعية ، ومنها بداية حركة تحديد النسل وما إلى ذلك من المفاسد الاجتماعية فكان من الطبيعى أن يعتنى الأستاذ المودودى بالقضاء على هذه المفاسد الاجتماعية فألف عديدا من الكتب القيمة فى ذلك الموضوع . وتمتاز هده الكتب بالأسلوب الجذاب المبرهن بالأدلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية التى تستحوذ على الذهن والقلب معا، فكان لتأثير هذه الكتب القيمة أن عددا غير قليل من المثقفين الجدد عادت ثقتهم فى القيم والتعليمات الإسلامية السامية للحياة الاجتماعية وإليك ذكر بعض هذه الكتب :

١ – الحجاب : هذا الكتاب أسلفنا ذكره بالتفصيل .

٢ – حقوق الزوجين : كتاب هام ألفه الأستاذ المودودى عام ١٩٣٥ الميلادى

وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ أحمد إدريس عام ١٩٧٩ الميلادى من قبل المختار الإسلامى بالقاهرة .

٣ – حركة تحديد النسل فى الميزان : كتاب ألفه الأستاذ المودودى عام ١٩٣٥ م ثم صدر باللغة العربية فيما بعد من قبل مؤسسة الرسالة ببيروت .

٤ – الإسلام وتنظيم الأسرة : كتاب صغير ألفه الأستاذ المودودى عام ١٩٦٠ م .

٥ – مسألة اللباس : كتاب يشمل البحث القيم الذى كتبه الأستاذ المودودى عام ١٩٢٩ م وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى عام ١٩٧٦ الميلادى .

٦ – مسألة تعدد الزوجات : كتاب يشمل البحث الذى كتبه الأستاذ عام ١٩٦٣ م ردا على اعتراضات منكرى السنة النبوية .

التعليم والثقافة

إن التعليم من أقوى الوسائل التى اختارها الاستعمار الغاشم خلال غزوه الحضارى للعالم الإسلامى ، والحقيقة أنه عن طريق التعليم تمكن الاستعمار من النفوذ الحضارى فى المجتمعات الإسلامية كما أنه عن طريق التعليم انتشرت الفلسفات الجاهلية والنظريات اللادينية فى الجيل المثقف ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى كان لتعميم الثقافة الإنجليزية فى المسلمين أن ثقتهم فى عقائد الإسلام الأساسية بدأت تضمحل يوما بعد يوم حتى بلغ الأمر أن عددا غير قليل من المثقفين الجدد فقدوا ثقتهم فى عقائد الإسلام الأساسية فجحدوها فكان لتأثير الثقافة الغربية اللادينية أن اضطر الدكتور محمد إقبال رحمه الله أن يقول :

« مباش أيمن أزان علمى كہ خوانى ، كہ ازوى روح قومى مى توان كشت » .

« أى إياك أن تكون آمنا فى العلم الذى تدرسه فإنه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها » .

فلذا كان من الضرورى أن يقوم الأستاذ لمواجهة هذا التحدى ناقدا هذه الثقافة اللادينية ومبينا موقف الإسلام منها ومقدما المنهج الإسلامى للتعليم والتربية . وإليك بيان أهم مؤلفات الأستاذ المودودى فى هذا الموضوع :

١ - منهج جديد للتعليم والتربية : كتاب يشمل محاضرة الأستاذ المودودى التى ألقاها فى دار العلوم لندوة العلماء بلكهنو فى ديسمبر عام ١٩٤٠ م .

٢ - المنهج الإسلامى للتعليم وطرق تنفيذه فى باكستان : كتيب يشمل المحاضرة التى ألقاها الأستاذ المودودى فى المؤتمر العام لجمعية الطلبة الإسلامية عام ١٩٥٢ م .

٣ - منهج التعليم الإسلامى : كتاب يشمل ما كتبه الأستاذ المودودى ردا على الأسئلة الصادرة من قبل اللجنة التعليمية عام ١٩٦٣ الميلادى .

٤ - خطبة توزيع الشهادات : كتيب صغير يشمل خطبة الأستاذ المودودى التى ألقاها فى حفل التخرج لإحدى الكليات الإسلامية عام ١٩٤٠ م .

٥ - التعليمات : كتاب هام يشمل مختارات مما كتبه الأستاذ المودودى حول نواحى التعليم المختلفة فى مناسبات مختلفة ، وصدر هذا الكتاب عام ١٩٦٣ الميلادى .

فى مواجهة التحديات المعاصرة

يعتبر عصر الأستاذ المودودى عصر التحديات للإسلام وللأمة الإسلامية وذلك لأن الحضارة الجاهلية الحديثة التى سيطرت على العالم الإسلامى فى ذلك العصر تحت رعاية الاستعمار الغاشم كانت مادية لادينية من باطنها إلى ظاهرها ، وكذلك العلوم والفلسفات والنظريات التى جاءت بها هذه الحضارة كانت مادية جاهلية من رأسها إلى قدميها ، فكان نتيجة سيطرة هذه الحضارة الجاهلية أن راجت فى العالم الإسلامى النظريات والفلسفات المادية الجاهلية مثل التفسير الجدلى للتاريخ لهيجل والتفسير الجدلى المادى لماركس ونظرية النشوءوالارتقاء لداروين والتفسير الجنسى لعلم النفس لفرويد والشيوعية والعلمانية والرأسمالية ، والديمقراطية اللادينية ، والقومية الوطنية الجاهلية وما إلى ذلك من الفلسفات

والنظريات الجاهلية اللادينية فوقع الجيل المثقف الجديد من المسلمين فى العبودية الفكرية للحضارة الغربية والعلوم التى جاءت بها وثقتهم فى عقائد الإسلام الأساسية بدأت تضمحل يوما بعد يوم فرأى الأستاذ ضرورة مواجهة هذا التحدى وإنقاذ الجيل المثقف الجديد من هذه العبودية الفكرية وإعادة ثقتهم فى صلاحية الإسلام لقيادة البشرية فى ذلك العصر وجاء بالكتب القيمة الآتية فى ذلك الموضوع :

١ – نحن والحضارة الغربية : هذا الكتاب تحدثنا عنه بالتفصيل .

٢ – الإسلام والمدنية الحديثة : كتاب يشمل البحث الذى كتبه الأستاذ المودودى عام ١٩٤٧ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى من قبل الدار السعودية للنشر بجدة ودار الأنصار بالقاهرة .

٣ – الإسلام اليوم : كتاب يشمل محاضرة الأستاذ المودودى التى ألقاها عام ١٩٦٣ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى من قبل دار العروبة للدعوة الإسلامية بلاهور .

٤ – المحاضرات فى أوربا : كتاب يشمل محاضرات الأستاذ المودودى التى ألقاها فى أوربا وأمريكا فى المناسبات المختلفة وصدر هذا الكتاب عام ١٩٨١ الميلادى من قبل إدارة ترجمان القرآن بلاهور .

٥ – الإسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة : كتاب هام يشمل مختارات مما كتبه الأستاذ المودودى فى هذا الموضوع فى المناسبات المختلفة . وهذا الكتاب القيم قام بتدوينه وترجمته باللغة العربية وإصداره الأستاذ خليل الحامدى .

بين يدى الشباب

إن الجيل المثقف الجديد فى العالم الإسلامى قد ركز عليه الاستعمار الغاشم بصفة خاصة ليجعله فريسة لمؤامراته ومخططاته الشنيعة . ولكن كان من فضل الله ثم بفضل جهود الحركات الإسلامية فى البلاد الإسلامية المختلفة أن عددا غير قليل من الشباب أنقذهم الله من العبودية الفكرية للحضارة الغربية الجاهلية حيث

انضموا إلى الحركة الإسلامية وبدأوا العمل فى مجال الدعوة بتأسيس منظمات إسلامية مستقلة ، وهؤلاء الطلاب علاقتهم مع الأستاذ المودودى كانت علاقة الأبناء مع الأب أو علاقة التلاميذ مع الأستاذ فهم كانوا يراجعون الأستاذ لتوجيهاته الحكيمة للعمل فى مجال الدعوة . فالأستاذ المودودى كان يعتنى بهم بصفة خاصة ويرشدهم بتوجيهاته القيمة والمحاضرات والكلمات التى ألقاها الأستاذ فى هذا الصدد صدرت فيما بعد فى صورة كتب مستقلة . وأهم هذه الكتب الآتى :

١ – واجب الشباب المسلم اليوم : كتاب يشمل محاضرة الأستاذ المودودى التى ألقاها أمام جمع من الشباب المسلم فى مسجد الدهلوى بمكة المكرمة فى موسم الحج عام ١٣٨١ الهجرية الموافق ١٩٦٢ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية من قبل المكتب الإسلامى ببيروت .

٢ – تحديات العصر الجديد والشباب : كتاب يشمل المحاضرة التى ألقاها الأستاذ المودودى فى المؤتمر السنوى لجمعية الطلبة الإسلامية عام ١٩٧٥ م وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى من قبل دار العروبة للدعوة الإسلامية بلاهور .

٣ – دور الطلبة المسلمين فى بناء مستقبل العالم الإسلامى : هذا الكتاب يشمل محاضرة الأستاذ المودودى التى ألقاها فى المؤتمر السنوى لجمعية الطلبة الإسلامية عام ١٩٦٦ م وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى من قبل الاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الإسلامية بالكويت .

٤ – دور الطلبة فى بناء مستقبل دولة باكستان الإسلامية : كتاب يشمل محاضرة الأستاذ المودودى التى ألقاها فى المؤتمر السنوى لجمعية الطلبة الإسلامية عام ١٩٦٥ الميلادى .

٥ – التصريحات : كتاب يشمل ما قاله الأستاذ المودودى فى محاضراته أو كلماته فى المؤتمرات الطلابية أو ردا على أسئلة الطلاب فى المناسبات المختلفة ولذا يضم هذا الكتاب توجيهات الأستاذ الحكيمة للشباب الإسلامى وقامت بتدوينه وإصداره جمعية الطلبة الإسلامية عام ١٩٧٩ الميلادى .

٦ – بين يدى الشباب : كتاب يشمل مختارات مما كتبه الأستاذ لتوجيه الشباب الإسلامى فى المناسبات المختلفة . وهذا الكتاب قام بتدوينه وإصداره الأستاذ خليل الحامدى .

قضايا العالم الإسلامى

كان لمخططات الاستعمار ومؤامراته الشنيعة أن شهد العالم الإسلامى عديدا من الحوادث المؤلمة خلال ذلك العصر ، ومن أهم هذه الحوادث سقوط الخلافة الإسلامية على يد العميل الاستعمارى مصطفى كمال ، ومؤامرة احتلال فلسطين وإقامة دولة إسرائيل الصهيونية عام ١٩٤٨ م واحتلال دولة كشمير المسلمة من قبل الاستعمار الهندوسى عام ١٩٤٨ م وسقوط بيت المقدس عام ١٩٦٧ الميلادى ، وسقوط باكستان الشرقية عام ١٩٧١ م وما إلى ذلك من المآسى التى شهدتها الأمة الإسلامية خلال ذلك العصر . والأستاذ المودودى عاش هذه القضايا وشهدها بالقلب المتألم وكان لكونه داعية ومفكرا إسلاميا كبيرا أنه اعتنى بتأليف العديد من الكتب القيمة التى تكلم فيها عن المخططات الاستعمارية وراء هذه القضايا وجاء بالاقتراحات الحكيمة لحلها . وأهم ما كتبه الأستاذ المودودى فى هذا الصدد كالآتى :

١ – مسألة الخلافة : كتيب يشمل البحث الذى كتبه الأستاذ المودودى على مسألة الخلافة عام ١٩٢٢ م خلال انضمامه إلى حركة المحافظة على الخلافة الإسلامية .

٢ – مجازر اليونانيين فى سمرنا : كتيب آخر كتبه الأستاذ المودودى خلال تلك الفترة من حياته .

٣ – النشاطات التبشيرية فى تركيا : هذا الكتاب أيضا ألفه الأستاذ المودودى خلال نفس الفترة .

٤ – قضايانا الداخلية والخارجية : هذا الكتاب يشمل محاضرة ألقاها الأستاذ المودودى فى المؤتمر السنوى للجماعة الإسلامية لعام ١٩٥١ م .

٥ – بين الدعوة القومية والرابطة الإسلامية : كتاب يشمل البحث الذى كتبه

الأستاذ المودودى عام ١٩٣٩ م ناقدا للقومية الوطنية الهندية التى يرنع لواءها المؤتمر الوطنى الهندى . وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى عام ١٩٦٧ م من قبل دار العربية للطباعة والنشر ببيروت .

٦ – أضواء على حركة التضامن الإسلامى : كتاب يشمل خطاب الأستاذ المودودى الذى ألقاه فى ندوة المؤتمر الإسلامى بلاهور عام ١٩٦٥ م ، وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى عام ١٩٦٧ م من قبل الدار السعودية للنشر بجدة .

٧ – مأساة الشرق الأوسط : كتاب يشمل البحث الذى كتبه الأستاذ المودودى عام ١٩٦٧ م بعد سقوط بيت المقدس على أيدى الاستعمار الصهيونى وترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى يشملها كتاب « طائفة من قضايا الأمة الإسلامية » .

٨ – فاجعة المسجد الأقصى : كتاب يشمل خطاب الأستاذ المودودى الذى ألقاه فى اجتماع عقدته الجماعة الإسلامية بلاهور عقب حدوث جريمة حريق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩ الميلادى . وترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى يشملها كتاب « طائفة من قضايا الأمة الإسلامية » .

٩ – قضية كشمير المسلمة : كتاب يشمل البحث الذى كتبه الأستاذ المودودى عام ١٩٦٥ الميلادى بعد وقوع الحرب بين الهند وباكستان حول هذه القضية وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى فى نفس الوقت من قبل دار العروبة للدعوة الإسلامية بلاهور .

١٠ – نحن وبنغلاديش : كتاب يشمل البحث الذى كتبه الأستاذ المودودى عام ١٩٧٢ م بعد سقوط باكستان الشرقية وإنشاء دولة بنغلاديش الجمهورية عام ١٩٧١ الميلادى وترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى يشملها كتاب « طائفة من قضايا الأمة الإسلامية » .

١١ – عرض موجز للوضع الذى تعيش فيه الأقلية الإسلامية فى الهند : كتيب يشمل المقال الذى كتبه الأستاذ المودودى عام ١٩٦٩ م قبيل انعقاد

مؤتمر القمة الإسلامى الأول فى الرباط ، وترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى يشملها كتـاب « طائفة من قضايا الأمة الإسلامية » .

١٢ - قضايا إسلامية هامة تنتظر الحلول : كتيب يشمل نص المذكرة التى قدمها الأستاذ المودودى إلى مؤتمر القمة الإسلامى فى لاهور عام ١٩٧٤ م وترجمته باللغة العربية يشمل كتـاب « طائفة من قضايا الأمة الإسلامية » .

١٣ - طائفة من قضايا الأمة الإسلامية فى القرن الحاضر : كتاب هام يشمل مختارات مما كتبه الأستاذ المودودى حول قضايا العالم الإسلامى فى المناسبات المختلفة . وهذا الكتاب قام بتدوينه وإصداره باللغة العربية الأستاذ خليل الحامدى عام ١٩٨١ م من قبل دار العروبة للدعوة الإسلامية بالمنصورة ، لاهور .

الحركات الهدامة المعادية للإسلام

كان لظهور الدعوات والحركات الهدامة المعادية للإسلام فى العصر الحاضر حسب مخططات الاستعمار الغاشم ولتحقيق أهدافه الشنيعة للقضاء على الإسلام والمسلمين معا . وهذا ما يتبين من اهتمام الاستعمار بإنشاء هذه الحركات وتدعيمها بكل ما فى وسعه من ناحية ،ومن دور هذه الحركات فى العالم الإسلامى من الناحية الثانية ، وأهم هذه الحركات الهدامة هى حركة القاديانية وحركة إنكار حجية السنة النبوية ، وحركة التفرنج والتغرب ، وحركة القومية الوطنية وما إلى ذلك من الحركات الهدامة ، فكان من مقتضيات القيام بعمل الدعوة أن يعتنى الأستاذ بالنقد لتلك الحركات الهدامة نقدا علميا مبرهنا بالأدلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية ويحذر الأمة الإسلامية من الانضمام إليها . وأهم الكتب التى ألفها الأستاذ المودودى نقدا للحركات الهدامة هى كالآتى :

١ - المسألة القاديانية : كتيب يشمل البحث الذى كتبه الأستاذ المودودى عام ١٩٥٣ م خلال ثورة المسلمين ضد القاديانيين . وكان لتأليف هذا الكتاب

أن صدر حكم إعدامه ، وصدرت ترجمة هذا الكتاب باللغة العربية فيما بعد .

٢ - ختم النبوة : هذا الكتاب يشمل ما كتبه الأستاذ المودودى فى تفسيره للآية الكريمة : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾[1] . وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى من قبل دار العروبة للدعوة الإسلامية بالمنصورة ، لاهور .

٣ - البيانات : هذا الكتاب يشمل بيانات الأستاذ المودودى الثلاثة أمام المحكمة الخاصة التى شكلتها الحكومة للحكم عليه بعد ثورة المسلمين ضد القاديانيين عام ١٩٥٣ الميلادى .

٤ - التعليق على تقرير القاضى محمد منير حول الاضطرابات لعام ١٩٥٣ م : كتاب يشمل ما كتبه الأستاذ المودودى نقدا و تعليقا على التقرير الذى قدمه القاضى محمد منير حول الاضطرابات والمجازر التى أقيمت خلال ثورة المسلمين ضد القاديانيين عام ١٩٥٣ الميلادى .

٥ - مكانة السنة فى التشريع : هذا الكتاب كتبه الأستاذ المودودى ردا على اعتراضات منكرى السنة الباطلة وقد أسلفنا ذكره بالتفصيل .

٦ - إثبات الذبح بآيات الذبح : كتاب يشمل ما كتبه الأستاذ المودودى عام ١٩٣٧ م ردا على اعتراضات منكرى السنة حول الذبح .

٧ - الذبح - فى محكمة العقل والشريعة : كتاب يشمل البحث الذى كتبه الأستاذ المودودى عام ١٩٥٠ م نقدا لموقف منكرى السنة من الذبح .

٨ - بين المودودى والبابا : كتيب يشمل ما كتبه الأستاذ المودودى عن الأنشطة التبشيرية فى العالم الإسلامى عام ١٩٦٧ م ردا على الرسالة من البابا وترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى يشملها كتاب « طائفة من قضايا الأمة الإسلامية » .

٩ - مسألة القومية : كتاب هام كتبه الأستاذ المودودى عام ١٩٣٩م ناقدا

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٤٢ .

للحركة القومية الوطنية الجاهلية التى تأثر بها كثير من المثقفين وصدرت ترجمته باللغة العربية فيما بعد .

حول قضايا البلاد الداخلية

لم يعش الأستاذ المودودى حياة بعيدة عما كان يجرى فى بلاده من النواحى المختلفة ، بل عاش حياة شاملة لكل جوانبها مكافحا ضد ما كان يجرى فى البلاد ضد الإسلام والمسلمين . فكان يعتنى كل العناية بالقضايا التى كانت لها أية علاقة بوطنه الإسلامى ، وكان يدرسها بوجهة النظر الإسلامية مبينا بكل صراحة موقف الإسلام منها . وجدير بالذكر أنه لم يكتف بالنقد فحسب بل كان يأتى باقتراحاته القيمة لحل هذه القضايا ، وذلك بالأدلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية . والحقيقة أن توجيهاته الحكيمة واقتراحاته القيمة لحل تلك القضايا تدل على بصيرته السياسية مع سعة نظره وعمق فكره من ناحية ، وعلى قلبه الحنون المتألم على ما كان يجرى فى بلاده ضد الإسلام والمسلمين من الناحية الأخرى ، وأهم الكتب التى ألفها الأستاذ المودودى مبينا موقف الإسلام من هذه القضايا الداخلية الآتى :

١ - حركة تحرير الهند والمسلمون : كتاب هام ألفه الأستاذ المودودى خلال عام ١٩٣٧ الميلادى وعام ١٩٤١ الميلادى . وجدير بالذكر أن هذا الكتاب الذى يشمل جزأين قد صدر لأول مرة فى ثلاثة أجزاء باسم « المسلمون والصراع السياسى الحاضر » .

٢ - النشاط الانتخابى : كتاب يشمل البحث الصغير الذى كتبه الأستاذ المودودى عام ١٩٥١ الميلادى .

٣ - الانتخابات المختلطة .. لماذا لا ؟ : كتاب يشمل البحث الذى كتبه الأستاذ المودودى عام ١٩٥٦ الميلادى .

٤ - الحركة لإعادة الديمقراطية : كتيب يشمل البحث الذى كتبه الأستاذ المودودى عام ١٩٦٨ الميلادى تعريفا بالحركة لإعادة الديمقراطية .

٥ – مقتضيات الحرية والإسلام : كتيب يشمل البحث الذى كتبه الأستاذ المودودى عام ١٩٤٨ الميلادى .

٦ – التعليق على التوصيات الدستورية : كتيب صغير كتبه الأستاذ المودودى عام ١٩٥٠ الميلادى .

٧ – تحليل لأوضاع باكستان الشرقية : كتاب يشمل التقرير الذى كتبه الأستاذ المودودى عام ١٩٥٥ م عن الأوضاع السائدة فى باكستان الشرقية بعد جولته للشطر الشرقى للبلاد .

الموسوعات الإسلامية

هناك بعض الكتب القيمة التى تشمل ما كتبه أو قاله الأستاذ المودودى فى الموضوعات المختلفة فى المناسبات المختلفة من بداية دعوته إلى وفاته ، وهذه الموضوعات يتسع نطاق دائرتها من العقائد والإلهيات إلى المسائل التفسيرية والفقهية . ومن المعضلات الاقتصادية إلى المشاكل الاجتماعية والمسائل السياسية وما إلى ذلك من الموضوعات المختلفة المتنوعة ، ومنها ما كتبه الأستاذ المودودى ، مبينا موقف الإسلام مما جاءت به الحضارة الغربية الجاهلية ، ومنها ما كتبه الأستاذ ردا على اعتراضات منكرى السنة على مكانة السنة النبوية فى التفسير والتشريع أو حول بعض المبادىء والأحكام الإسلامية ومنها ما كتبه ردا على الأسئلة الواردة عن الجهات المختلفة ومنها ما قاله الأستاذ المودودى ردا على الأسئلة فى جلساته اليومية . وهذا ما جعل هذه الكتب موسوعات إسلامية قيمة . وجدير بالذكر أن أسلوب الأستاذ المودودى فى هذه الكتب يمتاز بكونه مبرهنا بالأدلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية من ناحية ولكونه سهلا وجذابا ومتينا من الناحية الأخرى ، وكان لتأثير هذه الكتب القيمة أن مئات الآلاف من الشباب المثقفين وفقهم الله بالانضمام إلى الحركة الإسلامية . ولولا ضيق المجال لتكلمنا عنها بالتفصيل . فنكتفى بذكر هذه الكتب بإيجاز :

١ – التفهيمات : كتاب يضم ما كتبه الأستاذ المودودى من بداية دعوته إلى وفاته مبينا موقف الإسلام مما جاءت به الحضارة الغربية أو ردا على الاعتراضات أو الشبهات التى راجت فى العالم الإسلامى حول مبادىء

الإسلام وتعليماته إثر غزو الاستعمار الحضارى ، وهذا الكتاب يشمل ثلاثة مجلدات .

٢ – الرسائل والمسائل : كتاب يضم مختارات مما كتبه الأستاذ المودودى ردا على الأسئلة الواردة إليه فى الموضوعات المختلفة ومن الجهات المختلفة وهذا الكتاب يشمل خمسة مجلدات .

٣ – المقابلات الصحفية : كتاب يضم مختارات مقابلات الأستاذ المودودى الصحفية فى المواقع المختلفة . وهذا الكتاب اهتم بتدوينه وإصداره السيد / أبو طارق .

٤ – المحاضرات : كتاب يضم مختارات محاضرات الأستاذ المودودى فى المناسبات المختلفة ، وهذا الكتاب يشمل جزأين وقام بتدوينه وإصداره الأستاذ ثروت صولت .

٥ – الرسائل : كتاب يشمل رسائل الأستاذ المودودى التى لا يضمها كتاب « الرسائل والمسائل » وقام بتدوينه سكرتيره الشيخ عاصم النعمانى ، والكتاب صدر منه جزآن حتى الآن :

٦ – رسائل من الزنزانة : كتاب يشمل الرسائل التى كتبها الأستاذ المودودى من السجن والكتاب اهتم بتدوينه الشيخ محمد شريف .

٧ – الخطب الإذاعية : كتاب يشمل الخطب التى ألقاها الأستاذ المودودى من الإذاعة فى الموضوعات المختلفة والمناسبات المختلفة .

٨ – فى جلسات الأستاذ المودودى العصرية : كتاب يضم مختارات مما قاله الأستاذ المودودى فى ردوده على الأسئلة التى وجهت إليه خلال جلساته اليومية بعد صلاة العصر فى فناء مكتب الجماعة الإسلامية ، والكتاب قام بتدوينه الدكتور رفيع الدين الهاشمى والأستاذ مظفر بك وصدر منه جزآن .

الموضوعات المختلفة

وهناك بعض الكتب التى لا يمكن لنا أن نذكرها حسب التصنيف الموضوعى وذلك لاختلاف موضوعاتها. وهذه الكتب نتكلم عنها بإيجاز كالآتى :

١ - كسوة الكعبة المشرفة - تاريخها وحكمها الشرعى : كتاب يشمل البحث الذى كتبه الأستاذ عام ١٩٦٣ الميلادى .

٢ - الشخصيات الإسلامية المعاصرة : كتاب يضم ما كتبه الأستاذ المودودى عن الشخصيات ا لإسلامية المعاصرة فى المناسبات المختلفة . صدر من لاهور عام ١٩٧٨ م .

٣ - المراسلة بين الأستاذ المودودى والسيدة مريم جميلة : مجموعة من الرسائل المتبادلة بين الأستاذ المودودى والسيدة مريم جميلة سيدة أمريكية حديثة العهد بالإسلام(١) .

٤ - مبادىء الإسلام الاقتصادية والسياسية : كتاب يضم مختارات مما كتبه الأستاذ المودودى فى الاقتصاد والسياسة فى المناسبات المختلفة . وقام بتدوينه وترجمته باللغة الإنجليزية الاستاذ/ إيم - إيم - شريف .

٥ - الإمامان الجليلان أبو حنيفة وأبو يوسف : كتاب يضم ما كتبه الأستاذ المودودى عن هذين الإمامين الجليلين . وقام بتدوينه وترجمته باللغة الإنجليزية السيد / إيم - إيم - شريف .

---

(١) هى السيدة مريم جميلة ولدت فى بيئة يهودية أمريكية عام ١٩٣٥ الميلادى ثم هداها الله إلى الإسلام بعد أن قرأت كتب الأستاذ المودودى وهاجرت إلى باكستان وتزوجت من السيد / محمد يوسف أحد أعضاء الجماعة الإسلامية ولها عدد غير قليل من المؤلفات القيمة حول الموضوعات الإسلامية المختلفة .

٦ - اليهود والنصارى : هذا الكتاب يشمل ما كتبه الأستاذ المودودى عن اليهود والنصارى فى تأليفاته المختلفة . وقام بجمعه وتدوينه الأستاذ نعيم الصديقى .

٧ - إلى أى شيء يدعو الإسلام : كتاب يشمل البحث الذى كتبه الأستاذ المودودى بطلب من المجلس الإسلامى الأوربى بلندن لإلقائه فى المؤتمر الإسلامى الدولى عام ١٩٧٦ م بلندن .

٨ - ذبائح أهل الكتاب : هذا البحث يشمله تأليف الأستاذ المودودى الشهير التفهيمات باللغة الأردية وصدرت ترجمته باللغة العربية للأستاذ خليل الحامدى عام ١٩٧٥ الميلادى من قبل دار العروبة للدعوة الإسلامية بلاهور .

الكتب التى ألفها الأستاذ المودودى قبل قيامه للدعوة الإسلامية

هناك عدد غير قليل من الكتب القيمة التى ألفها الأستاذ المودودى ، قبل قيامه للدعوة الإسلامية عام ١٩٣٣ م . وقد أسلفنا ذكر بعضها . والآن يجدر بنا أن نتكلم عن هذه الكتب بإيجاز :

(أ) التأليفات :

١ - مجازر اليونانيين فى سمرنا : هذا الكتاب أسلفنا ذكره .

٢ - النشاطات التبشيرية فى تركيا : هذا الكتاب أسلفنا ذكره .

٣ - مسألة الخلافة : هذا الكتاب أسلفنا ذكره .

٤ - الأخلاق الاجتماعية وفلسفتها : وهذا الكتاب ألفه الأستاذ المودودى عام ١٩٢٤ الميلادى ولكنه صدر متأخرا فى عام ١٩٨٠ م من قبل الإخوان للنشر والتوزيع بكراتشى .

٥ - مصدر قوة المسلم : هذا الكتاب أسلفنا ذكره .

٦ - الجهاد فى الإسلام : هذا الكتاب أسلفنا ذكره .

٧ – مسألة اللباس : هذا الكتاب أيضا أسلفنا ذكره .

٨ – الدولة الأصفية والاستعمار البريطانى : كتاب ألفه الأستاذ عام ١٩٢٨ الميلادى .

٩ – السلاجقة : هذا الكتاب ألفه الأستاذ عام ١٩٣٠ الميلادى .

١٠ – تاريخ الدكن السياسى : كتاب ألفه الأستاذ عام ١٩٣١ الميلادى .

(ب) التراجم من اللغة العربية

وهذه الكتب نقلها الأستاذ المودودى من اللغة العربية إلى اللغة الأردية :

١ – الإسلام والإصلاح للشيخ عبد العزيز جاويش : هذا الكتاب نقله الأستاذ من اللغة العربية إلى اللغة الأردية عام ١٩١٦ م حيث كان عمره ١٣ عاما[١] .

٢ – تحرير المرأة للأستاد قاسم أمين : هذا الكتاب نقله الأستاذ من اللغة العربية إلى اللغة الأردية فى عام ١٩١٩ م حيث كان عمره ١٦ عاما[٢] .

٣ – تاريخ الإسلام لابن الخلكان : هذا الكتاب ترجم الأستاذ جزء منه وهو الحزء الذى يتعلق بالفاطميين ودلك فى عام ١٩٢٩ م[٣] .

٤ – الأسفار الأربعة للشيخ صدر الدين الشيرازى : هدا الكتاب نقله الأستاذ من اللغه العربية إلى اللغة الأردية فى عام ١٩٣١ الميلادى[٤] .

---

(١) انظر جريدة « آتش فشان » الأسبوعية : عدد خاص فى ذكرى الأستاذ المودودى لشهر نوفمبر ١٩٧٩ م .

(٢) انظر المرجع السابق .

(٣) انظر الأستاذ محمد يوسف : مولانا مودودى انبى وترد وسرول كى نظرين ، ص ٤٩ .

(٤) انظر المرجع السابق ، ص ٤٩

الفصل الخامس

مؤثرات دعوة الأستاذ المودودي الفكرية والعلمية

إننى لا أعرف رجلا أثر فى الجيل الإسلامى الجديد فكرياً وعلمياً مثل تأثير الراحل العظيم، لا فى العمق ولا فى السعة ، وقد كان السيد / جمال الدين الأفغانى من أقوى الشخصيات الإسلامية التى نبغت فى القرن الماضي وأكبرها نفوذاً فى عقول الشباب المثقف ، وسيطرة بل سحراً عليها ، وتأثيراً فى الفكر والاتجاهات والأساليب الأدبية والكتابية والخطابية حتى كان صانع جيل ومفتتح عهد ولكن الحق يقال إن سيطرته العقلية والنفسية كانت محدودة فى السخط على الأوضاع السياسية القائمة ، والاستعمار الأجنبى ، وفى إثارة الأنفة والنخوة فى الشعوب الإسلامية المحكومة فى بلادها ، والعمل للجامعة الإسلامية ، ولم تر أفقها فكرة منسقة ، ولا دعوة واعية إيجابية تقوم على الدراسات الإسلامية العميقة بخلاف الأستاذ السيد أبى الأعلى المودودى الذى قامت دعوته على الأسس العلمية أعمق وأمتن من أسس تقوم عليها دعوات سياسية وردود فعل الاستعمار الأجنبى ، ومما يجب أن يسجل فى مآثره الخالدة أنه قد كان لكتاباته فضل كبير فى إعادة الثقة إلى نفوس الشباب المثقف الذكى لصلاحية الإسلام لمسايرة العصر الحديث بل لقيادته وللتغلب على مشكلاته الطريفة المعقدة ومعالجتها بل للمنع من وقوعها ، ومحاربة « مركب النقص » فى نفوس هؤلاء الشباب فيما يتصل بالعقائد ، والأخلاق ونظم الحياة الإسلامية ، وقد بعثت كتاباته القوية ثم جهوده المتواصلة الرغبة القوية العارمة لقيام حكم إسلامى ونظام إسلامى ومجتمع أفضل فى كل بلد إسلامى ، بل فى كل بقعة من بقاع الأرض .

الشيخ أبو الحسن على الندوى

فى رثاء الأستاذ المودودى

---

(١) مجلة المجتمع الكويتى . العدد ٤٥٩ والتاريخ ١ محرم ١٤٠٠ هـ .

مؤثرات دعوة الأستاذ المودودى الفكرية والعلمية

فى ختام حديثنا عن عصر الأستاذ المودودى وحياته ودعوته ومؤلفاته نذكر هنا موجز مؤثرات دعوته الفكرية والعلمية ، وذلك لكى نعرف مدى تأثير دعوته فى العالم الإسلامى ، وبهذا الصدد يجدر بنا أن نقارن بين أوضاع العالم الإسلامى فى العصر الذى بدأ الأستاذ المودودى دعوته فيه وبين الأوضاع التى يعيشها العالم الإسلامى اليوم وذلك من النواحى المختلفة ، وهذه المقارنة يتبين منها بكل صراحة أن الصراع الذى قد بدأ فى العالم الإسلامى بعد سيطرة الاستعمار السياسية والحضارية بوقوع الأمة الإسلامية فى العبودية الفكرية للحضارة الغربية الحديثة والفلسفات الجاهلية التى جاءت بها وبفقدان الثقة فى صلاحية الإسلام لقيادة الركب البشرى نراه الآن فى مرحلة جديدة ، وهذه المرحلة الجديدة تختلف كثيرا من المرحلة الأولى حيث نجد أن العبودية الفكرية للحضارة الغربية وعلومها المادية وفلسفاتها الجاهلية بدأت تضعف يوما بعد يوم، وقد أنقذ الله كثيرا من المسلمين المثقفين منها وهكذا نرى ثقتهم فى صلاحية الإسلام لقيادة البشرية وحل مشاكلها تزيد مع مرور الأيام ، وفضلا عن هذا نرى ظهور الحركات الإسلامية فى البلاد المختلفة ولا تزال هذه الحركات تزيد أثرا ونفوذا فلله الحمد .

والحقيقة أن هذا التغيير العظيم فى العالم الإسلامى كان ظهوره نتيجة للدعوات الإسلامية التى ظهرت فى البلاد المختلفة خلال ذلك العصر ومن أهم هذه الدعوات هى الدعوة التى قام بها الأستاذ المودودى ، وهذا يتبين من مؤثرات دعوته الفكرية والعلمية فى المجالات المختلفة وأهم هذه المؤثرات الفكرية والعلمية هى كالآتى :

١ - إحياء التصور الصحيح للدين :

من أهم أعمال الأستاذ المودودى وأكبرها إحياء التصور الصحيح للإسلام الذى هو دين كامل وتتسع دائرته إلى كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية .

والحقيقة بأنه لم يكن تصورا جديدا بل هو نفس التصور الحقيقى الذى تشير إليه الآية الكريمة : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾[1] ، والذى يدل عليه عمل النبى ﷺ وخلفائه الراشدين ، ولكن مع مرور الأيام بدأ ذلك التصور الحقيقى يختفى من العيون ، فبعد سيطرة الاستعمار الأوربى الغاشم على معظم البلاد الإسلامية نسى المسلمون أو تناسوا عامتهم وخاصتهم ذلك التصور الإسلامى الصحيح . ولذلك اهتم الأستاذ المودودى بإحياء التصور الصحيح للإسلام الذى تتسع دائرته فى كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية وذلك بالأدلة من القرآن والسنة وبالبراهين العلمية والعقلية ، وقد بذل ما فى وسعه لشرح النظام الإسلامى وشئونه المختلفة ، وذلك بأسلوب علمى عصرى متين، وألف الأستاذ عدة من الكتب القيمة لتحقيق ذلك الهدف ومنها تفسيره « تفهيم القرآن » و « مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة » و « نظرية الإسلام وهديه فى السياسة والقانون والدستور » و« كيف تقام الحكومة الإسلامية » و« الخلافة والملك » و« تدوين الدستور الإسلامى » و« الإسلام ومعضلات الاقتصاد » و« نظرية الإسلام السياسية » و« نظام الحياة فى الإسلام » وغيرها وهكذا تمكن من إحياء التصور الصحيح للإسلام . ويقول الشيخ أبو الحسن على الندوى عن عمله الجليل هذا « قد عرض الإسلام ونظام حياته وأوضاع حضارته وحكمه ، وصياغته للمجتمع والحياة ، وقيادته للركب البشرى والمسيرة الإنسانية فى أسلوب علمى رصين فى لغة عصرية تتفق مع نفسية الجيل المثقف ومستوى العصر العلمى »[2] .

٢ - إبراز التصور الصحيح للتوحيد ومتطلباته :

ومن أعماله الجليلة الخالدة إحياء التصور الصحيح للتوحيد ، ومن المعلوم أن عقيدة التوحيد هى أصل الدين وإذا فسدت هذه العقيدة فسد الدين كله ، وعقيدة التوحيد تشمل - كما يتبين من القرآن والحديث - توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الحاكمية .

---

(١) سورة المائدة : آية ١١ .

(٢) مجلة المجتمع الكويتية : العدد ٤٥٩ ، ص ٢٤ .

ومن منطلقات التوحيد الأساسية أن يكون الحكم لله وحده ولكن بدأ المسلمون فى القرون الأخيرة يرون أن التوحيد يشمل توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية فحسب ، وأما توحيد الحاكمية فتجاهل المسلمون كونها من أنواع التوحيد ، مع أن عددا غير قليل من آيات القرآن تدل على ذلك ومنها قوله سبحانه : ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ﴾[1] . وقوله سبحانه : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾[2] . وقوله سبحانه : ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾[3] . وغيرها كثير من الآيات الكريمة .. وكان لذلك أن كثير من المسلمين الذين كانوا يعتقدون فى عقيدة التوحيد لم تمنعهم هذه العقيدة من الوقوع فى الشرك فى الحاكمية ... حتى العلماء والمشايخ الذين كانوا يتمسكون بعقيدة التوحيد بقوة ، وكانوا ينكرون الشرك فى الربوبية والألوهية لم يهمهم الشرك فى الحاكمية قط ، حتى أن كثيرا منهم كانوا راضين عن الحكومات غير الإسلامية ولم يجتهدوا لقيام الحكومات الإسلامية ، التى تتمكن من القضاء على الشرك فى الحاكمية . ولكن الأستاذ المودودى قد وفقه الله أن يثبت بالأدلة من القرآن والحديث أن عقيدة التوحيد لن تكمل إلا إذا اشتملت على توحيد الحاكمية ، والكتب التى شرح الأستاذ فيها هذه العقيدة كثيرة ومنها تفسيره « تفهيم القرآن » و« المصطلحات الأربعة فى القرآن » و« مبادىء الإسلام » و« الخطب » و« الحضارة الإسلامية - أسسها ، ومبادئها » ، وغيرها من الكتب ، حتى جعله عقيدة لجماعته كما يقول دستور الجماعة : « ألا يسلم لغير الله بأنه ملك أو مالك الملك ، أو مصدر السلطة العليا ، ولا يعترف لأحد غير الله بحقه فى الأمر والنهى بناء على سلطته الذاتية وكذلك لا يدين بغير الله شارعا ومقننا مستقلا بذاته ، ويرفض كل طاعة لا تتبع طاعة الله ولا تلتزم بأحكام الله ، فالله وحده هو مالك حقيقى لملكه وخالق لمخلوقه وليس لغيره أبدا حق الملكية والحاكمية بصفة مطلقة »[4] .

---

(١) سور يوسف : الآية ٤٠ . (٢) سورة المائدة : الآية ٤٤ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ٥٧ .

(٤) دستور الجماعة الإسلامية باكستان : المادة الثالثة (٥) ص ٣ .

٣ - إثبات صلاحية الإسلام فى كل زمان ومكان :

ومن أعماله الكبيرة مواجهته للتحدى الذى جاءت به الحضارة الغربية الحديثة تحت رعاية الاستعمار الغاشم وإعادة الثقة فى صلاحية الإسلام للعصر الحديث . والحقيقة أن ذلك التحدى كان أكبر التحديات التى واجهها الإسلام والمسلمون فى التاريخ ، لأنه - كما ذكرنا فى الفصل الأول - كانت دائرته تتسع فى كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية وكانت تحيط بالعقائد والنظريات والأفكار والعلوم والسياسة والحكومة والتعليم والتربية ، والاقتصاد والمدنية ، ولم يبق شيء خارجا عن دائرة سيطرته ونفوذه ، والنظريات الفاسدة والحركات الهدامة كالمادية والعلمانية والشيوعية والاشتراكية وغيرها من الفلسفات المادية اللادينية التي جاءت بها الحضارة الغربية الحديثة ، والموقف الذى اتخذه المسلمون تجاه هذه الحضارة الجاهلية ، كان موقف الخضوع والاستسلام الذى اتخذه المثقفون الجدد الذين كانت فى أيديهم زعامة السلطة فى المجتمع أو موقف الاعتزال والرفض السلبى الذى اتخذه العلماء والمشايخ الذين لم يبق لهم فى المجتمع أثر يذكر ، والحقيقة أن كلا الموقفين كانت مفاسدهما أكثر من نفعهما ، وكان أكبر تلك المفاسد وأخطرها أن المثقفين الجدد الذين كانت زعامة السلطة فى أيديهم قد وقعوا فى العبودية الفكرية للحضارة الغربية الحديثة والنظريات اللادينية والفلسفات المادية الجاهلية التى جاءت بها ، ونتيجة لهذه العبودية الحضارية بدأت ثقتهم فى صلاحية الإسلام تنقص يوما بعد يوم وبدأت الحركات الهدامة تنتشر فى المسلمين ، وأما العلماء والمشايخ الذين كان من واجبهم أن يقوموا لمواجهة تلك الحركات فإنهم لم يعرفوا عنها شيئا ، ولذلك لم يتمكنوا من مواجهتها ، ولكن الأستاذ المودودى فضلا عن إمعان نظره فى الكتاب والسنة والعلوم الإسلامية الأخرى ، درس أيضا النظريات والفلسفات المادية اللادينية التى جاءت بها الحضارة الغربية الحديثة دراسة عميقة ، فتمكن من اتخاذ الموقف الجرىء الصحيح تجاه هذه الحضارة اللادينية انتقد النظريات والفلسفات المادية اللادينية التى جاءت بها نقدا علميا مؤيدا بالأدلة العقلية ، وهكذا بحمد الله - تمكن من إنقاذ الشباب من العبودية الفكرية التى وقعوا فيها بعد تعليمهم فى المعاهد الحديثة كما تمكن من إعادة ثقتهم فى صلاحية الإسلام لحل مشاكل الحياة ولقيادة البشرية فى العصر الحاضر وبعض كتبه التى لها دور خاص فى ذلك التغيير

هى « نحن والحضارة الغربية » و« الإسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة » و« الحجاب » و« حركة تحديد النسل » و« الربا » و« مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة » و« مكانة السنة الشريفة فى التشريع » و« طريق السلام » و« رسائل ومسائل » و« الإسلام والجاهلية » و« حركة تحرير الهند والمسلمون » و« الإسلام ومعضلات الاقتصاد » و« الإسلام ونظريات الاقتصاد الحديثة » وغيرها من الكتيبات الصغيرة .

ويجدر بنا أن ننقل هنا آراء بعض العلماء الكبار فى عمله هذا ، فيقول الشيخ عتيق الرحمن رئيس المجلس الاستشارى لمسلمى الهند ورئيس ندوة المصنفين بدلهى فى كلمة رثائه : « إن الأستاذ المودودى قد وفقه الله بالقدرة أنه كان يعرض التعليمات الاسلامية القيمة فى أسلوب جذاب يجعل المثقفين الجدد يتأثرون به ، والحقيقة إن الأسلوب العقلى الذى كان يعرض الإسلام فيه كان أسلوبا جديدا مؤثرا جدا ، إن لم يكن علما جديدا » ثم يقول : « وكان من تأثير قلمه الجذاب أن الشباب المسلمين تأثروا به فى العالم كله والحقيقة إن هذا العصر الجديد قد أثر فيه الأستاذ المودودى بفكره إلى حد كبير وإننى لا أعرف شخصا آخر فى التاريخ أثر فى عصره إلى هذا الحد »[1] .

ويقول الشيخ أبو الحسن على الندوى : « ومما يجب أن يسجل فى مآثره الخالدة أنه كان لكتاباته فضل كبير فى إعادة الثقة إلى نفوس الشباب المثقف الذكى بصلاحية الإسلام لمسايرة العصر الحديث ، بل لقيادته وللتغلب على مشكلاته الطريفة المعقدة ومعالجتها بل للمنع من وقوعها ، ومحاربة « مركب النقص » فى نفوس هؤلاء الشباب فيما يتصل بالعقائد ، والأخلاق ونظم الحياة الإسلامية ، وقد بعثت كتاباته القوية ثم جهوده المتواصلة الرغبة القوية العارمة لقيام حكم إسلامى ونظام إسلامى ومجتمع أفضل فى كل بلد إسلامى بل فى كل بقعة من بقاع الأرض »[2] .

---

(١) جريدة « جسارت » اليومية : كراتشى ، عدد خاص فى ذكرى الأستاذ المودودى ، ص ٦٥ .

(٢) مجلة المجتمع الكويتية : عدد ٤٥٩ ، ص ٢٤ .

٤ - تجديد أسلوب الدفاع عن الإسلام :

ومن أعماله العلمية الكبيرة إنشاء علم الكلام الجديد ، ومن المعلوم أن علم الكلام الذى يدرس فى المعاهد الدينية القديمة قد أنشأه علماء الإسلام قبل قرون لمواجهة التحدى الذى كان يواجهه العالم الإسلامى فى ذلك الوقت من قبل فلسفة الإغريق اللادينية ، فالحمد لله ، أنهم تمكنوا من مواجهة ذلك التحدى وإنقاذ العالم الإسلامى من سيطرتها ، ولكن التحدى الذى جاءت به الحضارة الغربية الحديثة كان يختلف عن ذلك التحدى بكثير ، ولذلك اهتم الأستاذ بإنشاء علم الكلام الجديد لمواجهة هذا التحدى ، ومن مزايا علم الكلام هذا أن الأستاذ المودودى يأتى بأدلته من الأشياء العامة التى نراها حولنا ، وفى أسلوب عقلى جذاب يفهمه العلماء والمشايخ وعامة المسلمين جميعا ، وفى لغة مجردة عن اصطلاحات علم الكلام لكى يتمكن كل واحد من فهمه بسهولة ولكن مع ذلك لم تزل أدلته تمتاز بالقوة العلمية التى لا يمكن لدعاة الفلسفات المادية الحديثة أن يقفوا أمامها وكتب الأستاذ المودودى كلها مليئة بالأمثلة لهذا الأسلوب ولاسيما الكتب الآتية : « فى محكمة العدل التوحيد والرسالة والآخرة » ، « طريق السلام » ، « الإسلام والجاهلية » ، « نحن والحضارة الغربية » ، « الإسلام ومعضلات الاقتصاد » ، « الربا » ، « الحجاب » ، « حركة تحديد النسل » ، « الإسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة » ، « مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة » .

وفى هذا الصدد يجدر بنا أن ننقل هنا ما قال فيه الشيخ سيد سليمان الندوى أحد كبار العلماء فى شبه القارة الهندية ، : « إننى أقدم إليكم اليوم عالما متبحرا ، ويعرف العالم كله الأستاذ المودودى ، ولا شك فى أنه متكلم الإسلام فى هذا العصر ، وعالم دين له مكانة عالية ، وطوفان الإلحاد الذى طغى على شبه القارة الهندية ، كان من مشيئة الله أن يواجهه رجل له بصيرة عميقة فى العلوم والفلسفات الأوربية الحديثة والقديمة من ناحية ، ومن ناحية أخرى هو عالم فاضل درس القرآن والحديث دراسة عميقة مكنته من أن يناقش جميع مشاكل العصر الحاضر فى ضوئها بمنتهى الاطمئنان . وهذا هو السبب الذى يجعل الملحدين

والدهريين يرتعدون منه ويهربون أمام أدلته وحججه القوية »(١) .

٥ - بيان الفرق بين الإسلام وبين ما هو منتسب إلى المسلمين :

ومن أعماله الكبيرة التى لا ينافسه فيها حد عنايته بالفرق بين الإسلام وما هو منتسب إلى المسلمين وكان يعتقد بأن كل ما ينتسب إلى المسلمين فردا أو جماعة أو شعبا أو حكومة فهو « إسلامى » فنرى بأن مجتمع المسلمين مهما تكن حالته الدينية والأخلاقية والاجتماعية مخالفة للروح الإسلامى فهو يعتبر « المجتمع الإسلامى » والجماعات السياسية أو القومية التى تعمل فى بلاد المسلمين تعتبر من « الجماعات الإسلامية » مع أن أكثرها لا يهمها الإسلام أو تعليماته القيمة ، ومع أن أكثرها لا تكون إلا أحزابا ليبرالية ديمقراطية أو شيوعية والمعاهد التعليمية التى أنشئت لبث التعليم اللاديني الإفرنجى أطلق عليها اسم الكلية الإسلامية والمدرسة الإسلامية ، ككلية عليكرة الإسلامية التى أسسها السيد / أحمد خان لنشر الثقافة الحديثة اللادينية بين المسلمين وحكومات ملوك المسلمين ورؤسائهم تعتبر « الحكومات الإسلامية » مع أن أكثرها تكون قومية أو علمانية أو شيوعية فى كيانها . حتى كثير من الشخصيات الكبيرة والذين احتلوا مناصب عليا فى المجتمعات الإسلامية بذلوا ما فى وسعهم لمحاربة الإسلام وشعائره لكن مع ذلك يعتبرون كالشخصيات الإسلامية الكبيرة وإليك مثال مصطفى كمال الذى كان يدعى « الغازى » مع كونه أكبر أعداء الإسلام والمسلمين . والملك أمان الله الأفغانى الذى كان يدعى أيضا « الغازى » مع كونه أول داعية للتغرب والتفرنج فى المجتمع الأفغانى المسلم . وكانت نتيجة ذلك الالتباس بأن المفاسد التى كانت فى مجتمع المسلمين أو حكوماتهم كانت تعتبر مفاسد المجتمع الإسلامى والحكومة الإسلامية وهكذا كانت عيوب أفرادهم أو زعمائهم تنسب إلى الإسلام وتعليماته فكانت تتسبب فى ابتعاد الناس عن الإسلام . فينتقد الأستاذ المودودى هذا المنهج الخاطىء للفكر فيقول : « بعض الناس إذا فكروا فى مصلحة المسلمين حسب رأيهم يظنون بأنهم يفكرون فى مصلحة الإسلام ولا يميزون بين هذا وذاك »(٢) .

---

(١) انظر الأستاذ محمد يوسف : « مولانا مودودى ابنى اورد وسروى كى نظرميں » ص٥٣٢ .

(٢) حركة تحرير الهند والمسلمون : الجزء الثانى ، ص ١٢٠ .

وفى هذا الصدد يحكى لنا الأستاذ حكاية أحد زعماء حزب رابطة المسلمين بالهند الذى اشتكى من بعض الأغنياء من « المسلمين » الذين يذهبون إلى « البغايا المتفرنجات » حيث أن البغايا من « المسلمات » أحق بعنايتهم[1] .

والأستاذ المودودى انتقد ذلك المنهج الخاطىء للفكر وقدم الفكر الإسلامى الصحيح بالأدلة من الكتاب والسنة وبالبراهين العقلية والعلمية وذلك فى عديد من الكتب أهمها : « حركة تحرير الهند والمسلمون ، والخطب ، ونحن والحضارة الغربية ، وتفهيم القرآن » .

وهكذا نرى بأن تاريخ ملوك المسلمين ورؤسائهم يعتبر من تاريخ الإسلام مع أننا نرى أن عددا غير قليل منهم لم تكن لحياتهم الشخصية أو لحكوماتهم أية علاقة بالإسلام ، وكذلك نرى أن ذخائر الشعر والأدب التى جاء بها الشعراء والأدباء فى عهد هؤلاء الملوك ، مهما كان أكثرها مخالفا للروح الإسلامية مما كان يسمى بالشعر والأدب الإسلامى ، حتى الغناء والموسيقى التى ازدهرت فى عهدهم — مع كونها مخالفة للشريعة السمحة — كانت تسمى « بالغناء » و« الموسيقى الإسلامية » . وعلى ذلك المقياس ... وكانت نتيجة ذلك المنهج الخاطىء للفكر أن تمكن المستشرقون من الطعن فى الإسلام كما كان من نتيجة ذلك أن كثيرا من الملوك والرؤساء فى القرون المتأخرة حاولوا أن يأتوا بالأدلة من ذلك « تاريخ الإسلام » لأعمالهم القبيحة ولأفعالهم غير الإسلامية . وهكذا انتسب ذلك التاريخ إلى الإسلام ، جاء بالمشاكل الكبيرة فى طريق الدعوة الإسلامية لأن من الطبيعى أن يأتى السؤال هل المقصود من الدعوة إعادة نظام هؤلاء الملوك ، فلذلك الأستاذ المودودى لكونه داعية رأى ضروريا أن يبين الفرق بين تاريخ الإسلام وتاريخ المسلمين ، ومن أهم الكتب التى ألفها فى هذا الموضوع هى : « تجديد الدين وإحيائه ، والخلافة والملك ، والحكومة الإسلامية ، وكيف تقام الحكومة الإسلامية » .

---

(١) انظر حركة تحرير الهند والمسلمون : الجزء الثانى ، ص ٨ .

إبراز أهمية فريضة إقامة الدين :

وكذلك من أعماله البارزة الجليلة تمكنه من إحياء الموقف الصحيح تجاه الإسلام وتعليماته القيمة والإسلام هو الدين الذى جاءت به الرسل من آدم عليه الصلاة والسلام إلى سيدنا محمد ﷺ والغاية التى أرسله الله من أجلها هى إقامته فى الحياة الإنسانية السليمة كما يقول سبحانه : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ... ﴾(1) . وكما بين النبى ﷺ من عمله بإقامة الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة وتنفيذ الأحكام الإسلامية فى الحياة الاجتماعية كلها وكما عمل خلفاؤه الراشدون بإقامة الإمامة الصالحة على منهاج النبوة ، ولكن نرى أنه مع مرور الأيام بدأ المسلمون وحتى علماؤهم يفكرون بأن إقامة النظام الإسلامى كانت مهمة النبى ﷺ وأصحابه فى خير القرون فحسب ، وأما إقامة النظام الإسلامى على منهاج النبوة أو على منهاج الخلافة الراشدة فى هذا العصر ، فهذا ما لا نقدر عليه أبدا ، لأننا لسنا كالنبى ﷺ أو أصحابه ولا عصرنا كعصرهم ، فلهذا يكفينا أن نهتم بدراسة القرآن والحديث والكتب الإسلامية الأخرى وتدريسها وننشىء المدارس الدينية لتحقيق ذلك الهدف أو نكتفى بالدعوة والتبليغ وذلك بإلقاء المحاضرات أو بتأليف الكتب فحسب أو نحافظ على التعليمات الإسلامية فى حياتنا الشخصية ، وننتظر لظهور الإمام المهدى لإقامة النظام الإسلامى بكامله ، وهكذا أصبح الإسلام علما يدرس ويدرس فى المدارس أو يطلع عليه فى الكُتب والمحاضرات ، أو دينا قد اختيرت بعض تعليماته فى الحياة الفردية وقد أهملت تعليماته للحياة الاجتماعية فى انتظار الإمام المهدى ، فكانت هذه هى الأوضاع حينما قام الأستاذ المودودى بالدعوة بأن الإسلام هو دين كامل شامل بكل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية ولا يعتبر الإيمان به كاملا ولا الانتساب إليه صحيحا إلا بالاعتقاد بأن إقامة الدين بكامله هو واجب دينى لابد لكل مسلم ومسلمة الاهتمام به ، فمن متقضيات إيماننا إذن أن نعمل لإقامة النظام الإسلامى بكامله كما قام بإقامته النبى ﷺ وخلفاؤه الراشدون ، وأما الاكتفاء

---

(1) سوره الشورى : الآية ١٣ .

بدراسة القرآن والحديث والكتب الدينية الأخرى بدون الاعتناء بإقامة الدين بكامله فهو مالا يسمح بـه الإيمان لا العقل . فيقول الأستاذ المودودى : « ما رأيكم فى المريض الذى يقرأ كتابا فى علم الطب ويظن بأن قراءته لذلك الكتاب ستشفيه من المرض فيكون ظنكم به بأنه أصبح مجنونا فلابد أن ينقل إلى مستشفى الأمراض النفسية ، فما بالكم إذن بأن الكتاب الذى قد أرسله الله سبحانه وتعالى لعلاج جميع أمراضكم الفردية والاجتماعية فتظنون بأن قراءته فحسب تكفى لعلاج جميع تلك الأمراض »[1] بل يرى الأستاذ المودودى أن هـذا الاهتمام بدراسة القرآن وتدريسه بدون الاعتناء بإقامة النظام الإسلامى لا يتمكن الإنسان به من فهم القرآن قط فيقول : « إن القرآن ليس بكتاب يحوى نظريات مجردة وأفكار محضة حتى تدرسه جالسا على الأريكة ثم تفهم جميع مطالبه كما أنه ليس بكتاب يبحث فى اللاهوت فتحل جميع أسراره ومكنوناته فى المعاهد والزوايا . إن هذا الكتاب كما قلت فى بداية المقدمة[2] كتاب دعوة وحركة » ثم يواصل حديثه : « إذن كيف يتأتى لك اليوم أن يتجلى لك جميع ما يضمر هذا الكتاب من أسرار وحقائق بمجرد أن تمر على حروفه وتنطق بكلماته ، وبدون أن تنزل إلى ميدان الصراع بين الإسلام والكفر ، وتغبر قدميك فى معركة الإسلام والجاهلية وبدون أن يصادفك المرور بمنزل من منازل هذا الكفاح »[3] .

إبراز أهمية التوازن فى الاهتمام بأحكام الإسلام وتعليماته

وكذلك من أعماله الكبيرة إبراز أهمية مبدأ الأهم فالمهم ، والاهتمام بأحكام الإسلام وتعليماته المختلفة حسب مكانتها فى الدين ، والإسلام دين كامل شامل لكل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية ، وتشمله العقائد والعبادات والأحكام والحدود والمبادىء الأساسية ومعالم الطريق لكل دائرة من دوائر الحياة المختلفة ، وكل من هذه العقائد والمبادىء والعبادات والأحكام لها مكانة خاصة فى الدين . ولابد من الاهتمام بها حسب مكانتها ، وأى تغيير فى مكانتها الخاصة لابد

(١) الخطب · الجزء الأول ، ص ٤٧ .
(٢) يعنى بها مقدمة تفسيره (تفهيم القرآن) .
(٣) مقدمة تفهيم القرآن : ص ٣٣ ، ٣٤ .

من أن يأتى بالفساد العظيم فى الدين ، وكذلك الاهتمام بالعمل لبعض الأحكام وعدم العناية ببعضها يأتى فى حكم قوله سبحانه : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴾(١) .

فلهذا نرى أن النبى ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم كانوا يهتمون بأحكام الدين وتعليماته القيمة حسب مكانتها فى الدين فكانوا يهتمون بشئون الدولة مع مداومتهم على العبادات وكانوا أكثر اهتماما بالفرائض والواجبات من اهتمامهم بالنوافل – ولكن لم يتمكن المسلمون من الاهتمام بهذا المبدأ فى القرون الأخيرة ولاسيما بعد استيلاء الاستعمار السياسى والحضارى على العالم الإسلامى فكان لهذا عدم الاهتمام بأحكام الدين وتعليماته حسب مكانتها أن رأى بعض العلماء والمشايخ أن الدين لا يشمله إلا أداء الطقوس وأما إقامة الحكومة الإسلامية للاحتكام لما أنزل الله وهذا ما ليس له أية علاقة بالدين وهذا ما انتهى إلى انتشار فكرة فصل الدين عن الدولة وظهور الفساد فى الحياة الاجتماعية للأمة الإسلامية كما كان نتيجة انتشار هذه الفكرة الخاطئة أن أصبح المسلمون أكثر عناية بالفروع والجزئيات من عنايتهم بالأصول والمبادىء ، فانتقد الأستاذ المودودى هذه الفكرة الضالة بالأدلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية فى تأليفاته المختلفة وبين بكل صراحة أن الإسلام لا يمكن العمل بمقتضياته إلا بالاهتمام بمبدأ الأهم فالمهم وبالعناية بأحكام الدين وتعليماته حسب مكانتها . فأهم الكتب التى تناول الأستاذ فيها هذا الموضوع هى « نحن والحضارة الغربية » و « الخطب » و « التفهيمات » و« الحكومة الإسلامية » فكان لجهاده الطويل فى هذا المجال أن تمكن الأستاذ المودودى من إنقاذ ملايين من المسلمين من سيطرة هذه الفكرة الضالة لا فى شبه القارة الباكهندية فحسب بل فى العالم الإسلامى من شرقه إلى غربه .

مواجهة التحديات المعاصرة والحركات الهدامة

ذكرنا فى هذه الرسالة أن سيطرة الغرب السياسية والحضارية جاءت بالتحديات المعادية العنيفة للإسلام فكان لهذه السيطرة الغاشمة أن ظهرت فى

(١) سورة البقرة : الآية ٨٥ .

المجتمعات الإسلامية عديدا من الحركات الهدامة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، كان لرعاية الاستعمار أن انتشرت بين المسلمين الفلسفات المادية الجاهلية كالتفسير الجدلى للتاريخ لهيجل والتفسير الجدلى المادى للتاريخ لماركس ونظرية داروين للتطور والتفسير الجنسى لعلم النفس لفرويد والشيوعية ، والعلمانية ، والقومية الوطنية ، وما إلى ذلك من الفلسفات الجاهلية والنظم اللادينية ، وكان للعبودية الفكرية للحضارة الغربية أن تأثر بها كثير من المسلمين المثقفين وظهرت فى العالم الإسلامى الحركات المستقلة لتعميم هذه الفلسفات الجاهلية والنظريات اللادينية فكان لهذه الظاهرة أن الحركات التى بدأت لتحرير البلاد الإسلامية من سيطرة الاستعمار الغاشم كانت أكثرها تقوم على أساس القوميات الوطنية واللسانية الجاهلية وكانت تهدف إلى إقامة الحكومات القومية اللادينية أو الحكومات الشيوعية كما كان لهذا السبب أن الحكومات التى أقيمت فى البلاد الإسلامية المختلفة بعد تحريرها من الاحتلال الاستعمارى كانت أكثرها قومية علمانية أو شيوعية أو اشتراكية ، وهكذا دوائر الحياة الأخرى المختلفة سيطرت عليها العلمانية بكل مفاسدها واقتصرت دائرة الدين إلى أداء الطقوس فحسب ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان لظهور الحركات الهدامة المعادية كالقاديانية والبهائية وجحود السنة النبوية أن زادت المخططات والمؤامرات المعادية من جانب وانتشرت التأويلات الباطلة للآيات القرآنية التى جاء بها دعاة هذه الحركات لتحقيق أهدافهم الشنيعة من جانب آخر.

والأستاذ المودودى بعدما قام بعمل الدعوة ، رأى ضروريا أن يهتم بمواجهة هذه التحديات والتيارات المعادية والحركات الهدامة فقام بإصدار عديد من التأليفات والبحوث القيمة التى انتقد فيها الفلسفات المادية الجاهلية والنظم اللادينية والحركات الهدامة بالبراهين العقلية القوية . وهكذا تمكن من القضاء على العبودية الفكرية للحضارة الجاهلية الحديثة وإعادة ثقة المسلمين فى صلاحية الإسلام لقيادة البشرية فى هذا العصر ، وكان لجهوده فى هذا المجال أثر كبير لا فى شبه القارة الهندية فحسب بل فى العالم الإسلامى بأسره فتقول مجلة « الاعتصام » المصرية متحدثة عن مدى تأثير جهود الأستاذ المودودى فى ذلك المجال : « المفكر الإسلامى الكبير الذى رد للإسلام اعتباره ، وأحل الفكر الإسلامى مكانه اللائق

به يواجه فى صلابة تحديات الفكر الأجنبى المستورد ، ويتصدى فى قوة للفكر الدخيل المنتسب زورا إلى الإسلام »[١] .

الدعم الفكرى للحركات الإسلامية المعاصرة

ومن أعمال الأستاذ المودودى الخالدة فى مجال الدعوة الإسلامية هو تقديمه الدعم الفكرى للحركات الإسلامية المعاصرة ، وتأليفات الأستاذ المودودى حول الموضوعات الإسلامية المختلفة لها دور كبير فى إنشاء الحركات الإسلامية فى بلدان العالم المختلفة منها باكستان والهند وبنغلاديش وولاية جامو وكشمير الحرة وولاية جامو وكشمير المحتلة وسيلان وبورما التى تشتغل فيها الحركة الإسلامية باسم « الجماعة الإسلامية » ومنها البلاد التى قد أنشئت فيها الحركة الإسلامية نتيجة لمؤثرات دعوة الأستاذ المودودى مثل البلد الإسلامى العريق أفغانستان كما أسلفنا ذكره فى هذه الرسالة[٢]. وفضلا عن هذا، فتأليفات الأستاذ المودودى القيمة يستفيد بها العاملون فى مجال الدعوة الإسلامية فى أنحاء العالم . ويقول الأستاذ محمد قطب :

« كتابات الأستاذ الكبير أبى الأعلى المودودى تعتبر من منارات الفكر الإسلامى المعاصر ، وأدت دورا كبيرا فى تقديم حقائق الإسلام للمسلم المعاصر بطريقة مبسطة مبلورة يسهل فهمها واستيعابها »[٣] .

ويقول الأستاذ أبو الحسن على الندوى : « كانت كتاباته وبحوثه موجهة إلى معرفة طبيعة الحضارة الغربية وفلسفتها للحياة وتحليلها تحليلا علميا قلما يوجد له نظير فى الزمن القريب ، وقد عرض الإسلام ونظام حياته ، وأوضاع حضارته وحكمه للمجتمع والحياة وقيادته للركب البشرى والمسيرة الإنسانية فى أسلوب علمى رصين وفى لغة عصرية تتفق مع نفسية الجيل المثقف ومستوى العصر العلمى ويملأ الفراغ الذى كان موجودا فى الأدب الإسلامى المعاصر منذ زمن

---

(١) مجلة الاعتصام المصرية : العدد الأول لعام ١٤٠١ هـ .

(٢) انظر ص ٥ من هذه الرسالة .

(٣) الأستاذ محمد قطب : فى مقابلته مع مندوب مجلة « اردوا دائجست » الشهرية .

طويل ويقضى حاجة فى نفس الشباب الطموح إلى مجد الإسلام والمسلمين وقيام دوله ومجتمعاته الشريفة المعتزة بنفسها ودينها ورسالتها ومقومات حياتها فى الأقطار الإسلامية أولا وفى العالم بالتالى »(١) .

وتقول مجلة « الاعتصام » المصرية : « كان الأستاذ المودودى يحمل فكرا إسلاميا أصيلا وكان لهذا الفكر الإسلامى أن يؤسس مدرسة تلامذتها من شتى أنحاء العالم الإسلامى ولم يقف المودودى عند حدود تقديم العطاء من الفكر الإسلامى بل تصدى للأنظمة الحاكمة فى ديار المسلمين والتى تعتنق فكرا جاهليا .. وفى نفس الوقت تصدى للاستعمار الذى جثم على صدر الأمة المسلمة وتصدى لعملائه فى ديار المسلمين .. وواصل جهاده حتى لقى ربه بعد أن أسس مدرسة كبرى يواجه الآن تلامذتها فى أنحاء المعمورة بفكرهم النير ومفهومهم السليم لحقيقة دينهم الذين جندوا أنفسهم لمناوأة الإسلام »(٢) .

وجملة القول إن دعوة الأستاذ المودودى نجد مؤثراتها الفكرية والعلمية فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ، وفى كل بلد من بلدان العالم وله دور كبير فى إحياء التصور الصحيح للإسلام وإنشاء ودعم الحركات الإسلامية فى أنحاء المعمورة هذا من ناحية ، وفى القضاء على العبودية الفكرية للحضارة الغربية وإعادة الثقة فى صلاحية الإسلام لقيادة البشرية فى ذلك العصر ، ويقول الشيخ أبو الحسن على الندوى فى كلمة رثائه للأستاذ المودودى : « إننى لا أعرف رجلا أثر فى الجيل الإسلامى الجديد فكريا وعلميا مثل تأثير الراحل العظيم لا فى العمق ولا فى السعة ... وقد كان السيد / جمال الدين الأفغانى من أقوى الشخصيات الإسلامية التى نبغت فى القرن الماضى وأكبرها نفوذا فى عقول الشباب المثقف وسيطرة بل سحرا عليها وتأثيرا فى الفكر والاتجاهات والأساليب الأدبية والكتابية والخطابية حتى كان صانع جيل ومفتتح عهد ، ولكن الحق يقال إن سيطرته العقلية كانت محدودة فى السخط على الأوضاع السياسية القائمة والاستعمار الأجنبى وفى إثارة الأنفة والنخوة فى الشعوب الإسلامية المحكومة فى بلادها والعمل للجامعة الإسلامية لم ترافقها فكرة منسقة ولا دعوة إيجابية تقوم على الدراسات

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية : العدد ٤٥٩ - التاريخ . غرة محرم ١٤٠٠ هـ .
(٢) مجلة الاعتصام المصرية : العدد الأول لعام ١٤٠١ هـ .

الإسلامية العميقة .. بخلاف الأستاذ المودودى الذى قامت دعوته على أسس علمية أعمق وأمتن من أسس تقوم عليها دعوات سياسية وردود فعل للاستعمار الأجنبى »[1] .

(١) مجلة المجتمع الكويتية : العدد ٤٥٩ – التاريخ ١/١/١٤٠٠ هـ .

الفهـــــرس

الموضـــــوع	الصفحة

الجزء الأول
عصـر الأستاذ المـودودى
حياته ، دعوته ، تأليفاته ومؤثرات دعوته الفكرية والعلمية